

الكتب وجحانات نظر

في الشقاء والسياسة والفكر

Weghat Nazar - Volume 10 - Issue 113 - June 2008

مجلة شهرية. العدد المائة وثلاثة عشر - السنة العاشرة - يونيو ٢٠٠٨ - الثمن عشرة جنيهات

مصر: "الجديدة" و"القديمة"

السنة / الشيعة :
إلى أين نحن ذاهبون ؟
رضوان السيد

إبحار في عالم جديد
آلان جرينسبان

مصر الجديدة :
مول . جلاب . خادمة آسيوية !
ماجدة بركة

النمو وحده
لا يحقق العدالة !
محمود محيي الدين





EGYPTAIR

استمتع بالسما.

egyptair.com

وجهات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر

تصدر عن:

الشركة المصرية

للنشر

العربي والدولي



رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم المعلم

رئيس مجلس التحرير

سلامة أحمد سلامة



كتب العدد :

- آلان جريسيان... رئيس بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي السابق.
- بشير موسى نافع .. معاصر في التاريخ الإسلامي وتاريخ الشرق الأوسط ، لندن
- جميل حسن.. كاتب سوري
- جهاد فاضل .. كاتب وباحث لبناني.
- رشدي سعيد.. أستاذ جيوإلوجيا مصري مقيم في الولايات المتحدة
- رؤوف السيد... أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة اللبنانية
- صلاح الدين حافظ.. صحفي.
- عماد القزالي.. صحفي.
- فضل مصطفى النقيب.. أستاذ في جامعة واترلو .. كندا.
- كرس شلنج.. أستاذ في كلية السياسة الاجتماعية - جامعة كنت
- ماجدة بركة.. دبلوماسية وباحثة في العلوم الاجتماعية
- محمود محيي الدين.. سياسي واقتصادي مصري
- مريد البرغوثي .. شاعر فلسطيني يقيم في القاهرة.

رسوم العدد للفنان

محمد حجي



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية
أو غير الحاسبات لكل أو بعض المقتالات المنشورة أو أجزاء
منها.. بغير إذن كتابي مسبق من الناشر.



المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي
٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت : ٢٣٨٠-٢٣٨١ / ٢٣٨٢-٢٣٨٣ / ٢٣٨٤-٢٣٨٥ / ٢٣٨٦-٢٣٨٧ / ٢٣٨٨-٢٣٨٩ / ٢٣٩٠-٢٣٩١
البريد الإلكتروني (التحرير) : e-mail: info@alkotob.com

الاشتراكات :

السنة الواحدة (أشهر عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري . اتحاد
مصر عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا : ٨٠
دولاراً أمريكياً . باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي .
إدارة الاشتراكات : أ شارع سيويه القصرى . ص : ب : ٢٣ البترولاما . مدينة نصر
هاتف : ٢٤٠٢٣٩٦ - ٢٤٠٢٣٩٧ - فاكس : ٢٤٠١٨٤٦٦ subscription@weghamaz.com

ثمن التسعة :

في مصر : ١٠ جنيهات مصرية - السعودية : ١٥ ريالاً - الكويت : ١٥ دينار - الإمارات : ١٥
درهما - مملكة البحرين : ١٥ دينار - قطر : ١٥ ريالاً - سلطنة عُمان : ١٥ ريال - لبنان : ٥٠٠
ليرة - سوريا : ١٥٠ ليرة - الأردن : ديناران ونصف - ليبيا : ديناران - الجزائر : ٣٠٠ دينار - المغرب : ٢٠
درهما . تونس : ٢٠ دينار - الجزائر : ٢٠٠ دينار - اليمن : ٢٠٠ ريال - فلسطين : ٢ دولارات .
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £ 3 - USA \$ 5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

محتويات العدد :

- ٤ رضوان السيد ..
- الشيعية والسنة : التوتر ومناه ومصادر ..
- ١٠ آلان جريسيان ..
- مغامرات في عالم جديد ..
- عصر الاضطراب : تأليف : آلان جريسيان
- ١٦ ماجدة بركة ..
- مصر الجديدة ..
- ٢٢ مريد البرغوثي ..
- «عائد من رام الله» : الصالح محمود ..
- ٢٨ فضل مصطفى النقيب ..
- «زمن الحكيم» ..
- ٣٤ محمود محيي الدين ..
- «التمنية في عالم متغير» ..
- ٤٠ جهاد فاضل ..
- «الأندلس : هل كان غزواً؟» ..
- ٤٨ كرس شلنج ..
- ثقافة الجسد ..
- ٥٤ رشدي سعيد ..
- «قصة التنازل» في مصر ..
- ٥٨ عماد القزالي ..
- «ابنلة المسيحية الأولى» ..
- عزرايل : تأليف : يوسف زيدان
- ٦١ صلاح الدين حافظ ..
- «تحريم السياسة وتجريم الصحافة» ..
- ٦٤ جميل حسن ..
- تعقيبات : عودة إلى رجاء وأدونيس ..
- ٦٦ بشير موسى نافع ..
- «الدعوة والدولة الوهابية» .. رؤية غربية ..
- ٦٨ إصدارات جديدة ..

حكم إيران لمدة الصيرة، لم ير حلاً للنزاع المستشري إلا بالتوحيد بين السنة والشيعة، ولذلك جمع - وهو السنن بالورثة - فقهاء الطرفين ونافسهم وضغط عليهم، دون أن يتوصل لنسأ! إن هذه الحففة الطويلة من الصراع والمارك العسكرية (بين القرنين الثامن والحادي عشر الهجري، والرابع عشر والسابع عشر الميلادي) حدثت في الحففة الخطوط الاستراتيجية للإسلام الشيعة، وليس للإسلام السنن. فقد انحصر الإسلام الاثنا عشري بإيران وجوارها، مع صمود جيوب شيعية في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي باستثناء جنوب شرق آسيا. وما تغير المشهد كثيراً في عصر الاستعمار، ولا فيما تلاه، حتى كانت الثورة الإسلامية في إيران، على إثر اندلاع إحياء ديني شيعي وسني متوازيين ومتقاربي في البداية، طوال نصف القرن الماضي.



لا يصحح تجاهل التواريخيات والذهبيات في التوتر الحاصل خلال العقدين الأخيرين بين السنة والشيعة، لكن من المؤكد أنه لا علاقة لما يجري اليوم بما كان عليه الأمر بين العثمانيين والصوفيون، أو بين الحشائبة والشيعة بيفاده في القرن الخامس الهجري، بل إن هذين الأمرين (التاريخي والذهبي) لا يمكن حسابهما في مجال النازرة، وإن حصل التوتر. وهذا ما التقده على إدوارد سعيد (وعلى سائر النشوميين والإسلاميين) الذين أعادوا أصول الصراع الحالي بين المسلمين والقرب إلى الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر الميلادي. وقد قلوا على ذلك بأن الرئيس بوش ذكر الحرب الصليبية، في مجال دفاعه عن تكتيكاته ضد «الإرهاب الإسلامي». كما احتجوا بإشارات كثيرة في الإعلام الأعلى إدوارد سعيد (في كتابه، تقطيع الإسلام) ما قال بالتواصل التاريخي أو بالنازرة في ذلك، كما فعل القوميون والإسلاميون: بل قال به في مجال الوحي، أي أن الأميركيين والعديين أو بعضهم يعون الصراع الدائر باعتباره صراعاً بين الحق والباطل، وبين المسيحية والإسلام. والذي أراه أن هذا الوحي (أن كان) فهو مصطنع



أو مستجد بعد اندلاع



لهم ابن تيمية مصيراً آخر، عندما اعتبر أنهم لا يزالون على كفرهم! كانوا شعاثين، أي يوثقين في الأصل، مستدلاً على ذلك باستحلالهم للكثير من الحرمات، ومجازيتهم الدائمة للمسلمين (الماليك وشعوب مصر والشام)، وهذا ما صرح به الرجل في رسالته إلى السلطان الملك الناصر في شأن التتار^(١).

وما اعتبرت خمود الصراع بين الإيلخانيين والماليك نهاية لهذه الحففة، لأن الانزياحات الشعبية والجغرافية/السكانية بين الطرفين استمرت بإيران والعراق وبخراسان وأذربيجان ومناطق آسيا الوسطى الأخرى وشبه الغارة الهندية. وكان يمكن للأمر أن ينجم لصالح الشيعة في شرق العالم الإسلامي على الأقل، لسوا ظهور الضائيق.

فيل ظهور

الصوفيون بإيران. والأولى، التي خاضت حروباً دفاعية في مواجهة العثمانيين على مدى أكثر من قرن، وغلبت مراراً، كما غلب القاجاريون من بعدهم. وما خمد الصراع وهذا على دخن إلا في مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وخلال ذلك الصراع العسكري والاستراتيجي في المجالات والموارد والمناقص، والذي استمر زهاء القرنين ونصف القرن، وخلف خراباً وانزياحات سكانية لا تقل هولاً عن الحروب الموقعية وحروب تيمورلنك. اكتملت الأدبيات الفقهية الجدلالية التبادلية والثافضة بين الطرفين، والتي لم ينفذ عليها المسلمون، من مريدي طووية ابن تيمية وتلامذة ابن عبد الوهاب، كثيراً في الأزمنة الحديثة والمعاصرة. وقد بلغ من هول الصدام وتآثراته الفعائدية والاجتماعية أن نادر شاه الأفغاني الذي

أو أن مصيرهما يرتبط بذلك، ومع أن الحلى لا يقول شيئاً عن كيفية السلوك في عصر الغيبة، لكن المفهوم أنه يترك ذلك للفتية، صاحب السلطة في دراسة كل حالة على حدة. وكان الشريف المرتضى (في القرن الخامس الهجري) قد رأى إمكان العمل مع السلطان العادل، واعتبر ذلك وقتها إنفاً بأسالة والصبر على الجور

والأ شرعية في عصر الغيبة والتقبة، ومعروفة الطريقة النشوسية إلى ابن طابوس أمام هولاكو حين أشر الكافر العادل على المؤمن أو السلم الجائر. أما في السياق الذي كان الحلى يكتب فيه، فإن السلطان الشيعة، يبقى طبعاً سلطاناً غير متمثل الشرعية، لكن شرعيته أو نصريته وليس طاعته فقط، لا تستند إلى عدله وحسب، بل إلى إيمانه بحق أهل البيت، وانتظاره مثل الجماعة الشيعية تماماً صاحب الزمان لكي يسلمه مقاليد الأمور. مكتسباً من الفقيه بهذا الاستعداد، شرعية إضافية باعتباره وكلاً مؤتمناً على دولة التمهيد.. أما ابن تيمية، والذي كان عارفاً بعقيدة الغيبة، لكنه لم يكن واعياً لأثارها المحتملة على المستوى السياسي: فإنه أشر الرد والنقض على أمرين: عقيدة الإمامة أصولاً وقرواً، وعقيدة الغيبة لدى الشيعة، والأمر الآخر، العقائد المعتزلية مع أن المعتزلة (الذين من ضمن أصولهم نفس القدر) كانوا قد انخرضوا تقريبا (وانتهى القدرية الأولى في القرن الثاني): لإيمانه بأن الشيعة يمتنعون الأراء المعتزلية أو يستندون إليها في التديل على أجزاء من مذهبهم في وجه أهل السنة. أما الإيلخانيون أنفسهم فقد اختار

التوتر ومداه

ومصائره

أُظِلَّت الأُزْمَةُ الجَدِيدَةُ عَلَى السَّنَةِ وَالشَّيْعَةِ، وَنُحْبِثُهُمْ عَلَى تَوَاصُلٍ وَتَوَادٍّ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُتَقَنُّ الْفَارْسِيَّةَ وَالتُّرْكِيَّةَ وَالْعَرَبِيَّةَ

الشَّيْعَةُ وَالسَّنَةُ

وللهولنة الأولى ما بدا أن الإحباطية الإسلامية الجديدة سوف تُشرق في السنة والشَّيْعَةِ. فتُواب صَفْوَى زعيمُ فدائيين إسلام، كان سابقاً كبيراً للراخوان الأُشْمُسُ المَصرِيِّين، وحزب الدعوة التي أُنشئت بالمِراق في المُخسِنِيَّاتِ أَفَادَ من أَفكار وتُنظِمَاتِ الإِخوان المُسلمين المَصرِيِّين.. بل إن أيا الأُعلى المودودي الذي أنشأ «الجماعة الإسلامية» بالهند عام ١٩٤١، حرص على أن يكون بين كوادرها سنة وشيعة، لكنه ما لبث أن تخلى عن ذلك بالتدرج بعد قيام دولة باكستان وانتقاله إليها. كانت الإحباطية الإسلامية الطُورِيَّةُ الدَّاعِيَةُ إلى الطُرفِيَّين لتُجِدَ ضدَّ الغرب والأجنبي، ثم ضدَّ الأنظمة المحلية في الدولة الوطنية. ولذلك ما أحسن أحد بالتوجس من الآخر في البداية. لكنَّ الدَّيَاتِيبَ الخَاصَّةَ بِدَايَاتِ بِالظُهورِ والتَّبلُورِ. وقد تبيَّن لي في بحث كتبتُه قبل عشر سنوات أن التطورات في القرن العشرين (وقبل بروز الشيعة المديني لدى الطُرفِيَّين، في كل من مصر وإيران، متوازلة بل ومتشابهة».

والإحياء القومى لدى الإيرانيين والأتراك سابق لإحياء القومى عند العرب (لأن الهيكال القومية كانت قائمة في دولة لدى الطُرفِيَّين). وعندما بدأ ذلك الإحياء لدى العرب، برز بين أعلامه المُنحِبون من لبنان وسورية وفلسطين والعراق، والقوميون المتطرفون في إيران وتركيا. وقد اعتنق بعضهم هؤلاء (وساندتهم في اعتقادهم الدولة التي أقامها مصطفى كمال بكراً) أن الدولة القومية العلمانية تُركِضُ المِساوَاةَ والعدالة والتقدم، شأن ما حصل في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وقد أثار صعود العُصْرَانِيَّين قُلُقُ الإحباطيين الإسلاميين الشيعة بإيران حين نَزَّاه، وكسروى، والآخرين عديدين (وَشَيْعَةُ الدَّعْوَةِ العَرَبِ (فِرْعَ الحُفَظُونَ) وشبلى وشمس وإسماعيل مظهر، وإبراهيم واسع صريح ومضمر. وقد إن التوتُّورُ تبلور وتزايد وتعايَّن ليس بسبب ظهور المُنحِبِينَ وفِرْعَ الحُفَظُونَ في بَنِيَّةِ الدَّولِ الوَطَنِيَّةِ الجَدِيدَةِ، بل لأمرين آخرين: التَّبَازُؤُ بَها تَنظِيمَاتِ الدَّولَةِ القومية المُنَازِعَةِ، والسياسات الدَّولِيَّةِ بِالْمُنَظَّمَةِ، فَبِنِ جِهَةِ ظُهورِ خِلَافَاتِ عِلْمِ الحُدُودِ غَيرتَ ما استقرت عليه الأمور تاريخياً منذ القرن الأخير عشر. وقد كوَّنت دولاً وقلبيَّة في عراق جرى تركيزه من ولايات عثمانية ثلاث، ثم لحظ برضا الأتراك والإيرانيين على حد سواء. وقد شكَّا العرب من استيلاء تركيا على اسكندرون السورية، واستيلاء إيران على الأهواز العُربِيَّةِ، واستيلاء اليهود على فلسطين وشكَّا الأتراك من أنه ما حسب لهم حساب في دولة رغم أدهم الكبرية في مناطق

الجغرى مذهبها فقهاً خامساً إلى جانب المذهب السني الأربعة يمكن تدريسه بالأزهر. وكان من ضمن زملائنا بالمعهد الدينى ببيروت (١٩٢٠-١٩٢٦) عدد من الشبان الشيعة، ونهب بعضهم معنا إلى الأزهر بمصر حيث اختاروا كلية اللغة العربية للتخصص العالى، وتزاملت بالأزهر (١٩٢٥-١٩٢٧) مع طلاب من الشيعة الإمامية من العراق وباكستان، وزيدية من اليمن، وعلموين من سورية وتركيا. وكانوا يناقشوننا على الولاء لمصر ولعبد الناصر. وكان واحد منهم يحرص على التصريح بالانتماء للأشاعرة، في مواجهة السلفيين الذين بدأوا يظهرن بين الأساتذة والطلاب هناك في تلك الفترة.

إن هذا التواصل والامتزاج ما عاد ممكن الحدوث الآن. ولقد رأيت في

العُصْرَانِ السَّنِيَّةِ وَالشَّيْعِيَّةِ لِحُجُوجَةِ المُستَحْصِرِينَ. وعندما ذهبت للدراسة بالأزهر عام ١٩٦٥ م وجدت أن بين المقررات الحقيقية والمنطقية في دروسنا بكلفة أصول العلم ثلاثة كتب أشتاب منها لزيديين، والثالث لأثنى عشرى.

ولا يعنى ذلك أن الأمور كانت كلها على ما يرام بين السنة والشيعة من الناحية الثقافية وحتى الاجتماعية. ففي مطالع الأزمنة الحديثة، كان هناك نهوض سلفي بنجد، وإيماني، وبالهشيد. وحدثت إجازرات وهابية كما هو معروف على بعض المزارات الشيعة بالرواد، وظهرت أدبيات سجالية متبادلة في العواطف. بيد أن ردود أهل السنة من الجأع الشيعية الحقيقية على الوهابية الأولى لا تقل نغماً عن الردود الشيعة عليها. وما وصلت تلك الجدالات إلى السلفية الهندية؛ لكنها لعبت دوراً

الصراع. وهو الذي يستدسى الذاكرة والتاريخ صوراً وإوهاماً، وحقائق، والشأن كذلك في التوتُّور بين السنة والشيعة؛ فهناك من يعيد إلى حياة النبي(ص)، والحساسة بين أم المؤمنين عائشة والإمام علي، وهناك من يعيده إلى يوم البسفرة، أما اختيار أبو بكر لم يخلو على دراسة الدولة الجديدة، أو اختاره النبي(ص) وقد سمعت قبل عام الشاعر المصري يعيد الخلل في إدارة الشأن العام لدى العرب والمسلمين إلى «يوم السفينة، ذلك بالذات» بينما يذهب باحثون عرب كثيرون إلى أن التمسك الاستبدادي في القيادة إنما يعود إلى فكرة الخلافة ومؤسساتها وبالذات وكل ذلك أكثر من جسد للذات، وتجن على التاريخ، وسوء فهم للواقع.

أظلت الأزمنة الحديثة على المسلمين السنة والشيعة، ونُحِبُّهُمْ عَلَى تَوَاصُلٍ وَتَوَادٍّ كَبِيرِينَ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ ثَلَاثِي اللُّغَةِ وَثَلَاثِيهَا، أَيْ أَنَّهُ يُتَقَنُّ الْفَارْسِيَّةَ وَالتُّرْكِيَّةَ وَالْعَرَبِيَّةَ، وَصَرَفَ اليَوْمَ إِيَّانِيزِينَ جَدِيدِينَ كَثِيرِينَ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشْرٍ وَمَطَالَعِ الْعَشْرِينَ، اعْتَصَدُوا فِي مَعَارِفِهِمْ عَلَى الْغَرَبِ عَلَى التَّحْرِيصَاتِ مِنْ الْفَلَتِ الْأُورُوبِيَّةِ إِلَى التُّرْكِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، وَعَلَى مَا كَانَتْ تُنْشِرُهُ الْجِلَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَدِيدَةِ، وَمَعْرُوفِ التَّأثيرِ الْكَبِيرِ الَّذِي تَرَكَ جَمَالُ الدِّينِ الْأفْغَانِي الْإِيرَانِي الْأَصْلُ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، دُونَمَا فَرَّقَ بَيْنِ الْأَوَسَاطِ السَّنِيَّةِ وَالْآخَرَى الشَّيْعِيَّةِ. وَقد صَدَرَتْ أبحاث كثيرة ما تزال من العلاقة بين طابع الاستبداد الكفواكسي، ونُتَبِّهِيهِ الْأَمَّةَ لِلثَّلَاثِيَّةِ، وَمَا زِلْنَا نَشْفُرُ عَرَبِيًّا وَإِيرَانِيًّا وَتُرْكِيًّا لِمُخْلِصِينَ الْهِنْدِ الصَّادِرَةِ فِي الْقُرُونِ التَّاسِعَةِ عَشْرٍ وَالْعَشْرِينَ، فِي الْمَطَاعِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَفِي التَّجَدِيدِ، دُونَ أَنْ نَسْتَطِيعَ التَّمْيِيزَ بَيْنِ السَّنِيِّ وَالشَّيْعِيِّ مِنْ الْمُؤَلِّفِينَ، وَمَا عَرِفْتُ إِلَّا بِلَا سَوَاتٍ قَلِيلَةٍ أَنْ رَحِمَةَ الْإِلَهِ الْهِنْدِي صَاحِبَ كِتَابِ «ظُهُورِ الْحَقِّ»، وَسَيِّدَ أَمْرِ الْعَرَبِ صَاحِبَ رُوحِ الْإِسْلَامِ، وَحَيَاةَ مُحَمَّدٍ، شَيْخِيَّانَ، أَمَا شَبَلِي النَّمَانِي وَمُحَمَّدُ الْإِيَالِي، فَهَمَا وَادَّانِ تَجْدِيدِيَّانِ لَدَى السَّنَةِ وَالشَّيْعَةِ عَلَى حد سواء، وَلَوْ قَرَأْنَا الْيَوْمَ تَعْلِيْقَاتِ الْأَمِيرِ شَكِيبِ إِرْسَلَانَ عَلَى كِتَابِ «لُطُوفِ سَوَادِهِ»، حَاضِرِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ، عَامَ ١٩٢٦، لَوَجَدْنَا أَنَّهُ يَذْكُرُ الْمُجَدِّدِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُفَكِّرِينَ فِي السَّنَةِ وَالشَّيْعَةِ وَالسَّنَةِ فِي أَسْيَا الْوَسْطَى وَإِيرَانَ وَالْهِنْدِ، وَدُونَهَا تَمْيِيزَ لَذَاهِبِهِمْ وَأَصُولِهِمِ الدِّينِيَّةَ وَالْعَرَبِيَّةَ. وَكَانَتْ هُنَاكَ فِكْرَةٌ عِنْدَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عِيْدِهِ مِثْلُهَا: أَنَّهُ يُبَيِّنُ الْإِفَادَةَ مِنْ تَقَالِيدِ الْإِفَادَةِ، عِنْدَ الشَّيْعَةِ، لِنُحْبِثَ بَيْنَ الْأَجْنَادِ، الْخُلُقُ عَلَى السَّنَةِ. وَفِي شُورَةِ الْعُرَبِ عَلَى الْبَرِيطَانِيَّاتِ وَفَارَقِيَّاتِهَا، تَعَاوَنَ الْعُلَمَاءُ الشَّيْعَةُ وَالسَّنَةُ، كَمَا تَعَاوَنَ



وكراهية الشيوعيين القدامى للحرب والإسلام) والدينية (المنهضة ضد الشيعة) وكان ذلك كله ما كان كافيًا، إذ انصرفت العناية العراقية وغير العراقية (القومية والقومية للتدبير بالفرس (الجوس)، والشيعة) (العائدات الأثر الذي خلفته في نفوس الإيرانيين (وبين متفهمي كثيرين يعرفون العربية) وفي نفوس الشيعة العرب، ومنهم الكثرة العراقية التي استقر في عيونها أن النظام يمارس في حق أمتهما تمييزًا مزدوجًا، باعتبارهم شيعة، وباعتبارهم عربيين، وما وقت الثورة الإيرانية مكتوفة اليدين، أمام هذه التسديد المحي بها وبين العرب، وبينها وبين الولايات المتحدة، ففي الوقت الذي هاجم صدام حسين دولة الثورة الإسلامية، صدر الدستور الإيراني الجديد، الذي يقبض على نظام، ولائية الشريعة، أي يسبغ على الدولة البازغة طابعًا ثيوقراطيًا مهدويًا. وظهرت تنظيمات الملاحين والسادات والحرس الثوري للباسح على نهج، الشيعية، الحق، وأحضر طلبة، خط الإمام، المولاهين الأمريكيين في السفارة الأمريكية (وكر الأمريكيين بطهران، وأقبل مئات الوفود التي تقبض على الجبهة المستمرة مع العراق، وبقية الوفد سيضعون إنشاء ادعاهم لاقحام حقول الأفاعم العراقية، المبلوغ ضحايا الحرب من الطرفين حولاني الشيعية، اقترهم من الشيعة - دون أن ينسى الإمام الخميني التشرع يوم للقدس، خطا على الحرب الذين تركوا القدس وفلسطين لعصيرهما، وضوا لقائلا إيران بيد أن الأبرز والأكثر لفتًا للانتباه (وهو أمر ما جرى التنبيه إليه) بعد سنوات طوال طرأت على إيران في عصر ولائية الشيعية، لا يزال برهنتها لأنها (واحدة) في التعامل مع الشيعة خارجها، في ديار العرب والإسلام، وفي العالم الأوسع، فهي ما اكتفت بكنس تأييد هؤلاء وحسابهم (ومهمهم) كثيرين من شأن (المنهضة) باعتبارها مرجعية شيعة وثقوية، بل انفتحت دعوى القيادة الأجد للشيعة في العالم من خلال ولائية الفقيه (وليس باعتبار نظامها نظامًا دوليًا وحسب كما في أيام الشاه) لإقامة تنظيمات داخل كل الجماعات الشيعية في العالم، تتبع الولي الفقيه في المسائل الدينية والحياة الشخصية والعامة. وقد تحولت تلك التنظيمات في البلدان التي تنتشر فيها الفوضى مثل لبنان وأفغانستان إلى تنظيمات مسلحة في حين بقيت سريية في أكثر البلاد الإسلامية، مع التمايز في أسلوب الحياة، وانتشار التمر في صفوفها، والمناكفات مع

والعقائد وحدها أو بالتأثيرات القومية وحدها، كذلك لا يصح اعتبار التجربة التاريخية أو العقيدة الشيعية لدى الإمامية معنًا، وحسبًا لفهم السيكلونامي للجماعات الشيعية (هل توجد سيكلولوجيا جماعية؟) وإن لم يمكن تجاهلها، فالظلمة الناجمة من مقتل الأمراء، وعدم قدرة أولئك (بإستثناء الإمام علي) على الوصول إلى السلطة، ثم الاضطهاد الذي لاحق الجماعات الشيعية في حقبة نشوئها الأولى، كل ذلك استقر في الذكرة والوعي، وتسلت شعاريًا في نفوس المتميزين الحسينية لدى الإمامية، التي هدفها إيقاظ ذلك المأس، من طريق الوعي الواعي، حتى في إيران التي الجز الشيعة دولتهم فيها أكثر من أية أمة قرون. وهكذا فقد أصبحت فكرة التميزية وقوسها - بغض النظر عن وقائع الحياة السياسية والاجتماعية - ولدى العامة وسيلة رئيسية (وأحيانًا غير واعية) أحيانًا أخرى، لتكفي عقيقة الفخر في كل الحالات للتحفظ على خصوصية الجماعة وتمييزها ووجدتها الشيعية والاشعرية.



ولأن ذلك يقترن بقيسنية عقيدة الحق (التي يدعو على العدل أحيانًا) وبإزائه (أحيانًا)، وعقيدة الفقيه المرتبطة به، الذي يصير الشيعة الإمامية والفرق الدينية في سائر الأديان ذات الصبغة الخلاصية، وفي أزمنة التحولات الروحية الكبرى (والإحياء الإسلامي، والأخر البيرونيستائي، هما الأكثر دلالة ورواذا في العالم الحديث، إلى ما يشبه الأزهر الصليبي، وبخاصة إذ توافرت لها قيادة كاريزماتية قوية، وأحاطت مع حواجز وحوالي وموانع وعداوات وتوجسات، كما حصل مع الثورة الإسلامية في إيران، فبالذاكرة الموهظلة للثقات والفاضلة لا تحسب بدليل الأخر وهي لا تستند في ذلك على الأحداث التاريخية التي تستعد أبدأ فقط، بل وتبث مع الخصوم الحاضرين والطائين القائمين تمييزًا بينهم، ولكن يظل الأمر شمسًا، أو قريبًا من التجسد في الواقع كما هو في الوعي، والمأساوي أنه في لحظة الثورة لعهد الشهورات بايران (١٩٧٨-١٩٨٠)، والوعي للخصوصية والخصائص الشيعية في أقصى درجات توتره، وقد صارت الولايات المتحدة الشيطان الأكبر، من صدام حسين حربة المصاغة عليها، فاقبضت ذلك تحيلات حديثة القامع التأسر مع الولايات المتحدة) وأحاسبس ووعيا عميقًا في المذكارين القومية (الفتح العربي لإيران،

العالمين العربي والإسلامي والتي كانت تتطلع إلى إيران، على نحو ما، حتى أيام الشاه كما سبق ذكره. في الإسلام، كما في الديانتين الإبراهيميتين الأخريين، أجهان كلاميان (لاهوتيان)، اتجاه التنزيه والعدل، واتجاه الرحمة والعناية والفضل، والمعتزلة مع شادة الاتجاه الأول (والذي يقال إن المؤسس واصل من عطاء تأثر فيه بالإمام زيد بن علي بن الحسين)، وقد تبهم في ذلك الزيدية والإمامية الأثنا عشرية. أما الاتجاه الآخر، اعضى اتجاه الرحمة والعناية (الإلهية) فهو اتجاه أهل السنة والمؤمنين، ويذكر مؤرخو علم الكلام نزوال المعتزلة أسبابا بينها ضغوط الأشعرية السنية، لكنني أحسب أن علة ذلك افتقار المعتزلة للجهاد بين العامة بسبب انفعالهم بمسألة العدل الإلهي، في تأكيد على ما يشبه الصراع بين الله والإنسان، ثم عدم متابعهم لأصولهم الأولى، وبينها أصلهم الخاص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما في التشيع فإن العدل اتخذ منحى إنسانيًا وسياسيًا بالذراع عن حق أهل البيت، إضافة للبعد الديني العميق في مبدأ أو أصل الحق الذي يواجه الباطل، ثم العقيدة الخلاصية المتمثلة في «الفقيه»، والتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا مرة أخرى بالحق الذي لا بد أن ينتصر على الباطل في الشروع المهوي، مهما طال الزمان، وبإعدل لطلب الذي تنزهه عود الإمام، «الذي يملأ الأرض عدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»، وكما لا يمكن تفسير التاريخ أو التجربة التاريخية للجماعات والأأم



مقاربة بتكرار العراق وسورية - وإيران. وهناك مشكلات التباين والهجائين والمهاجرين الظاهرة بباكستان بعد الحرب العالمية، ومشكلات البوشر بين باكستان وإيران وأفغانستان، ومشكلات الهجرة والطايع والأوزبك وأفغانستان، والبع والأمر الآخر الذي أحدثه ظهور الدولة الوطنية كان كسل الإحساس إلى فئات وأقليات (منها المسيحيون والشيعة، ومنها الأكراد والبربر)، ورغم التفتية، القومية، أو سببها، بالفرن والاضطلام، وشالهم في ذلك شأن السنة في الدول التي وجدوا القسم القليات فيها مثل الهند والفلبين وتاييلاند - وحتى إيران - وصحيح أن «الحرب الباردة، بين الجبارين ضمن النظام العالمي بعد الحرب الثانية، شثنت باحدوم الجديدة، والحدوث الجديد الثورات، وتشتيت الولايات الوطنية المطالبة بحسب الاضطواء في أحد المسيكرين: لكن الشلطات ذات البعد الأولى ظلت تلتصق بحسبًا لأوضاعها، إما من طريق المشاركة في التفتيرات الداخلية، أو من طريق التماس العون (ولو الخفي) من الدول والمراجعات التي تعتبرها الأقرب إليها. ولذلك فقد كان هناك تطلع من الأتراك بقرص مثل إلى تركيا، ومن جانب الشيعة بباكستان والبحرين وإيران والعراق وأفغانستان إلى إيران - وهذا أولًا وفي المسألة بين السنة والشيعة بعد هذا الاستطارد الطويل، الجد أن هناك «دائية، شاعية ظهرت في الدول الجديدة، وغالبها من أجل المساواة والمشاركة، وليس من أجل الانفصال، وفي مناطق مثل العراق ولبنان والبحرين وباكستان وأفغانستان وتنزانيا ونيجيريا... إلخ. وقد شكل هذا الوعي مرجعًا من الإحيائيات القومية واليسارية والدينية يقوم على «استعادة الهوية الخاصة، وتطلب ثيوقراطية سياسية، وبالإجمال فقد غلبت القضايا الانثوية في حقبة الدول الوطنية الأولى، والثورات الأسيولوجية اليسارية في زمن الحرب الباردة، وتشكلات الدينية في حقبة الإحياء الإسلامي، دون أن يخدم البعد الانثوي والقومي الأول كليًا. إن قيام الثورة الإسلامية في إيران لا تنحصر أسبابه بذلك، بله، بيد أن اتجاه الإسلام، وقد تعددت أسبابه وأجتيحاته، يحاول منذ عقود وعند السنة والشيعة جرف الدولة الوطنية التي قامت بالشرق قبل قرابة القرن، وقد تمكن من ذلك في إيران عام ١٩٧٩ حين سقطت تلك الدولة في خضم دوران هائل، ولصالح المؤسسة الدينية التقليدية»، ولأنه إحياء إسلامي شعبي بالدرجة الأولى - وليس إحياء فوقي إيراني - فقد ترك أثرا هائلًا على سائر الأقليات (والأشعرية) الشيعية في

السنة والصراع

وعاد منها إلى العراق مع الفُرقة الأمريكية. والأمر كذلك مع حزب الله اللبناني، والذي أشره الشاه النجدي الإيراني أواخر العام ١٩٨٢، ودره وسلحه لقتلة الاحتلال الإسرائيلي جنوب لبنان، وهو يدعى بالوفاة لمرشد الثورة الإسلامية بإيران، كمائل التنظيمات الشيعية التي نشأتها إيران في البلدان العربية الإسلامية والمهاجر. وقد هدأت الجبهة بين حزب الله وإسرائيل بعض الشيء بعد انسحاب الإسرائيليين من جنوب لبنان عام ٢٠٠٠، وعلى أثر المهادنة العملية الحاصلة بين إيران والولايات المتحدة. لكن الفشل الأمريكي بالعراق، وزيادة نفوذ إيران في ذلك البلد، ويزور الأزمات الشيعية اللبنانية، وتغير السياسات الأمريكية بالخطية، وصولاً للتشدد معزوداً أحمدى تجداد إلى رئاسة الجمهورية بإسرائيل، وحملاته الشواعة على السياسة الأمريكية، وعلى إسرائيل، كل ذلك أعاد التوتر بين الدولتين. ولذلك فقد شن حزب الله غارة شواء على إسرائيل في ١٢ تموز (يوليو) عام ٢٠٠٦، أجابت عليها إسرائيل بحرب دمرة على لبنان أبعدت خلالها الحرب عن الحدود مع فلسطين المحتلة. لكنها ما استطاعت القضاء عليه. وقد أدت حرب تموز (يوليو) إلى توتر كبير وانقسام في لبنان، وبخاصة بعد تصريح السيد الخامنئي بأن إيران ستدور هزيمة بالولايات المتحدة في لبنان. وبالفعل فقد ارتد الشاه إلى بيروت، وحاول إسقاط رئيس الحكومة (السني) وترافق ذلك مع خطابات زائدة لزعيم الحزب السيد حسن نصر الله أشعر فيها رئيس الحكومة اللبنانية ومشاهير عملاء لولايات المتحدة وإسرائيل، وقال إنهم دفعوا إسرائيل لضرب حزب الله، وخطفوا تهجير الشيعية من طريقه منهم. من العودة للجنوب؛ ولا يزال حزبون من حزب الله، ويعيش الشاه الحزبي لسورية، يتبعون أمم القربى الحكومى منذ أكثر من عام. وهكذا فبعد العراق وسورية (التي تحولت في وجه ضمن وجوها المتعددة إلى مديح بين السنة والمشيح فيه)، كاد التوتر السياسي والاجتماعي والطقاني أن يتحول إلى نزاع مفتوح بين السنة والشيعية بلبنان أيضاً. وقد حدثت جرائم طائفية بين الطرفين بالفعل؛ لكن تجاوزها يتدخل سعودي وإيراني، ولأن الطرفين السني والشيعي بلبنان، لا يملكان ذاكرة فزاعة شأن نواح أخرى في العالين العربي الإسلامي. ولا يزال حزب الله (ومن ورائه جمهور شيعي زارح) قائماً بسلامحه وأجهزته وأمنه، وبمعية الكيان الدائى الفصل وأواجه الدولة اللبنانية (حسبما قاله كاتب لبناني من أصل شيعي: دولة حزب الله، ١٩٩٤).

بالأحر الشيعي حتى الآن بشكل ظاهر رغم الحساسيات العالية بينهما؛ إذ نأى كلا منهما لا يزال يتناضل ضد خصومه الرئيسيين. لكن بعض المتشدين السنة. والذين يشعرون لقاء بين الجهاديين والسلفيين (ومن هنا تسمية القاعدة والتنظيمات المشابهة: السلفية الجهادية)، وروا سلفية أعلى تجاه الشيعة بشكل عام في من موازيت السلفية (وقد ظهرت في السنوات القليلة الماضية بالعراق). والأمر الأخير الذي يستحق الذكر في اختلاف التطور بين الأوجهين، أن الإحياء الشيعي استطاعت المؤسسة الدينية الشيعية استيعابه وقبضته من خلال تقليد الوالية الفقيه، ويتركز في إيران جامعاً الموارث الدينية والمؤسسية والقومية للبلاد.

وكالت الإحيائية الإسلامية الأخرى. اعنى السنية (الطبعة بالسلفية). وفي الوحي وليس في الواقع، بين أسباب عودة التوتر إلى اندلاع بين السنة والشيعية، وإن بشكل غير مباشر، بعد أن تهيأت أرضيته وأسبابه. الإسلام السياسي السني الذي تبلور إليه تلك الإحيائية، وبخلاف الإحياء الشيعي، ما استطاع الوصول إلى السلطة في دولة سنية رئيسية. بيد أن توفقه لذلك ما توقف أو خبا. ويكون علينا أن لا ننسى أن الرئيس المصري أنور السادات سقط برصاص جهاديين الإحيائيين السنة عام ١٩٨١، أي بعد عامين على وصول الإحيائيين الشيعة للسلطة بإيران. ولخالد الإسلامبولي شارع باسمه في طهران حتى اليوم؛ لأن الإسلاميين الإيرانيين

الأنظمة القائمة، وبخاصة تلك التي ما كانت علاقتها بالنظام الجديد في إيران جيدة بسبب علاقتها بالولايات المتحدة، قد دعمها للعراق في الحرب عليه. كما أن النظام الثوري الإيراني أنشأ واستقبل أو دعم تنظيمات معارضة ما كانت شيعية (كها) من البلدان العربية والإسلامية استخدمها فيما بعد في الجبهات الأكثر إزاجاً لخصومه ومناوئيه (مثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوة بالعراق، والجهاد الإسلامي في فلسطين، وحزب الوحدة في أفغانستان، وفي العقد الأخير: حركة حماس).

وعندما انتهت الحرب العراقية-الإيرانية عام ١٩٨٨ وتوفي الإمام الخميني بعدها بقليل، بدأ أن الأمور بين السنة والشيعية، وبين العرب والإيرانيين هدأت بعض الشيء، والعراق تلقى ضربة قاسية جداً على أثر مهاجمته لكويك، والسيد الخامنئي (الذي خلف الخميني في منصب المرشد الأعلى للثورة، الولى الشيعي) والرئيسان وفلسطيني (٨ سنوات)، وخالص (٨ سنوات) اتجهوا جميعاً للفتح على الجرح، وإعادة البناء، ولافتتاح على دول الجوار، وعلى العالم. وبذلت جهود كبيرة من جانب العرب والمسلمين الآخرين، ومن إيران، لتجاوز آثار وعقبات النزاع الذي اتخذ وجوها عدة. وباستثناء مصر؛ فإن العلاقات العربية الإيرانية الرسمية، والعلاقات الإيرانية الإسلامية الرسمية تحسنت واستمرت في التحسن بالفعل. لكن إلى جانب العلاقات الرسمية استمرت التنظيمات الشيعية والأخرى المدعومة من إيران في العمل والفعالية. وقد نهيت إلى استمرار النزاع والتوجس بعض الأحداث هنا وهناك في العالين العربي والإسلامي، وتشتلت في التناقض بين إيران والسلفيين^(١) في المجال الجديد بجمهورية آسيا الوسطى والقوقاز، وجها وسفاحات، تشيع العام الإسلامي، وفي بعض النواحي والمناطق أخيراً^(٢). وفي دورات العنف بين المتشدين السنة والشيعية في باكستان، وفي عودة التوتر بين السنة والشيعية على أثر صعود طوائف في أفغانستان، وحوادث متفرقة أخرى بين الجاليات الإسلامية ببلدان المهاجر، إذ انقسم هؤلاء إلى سنة وشيعية تصارعوا على المساجد، وعلى العلاقات بدول المهاجر. فالدائنية الشيعية التي بدأت قبل الثورة الإسلامية الإيرانية، وخارج إيران، بصورة طلب هوية خاصة، تبلورت بعدما في انفصال وانقسام عامودي ما اقتصر على الفئات المتدينة على النصف الجديد من الفرقين، بفعل التشدد السلفي لدى بعض أهل السنة، والعلاقة الولانية بإيران لدى كثره من الشيعة.

علينا ألا ننسى أن السادات سقط برصاص الإحيائيين السنة عام ١٩٨١، أي بعد عامين على وصول الإحيائيين الشيعة للسلطة بإيران

بينما اصطدم الإحياء العديتي السنن بالمؤسسة الدينية السنية، كما اصطدم بال دولة، وبالجمع الدولي والعالم. وما اعتنيه بذلك أنه بعد أن صادم الجهاديين السنة (الاتحاد السوفيتي في روسيا الاتحادية في أفغانستان وفي آسيا الوسطى والقوقاز، والتشيشان، شوا دورتها على الولايات المتحدة والغرب، بلغت ذروتها في ١١ أيلول (سبتمبر عام ٢٠٠١)، بغزة، نيويورك (رحم التجارة العالي) واشتعلت وزارة الحرب الأمريكية، ومقر المخابرات المركزية). وودت الولايات المتحدة ومعها الغرب والشرق بإعلان الحرب علانية على الإبراهيم الإسلامي، السنن بالتحديد، ومن ضمن واقع تلك الحرب المستمرة، حتى اليوم احتلال أفغانستان أواخر عام ٢٠٠١، واحتلال العراق عام ٢٠٠٣. وقد أفادت إيران من ذلك الحروب (التي تشاورت الولايات المتحدة معها بشأنها وربما أكثر) بزوات نظاميين كبريين بالسنن ليه هذا نظام طائفي بأفغانستان ونظام شيعي حسين بالعراق. ويؤيد الرأي في المناطق الشيعية بأفغانستان تنظيم شيعي موالي لها. كما يحكم بالعراق اليوم أيضاً تنظيمات شيعيان كانوا في المنفى بإيران.

ما نسوا إيواء الرئيس السادات لشواء محمد رضا بهلوي بعد مفادته لإيران، وعدم الجانه بالولايات المتحدة، وفيها على الاشتراك في الروية (ولاية الفقيه لدى الشيعة منهم والحاكمية لدى السنة)، والأهداف (الاستيلاء على السلطة)، ما تشابهت مصانير الأصوليين.

فبإضافة إلى عدم وصول الأصوليين السنة للسلطة في دولة رئيسية من خلال حركة شيعية زارحاً وصلوا إلى السلطة بالسودان من طريق الانقلاب (المسكري)؛ اختلوا عن نظرائهم الشيعة في الانقسام إلى تيار رئيس، ما عاد يقول بالعنف، ويريد المشاركة في الشأن عاماً سلماً ومن خلال المؤسسة القائمة - وتبارق القوى متشددة سلك سيول (الطائفي)، أو التنازل، أي ضد القوى العظمى والغرب، وضد الأنظمة القائمة في البلدان العربية والإسلامية، وما اصطدم الإحياء السنن



حركته، ما خلّصته السياسات الدولية التدخلية وحسب؛ بل المثيران الآخران اللذان انتجتهما الحداثة ذاتها: الإحياء القومي (الدولة الوطنية)، والإحياء الديني (الأصولية الإسلامية)، وفي حين تلاقي الإحياءين بإيران من خلال قيام نظام ولاية الفقيه الشيعة في تلك الدولة القومية الكبرى والعريقة، لا يزال الإحياء الديني السنّي يتصارع مع الدولة الطائفية العربية والإيراني، والسني والشيعة فقط، بل ولدى الأطراف الصغرى الأخرى في العالم الإسلامي، «والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

هوامش

- (١) لأن تسمية فتوى دعم فيها فتوى الجيش الموكلي لنتيجة بيجل لبنان، والتي كان سكانها من الشيعة بجمهورية العراق مع بقايا المسيحيين (بقرص) فكشفت أريج أن أولئك كانوا من الإسماعيلية، وليسوا من الإمامية الاثنى عشرية، لأنه يعتبرهم من الباطنية، وأنه ليس في مناطقهم مساعد، وهذان سمتان لا تتطابقان مع الإمامية.
- (٢) علمت من الرئيس شامسي رهنجاني (صاحب الفضل على إنشاء منظمة رهنجاني) أن الفقيهين العتباتيين بترجمة كتاب سيد صاحب عقول، الأمل، إلى الفارسية، وقد اختار المرشد الأعلى للثورة الإسلامية بإيران السيد علي خامنئي لكتابه في الأجزاء الثلاثة المنشور ببلدان عام ٢٠٠٦ عنوان، حاكمية الإسلام بين النظرية والتطبيق.
- (٣) رضوان السيد، الحرب وإيران، الدولة والإسلام والجمع الديني، في كتاب، سياسات الإسلام المعاصر، بيروت ١٩٩٧، ص ١١٢-١١٦.
- (٤) قامت قبل أعوام بترجمة كتاب بيجل لمرشد الدين الدين والسياسة في إيران ونشر للمرة الأولى بالجلسات السنّة للثقافة بالقاهرة (٢٠٠٤) وللمرة الثانية ببيروت عام ٢٠٠٧. ومع هذا فإن فهم تركيبة التشيعة الإيرانية، وأسباب تمكن رجل الدين الإيراني من الوصول إلى السلطة.
- (٥) يذكر ولي نصر في كتابه (٢٠٠٦) Shia Revival (مصحوة الشيعة) أن السلطة في شبه القارة الهندية، خارجها، هي السني المزدك لتتوزع لدى الشيعة، وبالتالي تتوزعهم هناك ثم في كل مكان. وهذا لا دليل عليه لا في الوطن العربي، ولا في باكستان حيث زاد أخيراً في الانتخابات حزب الشعب الذي تدعمه الأقلية الشيعة هناك دعماً قوياً.
- (٦) في كلام كثير في الإعلام عن «التشيع في السودان وروية وصغر وسببها الواسع في والدوليين والجيبيين ونزاعاً».

الجديد، من جهة ثانية، هازداد الاضطراب الطائفي في العراق، والذي أحدثه الغزو الأمريكي - قافلاً واستعاراً، واصطدم حزب الله في لبنان بإسرائيل ثم بالحكومة اللبنانية، وتفاقم الاضطراب في البحرين، وبكاد الشيعة يفسخون في أفغانستان. وكذلك في العراق، فالحزبان الحاكمان هناك، والعمالان من الولايات المتحدة وإيران في الوقت نفسه (١) لا يسعيان للسيطرة على العراق كله بل يحاولون تقليد الأكراد، بالانفراد بالسيطرة في مناطق الكثرة الشيعة الفخية بالنفط، وفيها المزارات الشيعة المقدسة (تسع معاقفات).

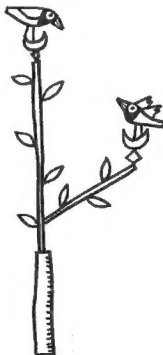


وفي المملكة، هناك شرح أثير بين السنة والسنّة، وبين العرب والإيراني، ولأن إيران تستخدم ترميزاتها وحلفاءها في الوطن العربي، في تجاذبها مع الولايات المتحدة، وتنافرها مع هذا النظام العربي أو ذلك، فلا يسيل لتهدئة التوتر في المدى العربي إلا باستمرار التواصل الرسمي مع إيران، أما في المدى المتوسط، فقد يكون من المفيد متابعة وتقوية التواصل الديني والتواصل الثقافي مع الجهات الدينية والثقافية بجمهورية إيران الإسلامية، وكذلك إجراء محادثة إستراتيجية، بحيث نخرج من الاشتباك باتجاه التشابك، كما يوشك أن يحصل مع دولة الجوار العربي الكبرى الأخيرة، تركيا. أما مع الشيعة العرب، وفي ديار الصامع الإسلامي الأغر، فلا بد من علاقات ووجود تواصل أكثر حيوية وتفهماً واستيعاباً ضمن المجتمعات الوطنية، وضمن المؤسسات الإسلامية المتنامية.

وتبقى لجامعة الأساس والتي تفجرت وما عاد تجاهها ممكناً، وهي الصمامات والتشكلات في المجتمعات الوطنية على مدى الوطن العربي، والعالم الإسلامي، تارة عبر الأقليات والأقليات، وأحياناً والشروعات المتناضعة، وتارة يسبب الإحياء الديني الأصولي أو المذبي، فكما لم تحمنا الوحدة الاثنية واللغوية من بروز نواظر وإكاليات ضمن الأقليات والخريف، والثقافية، فإن الكثرة السنية الهائلة في المدى العربي والإسلامي لا تُلغى الإدراكات الأخرى المذهبية أو السياسية، وبخاصة في عصر الإحياء الإسلامي (الشيعة والسني)، والذي يؤكد على التمايزات، وعلى العودة للذات، بل ويعمل ويعمل من خلالها، كما من خلال الإدراكات الوطنية والقومية. إن اجتماع التقليدي الإسلامي بترتيباته وتربيته وتعدديه وآليات

الشعبية، والحرب العراقية، والمسايات الدولية (الولايات المتحدة)، كل ذلك شرحاً عميقاً بين العرب وإيران، وشرحاً بين الشيعة والسنة. وأقليت إيران من جهتها لها إقامة تنظيمات حزبية شيعة موالية لها دينياً، وأخرى غير شيعة موالية لها سياسياً، في البلاد العربية والإسلامية، وقد هدأت الأمور بين العرب وإيران بعض الشيء بعد توقف الحرب العراقية- الإيرانية عام ١٩٨٨، لكن النشاط الديني والسياسي الإيراني في العالمين العربي والإسلامي لم يتوقف في التسعينيات، وتطورت المهادة بين إيران والولايات المتحدة بعد العام ٢٠٠٠ بسبب التصادم بين أمريكا والإحياء الإسلامي السني (متشكلاً بالفاصلة والسلفية الجهادية)، في الوقت الذي اشتد فيه التوسل الأمريكي إلى إدارة بوش الأولى التي سيطرت فيها روى وسياسات المحافظين الجدد) من الإسلام السني، ومن العرب، في الوقت نفسه. وهكذا أهدت إيران من الحرب الأمريكية على العراق، وعلى الأنظمة الفاسدة، بالتدخل بواسطة الغزو الأمريكي من نظام طائبان بأفغانستان، ومن نظام صدام حسين بالعراق. لكن بسبب التجاذب مع الأمريكيين بعد العام ٢٠٠٠ على العراق، وعلى الثورة، وعلى سياسات العزل والحصار، احتفظت إيران بخلاياها وحلفاءها المقيطنين والتمسكين في العالم العربي والإسلامي، لصون مصالحها الوطنية من جهة، ولشراكة الولايات المتحدة في «الشرق الأوسط

تمايزت في الاعتقاد والفقه وروية العالم. وقد أحدثت تلك التمايزات التاريخية، والتي تبلورت اجتماعياً وسياسياً، احتكاكات ذات طابع مذهبي أحياناً، لكنها في التمايز بين القديم والحديث ما تحولت إلى فتز وحروب إلا على مستوى الدول، أو بالأحرى، إن تلك العلاقات ما توترت حقاً إلا عندما كانت الحرب تنشب بين إيران (الشيعة) وأحدى الدول السنية أو المدعية لذلك (العثمانيين قديماً وصدام حسين حديثاً)، وأسباب غير دينية أو متهمية في الأصل، أو عندما تفرض ذلك السياسات الدولية (كما في حالة العراق وأفغانستان الأولى). بيد أن التوتر الكبير الحاصل بين الطرفين في الزمن المعاصر هو نتائج ثلاثة عوامل: الإحياء القومي، والإحياء الديني، والسياسات الدولية المغالطة أو المأثرة في حشيتي الإحياءين. تظهر الإحياء القومي في العالم الإسلامي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وفي ظله تكونت الدولة الوطنية / القومية لدى العرب، وتطورت بحسب لدى الأتراك والإيرانيين، وفي حين أحياء الإحياء، أو بالأحرى ما تبلورت ذاتها، وانتشرت أساليبها، بفعل مستحبات الحدود، وتطور مشكلات الأكرسية والأقلية والأثنية والدينية والطائفية، والصراعات على السلطة، وفشل نظام الدولة الوطنية / القومية في إرضاء تطلعات الناس للثبات، وبخاصة ضمن الموضوعات الأثنية والدينية والمذهبية الذين شعروا بالاختلاف الخلف الطائفي للدمج القسري الخلفي للتمايزات. ومع اندلاع الإحياء الديني لدى السنة والشيعة بعد الحرب العالمية الثانية، تصاعدت تلك التمايزات وتبلورت دون أن يعطدهم الإحيائيون الشيعة والسنة أحدهما بالآخر لانفصام كل منهما في استعادة الهوية العنانية، والخاصة، واتجاه كل منهما لجرف الدولة الوطنية / القومية في الإحياء السنّي بالوطن العربي لا يزال التصارع والتحدّي قائماً وجارياً، أما الإحياء الإسلامي القديم فقد تمكن من الاستيلاء على السلطة في الدولة القومية الإيرانية، ومن طريق المرجعية الدينية التقليدية. وهناك أقدام نظاماً شيوخاً طائفي اعتبر نفسه المذبة الأكثر مشروعية للشعب الإيراني منذ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والزعماء الأجدية للشيعة في كل العالم. وفي ذروة التوتر الكبير لإحياء الشيعة بإيران وفي العالمين العربي والإسلامي، صدام نظام صدام حسين بالبراق، وباسم العروبة تارة، وباسم الإسلام (السني) تارة أخرى، يشتد شعور في الجمهوريّة الجديدة، استمرّت ثمانين سنوات، وقد أحدث الإحياء الديني



”مغامرات في عالم جديد“

ألان جرينسبان



■ في مساء الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) عام ٢٠٠١ كنت في طريقى إلى واشنطن على متن رحلة سويس إير رقم ١٢٨ عائداً من اجتماع روتيني لرجال البنوك العالميين في سويسرا. كنت أسير بالقرب من الكابينة عندما أوقفني رئيس الأمن بوب أجنيو الذي يصاحبني في رحلاتي إلى الخارج في عمر الطائرة. وبوب رجل استخبارات سابق وهو شخص ودود غير أنه ليس شراراً. في تلك اللحظة بدأ متحجماً، ثم قال بصوت خفيض: «سيدى الرئيس، قائد الطائرة يرغب في رؤيتك في المقدمة. فقد اصطلحت طائرتان يركزان التجارة العالمي.. ويبدو أنه بدت على وجهي نظرة استقرا ب وعدم تصديق لأنه أضاف طائلاً.. إلى لا أزعج».

دخل الكابينة. بدا القائد مضطرباً إلى حد كبير. قال لنا إن هناك هجوماً رهيباً ضد البلاد. فقد اختلطت عدة طائرات واصطدمت طائرتان يركزان مركز التجارة العالمي وطائرة بالهنتاجون. وهناك طائرة مفقودة. وقال بإنجليزية ذات لكنة أجنبية بعض الشيء إن ذلك هو كل ما لديه من معلومات. كنا حينذاك عائدون إلى زيورخ. ولم يكن يعتزم إعلان السبب للركاب الآخرين.

سألته: هل نحن مضطربون للعودة؟
الآن يمكن أن نهبط في كندا؟ أجاب بالثقة، ذلك أن الأوامر صدرت له بالعودة إلى زيورخ.

عدت إلى مقعدي بينما كان القائد يعلن أن برج المراقبة وجدنا إلى زيورخ. وعلى الفور أصبح هناك تزاحم على التليفونات الموجودة على المقاعد ولم

عمر الاضطراب
مغامرات في عالم جديد
ألان جرينسبان
ترجمة: أحمد محمود
مراجعة: سامر أبو هوش
كلية: أبو ظبي
دار الشروق - القاهرة - ٢٠٠٨

لنفسى إننى لست شديد القلق لذلك... ولكن ماذا لو كانت قد ذهبت في آخر لحظة لزيارة أحد الجنرالات في البنتاجون؟

كنت قلقاً على زملائي في بنك الاحتياط الفدرالي، هل هم في أمان؟ وماذا عن أسرهم؟ ربما يكون العاملون يتحركون بسرعة ليتجاوبوا مع الأزمة. فهذا الهجوم. وهو الأول على التراب الأمريكي منذ بيرل هاربور. سوف يحدث اضطراباً في البلاد. وكانت المسألة التي أريد التركيز عليها هي ما إذا كان الاقتصاد سيضار أم لا.

كانت الأزمات الاقتصادية المحتملة جميعها شديدة الوضوح. وكانت أسوأ انهيار النظام المالي، وهو ما ظننت أنه غير مرجح إلى حد كبير. فبنك الاحتياط الفدرالي مسؤول عن نظام الدفع الإلكتروني الذي يحول أكثر من ٤ تريليونات دولار يومياً من النقود والأوراق المالية بين البنوك في أنحاء البلاد وجزء من سائر بلدان العالم. كنا نلظن باستمرار أنه إذا أراد أحد إعاقة الاقتصاد الأمريكي فعليه بتدمير أنظمة الدفع. إذ سوف تجر البنوك على اللجوء إلى التحويلات المالية غير الكفء. وسوف تلجأ الأعمال التجارية إلى المقايضة والقرارات الدائن، سوف يهوي مستوى النشاط الاقتصادي في أنحاء البلاد كالبحر.

انشاء الحرب الباردة، وكإجراء احترازي ضد أي هجوم نووي، بنى بنك الاحتياط الفدرالي عدداً كبيراً من المخونات المتكررة داخل منشآت الاتصال والكمبيوتر التي يعتمد عليها النظام النقدي. وكان لدينا كل أنواع الاحترازاات بحيث نحفظ نسخ من ملفات بيانات أحد طرور بنك الاحتياط الفدرالي في فرع آخر للبنك على بعد مئات الأميال أو في مكان ما بعيد. وفي حال وقوع هجوم نووي كنا سنعود بسرعة كبيرة للعمل من المناطق التي لم تتعرض للاشعاع. وكان هذا النظام هو ما يدعو إليه روجر فيرجسون نائب رئيس بنك

مسية في حقيبتى. هل كانت تلك الهجمات بداية مؤامرة أكثر اتساعاً؟ كان همى المباشر زوجتى. أندريه كبيرة مراسلى التشتون الخارجية بشبكة إن بي سي، في واشنطن. لم تكن في نيويورك، وهو ما أراخنى كثيراً، ولم تكن زيارة البنتاجون ضمن أجندتها في ذلك اليوم. افترضت أنها قد تكون في مكتب إن بي سي، في وسط المدينة، منشغلة إلى حد كبير في تقطعية الأخبار. قلت

اتسكن من الاتصال بالأرض. وكان زملائي في بنك الاحتياط الفدرالي الذين كانوا معي في سويسرا في عطلة نهاية الأسبوع تلك على رحلات أخرى. وبما أنه لم يكن أمامي من سبيل لمعرفة كيفية تطور الأحداث، لم يكن لدي ما أقوله سوى التفكير طوال الثلاث ساعات ونصف الساعة التالية. كنت أنظر من النافذة. بينما العمل الذي أحضرته معى، وأكوام الذكريات، وأكوام التقارير الاقتصادية

ولد آلان جرينسبان في عام ١٩٢٦ في نيويورك. وبعد دراسة الكلايرينيت وعمله كمكازف محترف حصل على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه في الاقتصاد من جامعة نيويورك. في عام ١٩٥٤ أسس شركة الاستشارة الاقتصادية «تاونسند وجرينسبان وشركاهما». في عشرينه من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٧ عمل رئيساً لمجلس المستشارين الاقتصاديين في عهد فورد. وفي عام ١٩٨٨ عينه ريجان رئيساً لمجلس إدارة بنك الاحتياطي الفيدرالي، وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى تقاعده في عام ٢٠٠٦.



نواجهها في مقدار تخفيض أسعار الفائدة. بعد الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) كانت التقارير والإحصاءات المتدفقة من فروع بنك الاحتياطي الفيدرالي تحكي قصة مختلفة إلى حد كبير. فمنظومة بنك الاحتياطي الفيدرالي تضم اثني عشر فرعاً موزعة على مواقع استراتيجية في أنحاء البلاد. وكان كل منها يقرر الأموال وينظم البنوك في منطقته. كما كانت فروع بنك الاحتياطي الفيدرالي كذلك بمثابة على الاقتصاد الأمريكي. إذ كان الموظفون والعاملون على اتصال مستمر مع رجال البنوك ورجال الأعمال من منطقتهم، وكانت المعلومات التي يجمعونها بشأن أوضاع الشركات وصفقات البيعات تسبق البيانات الرسمية المنشورة بشهر على الأقل.



ما يخبروننا به الآن هو أن الناس في أنحاء البلاد يوفوننا عن اتفاق أموالهم على كل شيء ما عدا الأنصاف التي تفتقر استبعاداً لبعض الجهات أخرى محتملة. مبيعات العقارات، وأجهزة السلامة، وزيارات المياه، كما زاد الإقبال على شراء وثائق التأمين، بينما انخفض ما يتفق على السفر والتأجير، والعقاد والسيارات وصناعة الموترات. وعلماً أن شحن الطعومات الخارجة من الساحل الغربي إلى الساحل الشرقي سيوقفه تعليق الشحن الجوي. ولكن، دعنا إلى حد ما من الطريقة الرسمية التي أضرمت بها أعمال أخرى. فعلى سبيل المثال، تباطأ بشدة تدفق أجزاء السيارات، وتدنسوا وارتفعوا إلى مصانع تدوير من خلال المعابر النهرية التي تربط المينتين. فكان ذلك أحد العوامل وراء قرار شركة فورد مؤخر بإغلاق خمسة من مصانعها بشكل مؤقت. وقبل ذلك بسنوات تحول الكثير من المصانع إلى الإنتاج، وأول بأول. بدلاً من تخزين الأجزاء والمكونات في المصنع، وكانت تعتمد على الشحن الجوي في تسليم المكونات المهمة عند احتياجها. وادى إغلاق المحل الجوي وتقييد حركة النقل على الحدود إلى حدوث التوقف والاختناقات والإعلاء بوابات العمل في الوقت نفسه كانت الحكومة الأمريكية قد زادت من حركتها. في سبتمبر (أيلول) وافق

الشرقية ودخلنا المجال الجوي المحطور للولايات المتحدة، فابتدأت مناقشات من طراز F١٦. وقيمتا في صحتها. وحصل قائد الطائرة على إذن بالتحليق فوق ما كان موقع الميجين التوام في الطرف الجنوبي من مانهاتن. وكان في ذلك الحين حطاماً يتصاعد منه الدخان. طوال بقود من الزمان كانت المكاتب التي يعمل بها لا تبعد سوى بضع مئتي سكنية عن المكان وفي أواخر ستينيات وأوائل سبعينيات القرن العشرين كنت أراقب الميجين يرمي بعد آخر وهما يرتفعان. أما الآن فخطاهما الذي يتصاعد منه الدخان هو أوضح معالم نيويورك من على ارتفاع خمسة وأربعين ألف قدم.

ذهبت مباشرة إلى بنك الاحتياطي الفيدرالي بعد ظهر ذلك اليوم لصحفيي الشرطة عبر الشوارع التي قيمت بها المتاريس. ثم بدأت العمل.

كان تدفق الأموال الإلكتروني يسير سيراً حسناً معظم الوقت. ولكن يمان أن الخطوط الجوية المدنية قد أوقفت. فقد تأخر نقل ومقاصد الشركات على النظام القديم (النظام الورقي). وكانت تلك مشكلة تقنية. وفي مشكلة كبيرة غير أن العاملين في كل فرع من فروع بنك الاحتياطي الفيدرالي قادرون تماماً على معالجة تدفق البنوك التجارية بمرسيد من الفروع على نحو مؤقت.

أضفيت معظم وقتي في الأيام التالية أراقب واتصمح بعلامات أي بعده اقتصادي ممتع. فطوال سبعة أشهر قبل الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) كان الاقتصاد يعاني من كساد ضليل جداً، حيث كان لا يزال ينفض عن نفسه آثار انهيار شركات الديت كود (تكنولوجيا المعلومات) في عام ٢٠٠٠. ولكن الأمور بدأت تعود سيرتها الأولى. فقد خفضنا أسعار الفائدة، وبدأت الأسواق (ب) الاستقرار. وفي أواخر أغسطس (ب) انتقل الاهتمام العام من الاقتصاد إلى جاري كونديت صبح الكونجرس عن كاليفورنيا التي سيطرت صحرائها، التي لا تشتم بالضرورة النخامة بشأن فقدان إحدى الولايات، على نشرات الأخبار المسائية. ولم تستمع أندريه الطور على الهواء بأي شيء ذي أهمية. والتذكر التفكير في النحو الذي بدأ عليه ذلك غير معقول. إذ لا بد أن يكون العالم في حالة جيدة إلى حد كبير إذا كانت أخبار التلفزيون تتركز بشكل أساسي على فضيحة محلية. ودخل بنك الاحتياطي الفيدرالي كانت أكبر مشكلة

أخيراً وصلت إلى أندريه على تليفوني المحمول قبل الساعة مئة دقائق مبدوء. وشعرت براحة كبيرة لصباح صوتها. وما إن طمان كل منا الآخر بأنه على ما يرام، قالت لي إنها لا بد أن تسرع؛ فقد كانت في موقع التصوير وتوشك على الظهور على الهواء مع آخر أخبار أحداث اليوم. قلت: «أخبريني فحسب ماذا يعمل هناك». كانت تمشك التليفون على إحدى أذنيها بينما منتج الأخبار الخاصة في نيويورك على المكالمات التي في أذنها الأخرى تصرخ تقريباً قائلاً: «أندريه، توم بروكاو قادم إليك. هل أنت مستعدة؟» لم يكف ما لديهما من وقت إلا لتقولوا «نصت، وهنا وضعت التليفون المحمول متحراً في حجرها وواجهت الكاميرات. لقد سمعت بدة ما كانت امرأة كاسمه في تلك اللحظة. لقد سقطت طائرة يونايتدس فلايت-٩٣ الرحلة رقم ٩٣، في نيشاغاني.



استطعت في ذلك الحين الاتصال بروجر فرجسون في بنك الاحتياطي الفيدرالي. راجعنا معاً قائمة أزمات الإذاعة، وكان كما توقعت شاماً مسيطراً على الأمور بدرجة كبيرة. وبما أن كل الرحلات المدنية المتجهة إلى الولايات المتحدة قد جرى إعادتها إلى الأرض فقد اتصلت بأندريه كاره، كبير موظفي البيت الأبيض طالباً منه إعادتي إلى واشنطن. وأخيراً عدت إلى الفندق بصاحبتي أفراد الأمن المكثفون يحرستني، في أنام قليل وأتفرغ التعليمات. عندما طلع النهار كنت محملاً جداً من جديد على متن طائرة لنقل الوفود تابعة لقوات الجوية الأمريكية من طراز KC-١٠. فقلت الطائرة الوحيدة المتاحة. كان الطيار مقتاداً على طلمات إعادة تصوير الطائرات بالوقود في الجو فوق المحيط الأطلسي. كانت الحالة المزاجية داخل الكابينة تشتم بالكابة. قال لي قائد الطائرة: «لن تصديق هذا. انصت، وضعت أذني على الميكروفون ولكني لم أسمع سوى السكون. أوضح لي قائد الطائرة الأمر قائلاً: «في العادة يكون شمال الأطلسي مكتظاً بالاتصالات اللاسلكية. وهذا السكون غامض وغريب. يبدو أنه لم يكن هناك أحد سواي في الجو. عندما اقتربنا من الواجهة البحرية

الاحتياطي الفيدرالي الآن. وكنت واقعاً من أنه وزملانا سوف يتحدون من أجل الصورية لملاحظة على تدفق النظام الولاري العالي.

ومع ذلك فإنه حتى وأنا أفكر في هذا الأمر شككت في كون ما في ذهن الحافظين هو إزيك النظام المالي مائياً. فالأرجح لي حد كبير أن ما عتو بذلك أن يكون صلا رمزياً لتعريف ضد أمريكا الرأسمالية. مثل القنبلة التي فُجرت في جراج مركز التجارة العالمي قبل ذلك بشماني سنوات. وما شعلتني هو ذلك الحوف الذي سيخلفه ذلك الهجوم. وخاصة إذا كانت هناك هجمات ستتو. ففي الاحتياطي بالقرن الذي عليه اقتصادنا من تعقيد يصطر الناس إلى التفاصيل وتبادل السلع والخدمات باستمرار، وتقسيم العمل على قدر دقيق من الوضوح بحيث تعتمد كل أسرة محيشية على التجارة في تحيا فحسب. وإذا انسحب الناس من الحياة الاقتصادية اليومية، أي إذا حصل المستثمرون من أسهمهم، أو ابتعدوا عن الاستثمارات، أو بقي المظنون في بيوتهم خوفاً من الذهاب إلى المراكز التجارية والشعور للأنحاريين. سوف يكون هناك تأثير كرهة اللجج. فهذه هي النضبية التي تؤدي إلى حالات الخزع والكساد. ويؤكد لهصة تلك التي تعرضنا لها لتتو أن تُحدث انسحاباً ضخماً من النشاط الاقتصادي والتكشاً كبيراً فيه. ويمكن لجواس أن يتخاضع.

قبل أن تهبط طائرتي بوقت طويل، استنحت أن العالم على وشك التطور على نحو لم يكن بإمكانني تخديده بعد. لقد تحطم ذلك الرضا بالذات الذي تبنيناه نحن الأمريكيين طوال عقد من الزمان بعد انتهاء الحرب الباردة. أخيراً وصلنا زيوج بعد الساعة وانصمت أمام بانيقوت المحلي. وكان الوقت لا يزال مصغراً في الولايات المتحدة. فلبسني مسكولو البنوكه الميسريون عند خرجت من الطائرة واندهوا بي إلى غرفة خاصة في صالة المفادير. وهناك اقترحوا عرض فيلم يصور انهيار الميجين التوام وحرق البيتناوج ولكنني رفضت. لقد عملت في المنطقة التي هي مركز التجارة العالمي جزءاً كبيراً من حياتي وكان لي أصدقاء ومعارف هناك. واقتربت أن أعدد الموتى ستكون مريغة وسوف تشمل أشخاصاً أعرفهم. لم أكن أرغب في رؤية الدمار. كنت أريد تليفوني يعمل فحسب.

خمسة أسابيع من تولية منصبه. وخرجنا سائمين من الاجتماعات والكساد العقاريين في مشاهداتنا القرون العشرين، وأزمة المخدرات والقروض، والاضطرابات المالية الأسيوية، ناهيك عن تكنولوجيا المعلومات الذي أعقب ذلك. وأحدث شيئا فشيئا اعتقد أن أعظم قوى الاقتصاد الأمريكي لكن في قدرته على التعافي، أي قدرته على استيعاب التمزقات والانشاء منها، وهو ما يكون غالبا على نحو وبسرعة لا يمكن التكهّن بهما. ناهيك عن كون ذلك لاري أرايد منه. ومع ذلك ففي هذا الظرف العرعب لم يكن هناك من سبيل لمعرفة ما سوف يحدث.



ظننت أن أفضل استراتيجية هي المراقبة والانتظار إلى أن نفهم على وجه الدقة ما سوف تكون عليه النتائج اللاحقة. لحادي عشر من سبتمبر (أيلول)، وهذا هو ما قبلته لقيادات الكونجرس في اجتماع عقد بمكتب رئيس المجلس بعد يوم التاسع عشر من سبتمبر (أيلول). فقد اجتمع كل من رئيس المجلس نينيس هاسترت، وزعيم الأقلية بمجلس النواب ديك جيفارت، وزعيم الأغلبية بمجلس الشيوخ تريبت لوت، وزعيم الأقلية لمجلس الشيوخ مري داسلر، بالإضافة إلى يوب روبين وزير الحراسة السابق في حكومة كلينتون، والمشار الاقتصادي مالميت الابيض لاري لينيسي في غرفة اجتماعات عادية ملهقة بمكتب هاسترت في الجزء الخاص بمجلس النواب بالكونغرس هيل. وكان أعضاء الكونجرس يرغبون في سماع تفسيرات لاري الاقتصادي للتحولات التي حدثت في الاقتصاد، وروبن ومتني. ولكن هناك جدية كبيرة في متابعه النقاش، فلم يكن

الكونجرس على تحميم صلح مبدئي للتوازن بمصادره ١٠ مليار دولار وخوّل الرئيس سبل استخدام القوة ضد الدول أو المنظمات أو الأشخاص، الذين هاجمونا. وحشد الرئيس بوش البلاد بما يرجع أن يكون أكثر خطه فاعلية خلال فترة رئاسته. فقد قال «إن الهجوم يستهدف أمريكا لأنها المبع علاما الحرية وفرص والتقدم في العالم، ولن يمنع أحد هذا الضياء من أن يستطع، وازدادت معدلات شبهية لتصل إلى ٨٦ بالمائة. وأصبحت السياسة مشاركة بين الحزبين، ولو لفترة قصيرة. وكانت افكار كثيرة تستدق على الكابيتول هيل هناك، خطط شملت ضح أسوا إلى شركات الطيران والترحيل، كما كانت هناك مخبوعة كبيرة من المهرحات لتحميم الضرائل على الأعمال التجارية لتضيق الاستثمار الراسمي، ونوقش التأمين ضد الإرهاب كثيرا. كيف نؤمن ضد تلك الأحداث المفجعة، وما هو دور الحكومة في ذلك، إن كان لها دور في ذلك؟

ظننت أن من الملح عودة الطيران التجاري لتخليق كي مجهول كل الأثار السلبية المنتشرة (واقف الكونجرس بسرعة على مشروع قانون لإنقاذ النقل بمبلغ ١٥ مليار دولار). ولكن فيما عدا ذلك كنت أصير قدرا أقل من الاهتمام لعملي تلك المخاضات، لأنني كنت مازما على رؤية الصورة الأكبر، وهي التي لم تكن واضحة لي بعد. كنت مقتنعا بأن الحل لا يكمن في الخطوات الكبيرة المتعجلة ماهظة التكاليف. فعادة ما أن أوافق اللطوار القومية الكبيرة في التي يشمر هي كل عضو من أعضاء الكونجرس أن عليه التقدم بمشروع قانون، ويشرح الرؤساء بالتصديق على القانون، وفي ظل تلك الظروف يمكن أن تحصل على سياسات قصيرة النظر وغير فعالة، بل ودات أثر عكسي. لذلك، مثل تقنين التزوير الذي فرضه الرئيس بيسكون أثناء صدمة بتروك أوبك الأولى في عام ١٩٧٣ (أدت تلك السياسة إلى طهور طوابير التي تصك على البنزين في بعض أنحاء البلاد في ذلك الحين)، ولكن من خلال خبرة أرمعة تعلم عا ما على كبريتك لينك الاحتياط الصعاري راب فيها الاقتصاد وهو يخرج سائما من أزمات كثيرة، بما في ذلك أكبر انهيار ليو وأحد في تاريخ سوق الأوراق المالية، وهو ما حدث بعد

هناك استعراض، (الذكر أنني قلت لنفسي إن هذه هي الطريقة التي ينبغي أن تعمل بها الحكومة.)



عرض لينيسي الفكرة التي تقول إنه بما أن الإرهابيين وجهوا صرية للشفقة الأمريكية فإن أفضل طريقة للرد هي خفض الضرائب، وأبدى هو وآخرون تأييدهم لصبح حوالي ١٠٠ مليار دولار في الاقتصاد بأسرع ما يمكن. ولم يفرعني الرقم، فهو يساوي واحد بالمائة من المخر السنوي الإجمالي للبلاد. ولكني قلت لهم إنه ليست لدينا طريقة بعد لمعرفة ما إذا كان مبلغ المائة مليار أكثر من اللازم. ومع ذلك فقد تأخر سجالا الخطوط الجوية والسباحة تأخرا شديدا، وإماتلات الصحف ماخبار عن كل أنواع الاستفناء عن العاملين. (لا أن ما يدعو للشفقة أنه في يوم السابع عشر من سبتمبر (أيلول) أصبحت سوق نيويورك للأوراق المالية (البورصة) في إعادة فتح أبوابها، وفي الواقعة على بعد ثلاثة فترات سكانية من المنطقة صفر (موقع مركز التجارة العالمي). وكانت تلك خطوة مهمة لأنها أعادت الإحساس بالطبيعية إلى النظام. فقد كانت تلك الفدرالي، وفي الوقت نفسه استمر نظام الدفع بالبيكات عافيته، ولم تتداع البورصة. إذ انخفضت الأسعار فحسب ثم استقرت وهو مؤشر على أن معظم الشركات لم يكن يتعرض لشاكل خطيرة، قلت لهم إن الممار الحكيم هو الاستمرار في وضع الخيارات على أن نلقت مرة أخرى بعد أسبوعين، حيث تكون قد عرفنا المزيد.

أبليت الرسالة نفسها في صباح اليوم التالي في جلسة استماع عامة بلجنة البائس بمجلس الشيوخ، فأصبحنا ثلاثة، ليس لدي أحد القدرة على أن يحدد بشكل تام ما سوف تسفر عنه مائة الحادي عشر من سبتمبر (أيلول). إلا أنه في الأسابيع القليلة، عندما تخف الصدمة، سوف تكون قادرون على أن نحدد بشكل أفضل الطريقة التي نشكل بها التيايميكال المستمرة لهذه الأحداث النظرة الاقتصادية المباشرة، كما قلت مؤكدا: على مدى القديين الأخيرين أصبح الاقتصاد الأمريكي قادرا إلى مزيد كبير على تحمل الصدمات. فقد حسنت

الأسواق المالية المحررة من القيود، وأسواق العمل الحرة، ومؤخرا ذلك التقدم الذي شهدته تكنولوجيا المعلومات، فدرتنا على استيعاب التمزقات والتعافي منها..

الواقع أنني كنت أحاول تحميم الوضع أكثر من خوفي مما قد يكون عليه الحال. فكنشنا معظم من هم في الحكومة، كنت أتوقع إلى حد كبير المزيد من الهجمات، ولكن هذا الشعور مسكون عنه في العلن، ولكن يمكنك رؤيته في أغلبية تصويت مجلس الشيوخ: ٩٨-٠٠ لصالحه تحويل سلطة استخدام القوة ضد الإرهابيين، و١٠٠-٠ مشروع قانون سلامة الطيران. وقد كنت مهوما بشكل خاص بشأن سلاح الدمار الشامل، الذي قد يكون جهازا نوويا أسلولي عليه من الترسامة السوفيتية أثناء وجوده في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية. فكرت كذلك في لتويث مستودعاتنا. ومع ذلك فقد اتخذت في أحداثي الداعة أو المنشورة موهفا أقل تشاؤما، لأنني إذا عبرت بشكل تام عما أظنها الاحتمالات فسوف أخفق بمشروع بشفة. ومع ذلك كنت أدرك أنني ربما لا أخدم أحدا، فأوصي بسمعي الناس في الأسواق ويقولون أوافقكم، أامل بكل تأكيد أن يكون على حق.



في أواخر سبتمبر (أيلول) جاءت أصعب المعلومات، إذ من المعاة أن يكون أول مؤشر واضح لما يحدث للاقتصاد هو عدد المطامات الجديدة بإعانة البطالة، وهي الإحصاءات التي تجمعها وزارة العمل كل أسبوع. وبالنسبة للأسبوع الثالث من الشهر بلغت المطالبات ٤٥٠ ألفا بزيادة قدرها حوالي ١٣ بالمائة عن مستواها في أواخر أغسطس (آب). وأكد الرقم مدى خطورة المصاعب التي تراهها في التقارير الإخبارية بشأن الأشخاص الذين همضوا وظائفهم. وقد تخلصت هؤلاء الآلاف من صصال الحسناق والمتجننات وغيرهم في حالة لا يعرفون فيها كيف سيعيدون أنفسهم وأسرهم. وكنت على وشك الوصول إلى رأي مفاده أن الاقتصاد لن يعود سرته الأولى بسرعة. ذلك أن الصدمة كانت في الشدة بحيث يحد حتى أكثر الاقتصادات مرونة بصورة في التنامل معها. كنشنا غيرهم من المحللين. كان الخبراء الاقتصاديون في بنك الاحتياط

فلننت أن أفضل استراتيجية هي المراقبة والانتظار إلى أن نفهم على وجه الدقة ما سوف تكون عليه النتائج

الأحقة للحادي عشر من سبتمبر



نقدر شابع من الموضوعات، ذلك أنه كان بإمكاننا الوصول إلى مجال الأدبيات العريض الذي يتناول الكثير من المشاكل التي كان على وعلى زملائي في البنك أن نتصارع معها كل يوم. وبدون العاملين في بنك الاحتياط الفدرالي ما كان لي أن أتعاقل بحال من الأحوال مع ذلك الكم الهائل من الإنتاج الأكاديمي، الذي كان البعض منه متميزاً والبعض الآخر خريبت على الملأ. كما كانت لي ميزة استدعاء واحد أو أكثر من الاختصاصيين الاقتصاديين في مجلس إدارة بنك الاحتياط الفدرالي وسؤاله عن العمل الأكاديمي الخاص بالاضطلاع الحالي أو القديم، وكنت ألقى بعد قليل تقييمات مفصلة للآراء المؤيدة والمعارضة بشأن أي موضوع بالنقل، من أحدث ما وضع من المبادئ الرياضية لتقسيم تساهل المخاطر إلى ظهور كليات منتج الأراضي في الغرب الأوسط الأمريكي، ولم يمتني شيء أنه أحاول الوصول إلى الافتراضات الشاملة بعض الشيء.

غير عده من القوى العالمية كما عرفت، شيئاً فشيئاً وعلى نحو مخفي تقريباً. وكان الأكثر وضوحاً لطفنا هو التحول المتزايد للحياة اليومية بواسطة التلويح المحمول، وأجهزة الكمبيوتر الشخصي، والبريد الإلكتروني، وأجهزة الجوال، وشبكة الإنترنت، وادى استكشاف صفات السيليكون الإلكتروني بعد الحرب العالمية الثانية إلى صنع المخلجات متناهية الصغر، وعندها أحدثت الألياف البصرية مع أشعة الليزر وأحدثت الأقمار الصناعية ثورة في قدرات الاتصالات، وأدى الناس من يكرن في ولاية إلينوي إلى سكن في الصين حياتهم بتغير. وأصبح بإمكان نسبة كبيرة من سكان العالم الحصول على التكنولوجيا التي لم يكن تخيلها يمكناً في بداية حياتي العملية الطويلة في عام ١٩٤٨ إلا في سياق الخيال العلمي. ولم تصح هذه التكنولوجيات الجديدة أفقا جديداً ضاماً من الاتصالات متخلفة الكلمة بمس، بل يرسرت كذلك حدوث تقدم كبير في التلويح وحسنت إلى حد بعيد قدرتنا على توجيه المخطرات السائدة إلى الاستثمارات الرأسمالية الإنتاجية، التي تعد ممكناً لمعها لوقمة الأرزاء والدين يتسارع بسرعة.

أقلت الحواجز الجبركية في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية نتيجة لاعتراض عام بالانزعجة المحتملة قبل الحرب أدت

جديد: هذا إن كتب بحاجة إلى المزيد لتعزير من المعلومة. فذلك هو العالم ذو الاقتصاد الرأسمالي العالمي الذي يتسم بفقر من المرونة ومقاومة الصدمات والانفتاح وتصحیح نفسه وسرعة التعديل. يزيد عما كان عليه الحال قبل ربع قرن من الآن. وهو أيضاً ذلك العالم الذي يتبع لنا أكتايات جديدة صخبة بينما يعرض علينا في الوقت ذاته تحديات جسماء. إن عصر الاضطراب، هو محاولتي لفهم طبيعة هذا العالم الجديد، كيف وصلنا إلى ما نحن عليه، وما الذي نعيشه، وما الذي يوجد هناك وراء ذلك، خيراً كما أم شراً. وحينما يسمع الحال، أقبلت إقتل فهمي في سياق تجريبي، وأنا أفضل ذلك من باب الإحساس بالسكولوجية تجاه المسجل التاريخي، لكي يعرف القراء من أين



آيت، ولهذا السبب ينقسم الكتاب إلى نصفين: النصف الأول هو سعيي لتتبع قوس مخبئ تعلمي، والنصف الثاني جهد أكثر موضوعية لاستخدام ذلك كأساس أقيم عليه إطاراً مفاهيمياً لفهم الاقتصاد العالمي الجديد. وفي الطريف استكشف العناصر النقدية للبيئة العالمية الناشئة، أي مبادئ حكمها التي نشأت من عصر التنوير في القرن الثامن عشر. وبنية الطاقة التحتية الشاسعة التي نشأتها، والأختلالات المالية العالمية والتغيرات الضخمة في النموذج الاقتصادي العالمية التي تهددها، والأشغال المزمن بشأن عدالة توزيع مكافئها بالرغم من نجاحها الذي لا يشك فيه أحد. وأخيراً فإني أجمع ما يمكن أن نفترضه على نحو محقق بشأن تركيبة الاقتصاد العالمي في عام ٢٠٢٠.

وأنا لا ادعي معرفة الحلول كلها. إلا أنه كانت لي من موقعي الإشرافي في بنك الاحتياط الفدرالي في الوصول إلى أفضل ما كان يظن ويغال فيما يتعلق

نكمت به. كما أن الحمر المصطنع، المخترع أني أعطيته الضوء الأخضر لم يحدث. إذ غاص في وحل الإرسابة ولم يقو على الحركة. والحزمة التي ظهرت في نهاية الأمر في مارس (آذار) من عام ٢٠٠٢ لم تكن متأخرة شهراً عن موعدا حسب، بل لم يكن بإمكانها عمل الكثير من أجل الرهاء العام. لقد كانت هوسى مركبة من المشروبات التي لنقيد دولتر بعينها.

ومع ذلك فقد صحح الاقتصاد نصد (استعداد الإنتاج الصناعي عافيته في نوفمبر (تشرين الثاني)، بعد شهر واحد فحسب من الانخفاض السيمد. وبحلول ديسمبر (كانون الأول) كان الاقتصاد ينمو من جديد، وتراجع عدد مطالبات إعانة البطالة لتستقر عند معدل قبل الحادي عشر من سبتمبر (أيلول). وكان لتيك الاحتياط الفدرالي يد في هذا، غير أن ذلك لم يتم إلا من خلال زيادة ما قد تقوم به قبل الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) حيث خصص البنك اسعار الفائدة كي ييسر على الناس الاقتراض والإنفاق. لم يكن مهمتي رؤية توقعاتي لم تحدث، لأن استجابة الاقتصاد للموطة لم تعد الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) كانت دليلاً على حقيقة مهمة إلى حد بعيد: وهي أن اقتصادنا أصبح إلى حد كبير من مقاومة الصدمات. فلما نكت بقدر كبير من التفلون للجنة البنوك بجسدي الشيوخ تحقق. وبعد ذلك الأسابيع الأولى الهيبية، استعادت الاسر المعيشية والأعمال التجارية الأمريكية عافيتها، فلما أتت ولدت للدرج على المسبوقة من المرونة الاقتصادية؟ كان هذا هو السؤال الذي سألته نفسي.



يحاول الاقتصاديون منذ أيام آدم سميث الإجابة عن أسئلة تلك السؤال. فنحن نظن أننا متفولون اليوم بمواجهه فهم اقتصادنا المولوم، ولكن سميث كان عليه أن يخترع الاقتصاد في العصر تقريباً بطريقة يحسب بها حساب تطور اقتصادات العصر الحقة في القرن الثامن عشر. وأنا لست آدم سميث، غير أني في الفضول نفسه بشأن فهم القوى العريضة التي تحد صعدنا.

هذا الكتاب إلى حد ما قصة موليبيد، فقد عرفت بعد الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) أننا نعيش في عالم

الفدرالي يتطلعون إلى حزم الإنصاف وتخصيصات الضرائب المقترحة، والأبعاد المرتبطة بها. وقد حاولنا في كل حالة التعامل مع التفاصيل لرصد ترتيب الحجم. ومن الثلاث لثلاثتها أنها جميعاً داخل إطار المائة مليار دولار، وهو الاقتراح لاري ليندسي المبدئي.

اجتمعنا مرة أخرى في غرفة اجتماعات هاسترت يوم الأربعاء الثالث من أكتوبر (تشرين الأول) كي نتحدث من جديد عن الاقتصاد. وكان أسبوع آخر قد من وازداد عدد مطالبات إعانة البطالة الأولية سوءاً. إذ تقدم ٥١٧ ألف شخص آخر للحصول على إعانة البطالة، وفي ذلك الوقت كنت قد اتخذت قراراً. فبينما كنت لا أزال أتوقع المزيد من الهجمات، لم تكن هناك طريقة لمعرفة مقدار ما قد تسببه من دمار أو كيميية حماية الاقتصاد مقدماً. أخبرت المجموعة أن الوقت قد حان بالفعل لأن يكون هناك حفز مصطنع وما بدا صحيحاً تقريباً هو حزمة إجراءات بناء على المائة مليار دولار. وهو مبلغ كافه، إلا أنه ليس كبيراً بحيث يحزم الاقتصاد على نحو بالغ التأثير ويجعل اسعار المسددة ترتفع. وبد أن المشرعين موافقون.

هدت إلى بيتي في تلك الليلة وأنا أظن أن كل ما فعلته كان واضحاً ويعزز الإجماع: فقد صدررهم المائة مليار دولار على الفور. وهكذا أذهنتني أن القراء الرواية الإعلامية لا اجتماع، حيث جعلت الأمر يبدو تقريباً كأنني كنت أدير المسألة كلها. وبينما كان من المشجع سمع أن الكونجرس والإدارة ينصتان لي، فقد وجدت أن تلك التقارير الصحفية مثيرة للقلق. إذ لم تكن في يوم من الأيام مستريحة بالكمال لأن يعطلي لي دور الشخص الذي يحدد المسياة. فمعد سنوات حياتي المبكرة كنت أنظر إلى نفسي على أنني خبير يعمل من وراء الكواليس، وسنقد للأوامر وليس قائداً. وقد تطلب الأمر حدوث أزمة سوق الأوراق المالية في عام ١٩٢٩ كي أكتشر بالراحة وأنا أأخذ قرارات سياسية مهمة. ولكنني لا أضمر حتى يومنا هذا بالراحة عندما أكون في دائرة الضوء. فلأنا لست منطبعة التحصية.

كانت المارقة بالطيع في أده بالفرم من قدرتي الاقتصادية المفترضة فلم يتحقق شيء في الأسابيع التالية للحادي عشر من سبتمبر (أيلول) على النحو الذي توقعته. وربما كان وقوع حدوث هجوم إرهابي آخر هو أسوأ ما

إلى هبوط سريع للتجارة، وكان ذلك تمهيداً لتقسيم العمل الدولي الذي أسهم في الانهيار الصعلي للنشاط الاقتصادي العالمي. فقد ساعد تحرير التجارة بعد الحرب العالمية على إتاحة موارد تمويل جديدة؛ واقترب ذلك بإنشاء مؤسسات ومشتجات مالية جديدة (جعلتها التكنولوجيات العالمية على السليكون إلى حد ما ممكنة)، وبسرعة الانطلاق نحو رأسمالية السوق العالمية حتى خلال سنوات الحرب الباردة. وفي ربيع القرن التالي ساعد تبني رأسمالية السوق الحرة على تثبيت التضخم وحل أسوأ الفائدة في أنحاء العالم من عدد واحد.

كانت اللحظة الحاسمة في الاقتصادات العالم هي سقوط سور برلين في عام ١٩٨٩، مما شفى عن حالة من الخراب الاقتصادي وراء الستار الحديدي تزيد كثيراً على ثقلومات أكثر الاقتصاديين المبرزين معرفة. فقد اكتشفت التخطيط المركزي باعتباره فشلًا لا يمكن إصلاحه، وقد اقترن به ودعاه الوهم الماركسي بشأن السياسات الاقتصادية للتدخلية الخاصة بالديمقراطيات الغربية، وبدأت رأسمالية السوق استبدال تلك السياسات مهددة في جزء كبير من العالم. ولم يعد التخطيط المركزي موضع جدل ونقاش. ولم يعد هناك وجود لتلك الخطب التي تكيل له الناء والدمع. فقد سقط من أجندة العالم الاقتصادية، ما عدا في كوريا الشمالية وكوبا.

لم يحدث حسب أن تبنت الاقتصادات المتكثفة السوفيتية السانيفتة أساليب رأسمالية السوق. بعد فترة من الموضي، بل من شأنها كان ما كان يعرف من قبل بالعالم الثالث. وهو تلك الدول التي التزمت بالحياد في الحرب الباردة ولكنها مارست التخطيط المركزي أو كانت على قدر من التخطيط جعلها تصل إلى الشيء نفسه ما الصين التي كانت قد ماتت إلى اقتصاد السوق في عام ١٩٧٨، فبعد سرعت تحرك قوتها المحرك الاقتصادي، فشدة التنظيم. وكان عددها في ذلك الحين ٥٠٠ مليون شخص، نحو مناطق التجارة الحرة في دلتا نهر اللؤلؤ كان تحول الصين في اتجاه حماية حقوق ملكية الأجانب، ما اتسم به براعة، من الصناعات بحيث أحدث انضجاراً حقيقياً في الاستثمار الأجنبي المباشر. حتى بعد عام ١٩٩١ ومن المباش ٨٧ مليون دولار في عام ١٩٨٠ ارتفع الاستثمار الخارجي المباشر ارتفاعاً

كبيراً ليصل إلى ٤ مليارات دولار في عام ١٩٩١. ثم لصار الارتفاع بمعدل زيادة مضاعفة ٢١ بالمائة حيث وصل ٢٠ مليار دولار في عام ٢٠٠٦. وأسفر الاستثمار مقروناً مارست ضغطاً أسفل على الأجور والأسعار في أنحاء العالم المتقدم. وفي الأسواق الآسيوية الأصغر حجماً بكثير، وخاصة كوريا الجنوبية وهونغ كونغ وسنغافورة وتايوان، قد تقدمت الميرة باستغلالها لتكنولوجيات البلدان المتقدمة في رفع مستويات المعيشة بها ارتفاعاً حاداً من خلال الصادرات إلى الغرب.



هاك معدل النمو الاقتصادي لتلك البلدان وكثير غيرها من الدول النامية معدل النمو في أي مكان آخر. وكانت النتيجة تحويل حصة كبيرة من إجمالي الناتج المحلي في العالم إلى العالم النامي، وعلى الاتجاه الذي لمشأه اشارته على نحو ضخم. وكان الذي أدى للنمو النامي في العادة معدلات انخار أعلى بكثير مما لدى الدول الصناعية. وهو ما يعود إلى حد ما إلى أن شبكات التسلا الاجتماعية في الدول النامية اضمخ، ولذلك كان من الطبيعي أن توفر الأمر المعيشية أموالاً أكثر لأوقات الحاجة والتقاعد. (كان لعوامل أخرى دور كذلك. فهي غياب الاستثمارات الاستهلاكية الراسخة، وعلى سبيل المثال، كان لدى الاسر المعيشية ميل أقل نحو الإنفاق). وكان تحول حصص العالم من إجمالي الناتج المحلي منذ عام ٢٠٠١ في الدول المتقدمة منخفضة الانخار إلى الدول النامية مرتفعة الانخار قد زاد الآثار الناتج المحلي كبير بحيث تجاوز النمو الكلي للمدغرات في أنحاء العالم الاستثمارات المحطلة إلى حد كبير.

ولكن أن نفترض أن عملية السوق قد فطعت أسعار الفائدة (أسعار الفائدة الاسمية والحقيقية) على نحو بازل إلى الانخفاض. أو مبعارة أخرى، زاد عرض الأموال المتاحة عن علة على الاستثمار بسرعة سرعة طلب المستثمرين. ساعدت الزيادة الواضحة في المدخرات، مقرونة بالعملة والزيادة التي تحركها التكنولوجيا في الإنتاجية وانتقال القوى العاملة إلى الاقتصادات المخططة مركزياً إلى الأسواق المتنافسة،

على كبح جماح أسعار الفائدة الحقيقية والآسيوية ومعدلات التضخم بالنسبة للدول المتطورة والنمو النامية كلها في واقع الأمر. وهذا هو السبب في أن معدلات التضخم السنوية في أي مكان تقريباً (باستثناء واضح لكل من فنزويلا وزيمبابوي وإيران) من عدد واحد في الوقت الراهن. وهذه واحدة من المرات القليلة. وربما المرة الوحيدة، التي حدث فيها ذلك منذ التخلي عن قاعدة الذهب وثبني العملات الورقية في ثلاثينيات القرن العشرين. والأمراض الملل إلى حد كبير بشأن هذه المجموعة من القوى هو أنها تجمع كلها في بداية القرن الحادي والعشرين. ولم تكن سياسات البنوك المركزية النقدية المسبب الأساسي للانخفاض المستمر للتضخم وأسعار الفائدة طويلة المدى، غير أننا نحسب رجال البنوك المحققين اختباراً تعديل سياساتنا لتسويق أكبر قدر ممكن من الفوائد طويلة المدى لتلك التحولات التكنولوجية في التمويل العالمي. إلا أنه لأسباب سوف اشرح خطوطها العامة فيما بعد ليس من المرجح أن يقوم أي من تلك القوى. ومن الصعب كبح جماح التضخم في عالم العملات الورقية. ارتبط الانخفاض لسعر المال العالمية الحقيقية طويلة المدى التي حدث في العقدين الماضيين بنسب الصعر إلى الأرباح الخاصة بالأوراق المالية المتزايدة، وخاصة في الولايات المتحدة. واستطاع أصحاب المنازل في كثير من الدول المتطورة الحصول على أموال من أرباح منازلهم على الشراعية لتسويل مشتريات نعمت ما يمكن لدعوتهم أن تتوله. واهتمص بإنفاق الاسر المعيشية المتزايد، وخاصة في الولايات المتحدة. جزءاً كبيراً من موجة الصادرات من العالم النامي المتوسع بسرعة. وجاء في مجلة "يكونوميست"، في نهاية عام ٢٠٠٦، بما أن الاقتصاد العالمي يزيد بمعدل سنوي مضاعف ٢.٢٪. لتفرد منذ عام ٢٠٠٠، ففقدت أسعار الاقتصاد العالمي ما يزيد على نصف الطريق نحو إنجاز

افضل لعهده. وإذا ما استمر على قدمه في هذه الفترة سوف يتقدم على عقدي الخمسينيات والستينيات المقترص أنها ممتازان من كل الأوجه. ويبدو أن رأسمالية السوق، وهي المحرك الذي يدير معظم الاقتصاد العالمي، تؤدي وظيفتها على نحو جيد. وهذه التطورات في مجملها موبعة وإيجابية. إذ التشل رد الاعتبار للأسواق المفتوحة والتجارة الحرة خلال ربع القرن المنصرم ملأت كثير من ملايين سكان العالم من الفقر. ولابد من الاعتراف بأن كثيرين غيرهم في أنحاء العالم لا يزالون يعانون من الحاجة، غير أن شرائع كبيرة من سكان الدول النامية باتت تنعم بقدر من الثراء الذي ظل زماناً طويلاً حكراً على البلدان المتقدمة.



إذا كان قصة ربع القرن المنطسي حبكة احادية الخط فهي اكتشاف قوة رأسمالية السوق. فبعد إنجاز رأسمالية السوق على التراجع نشيطه لزهنتها في ثلاثينيات القرن العشرين وما أعقب ذلك من توسع في تدخل الدولة المالية، الستينيات، عادت لتطوّر من جديد ببطء كقوة فعالة، حيث بدأت بداية حثيثة في السبعينيات إلى أن باتت تنتشر الآن في كل أنحاء العالم تقريباً بدرجة تزيد أو تقل من مكان لآخر. وعزز انتشار حكم القانون التجاري، وخاصة القضاء على حقوق الملكية، النشأ الاستثماري العالمي، وأدى هذا بدوره إلى خلق المؤسسات التي ترشد حياتها في القضاء قسماً يتزايد باستمرار في النشاط البشري. وتلك هي النسخة الدولية من "اليد الخفية"، عند آدم سميث، قلت نتيجة لذلك سيطرة الحكومات على حياة مواطنيها البومية؛ وشيخاً فشيخاً حلتّ قوى السوق محل بعض سلطات الدولة الهمة. كما تم القضاء على جره كبير من التخطيط الذي يدعو إلى فرض قيود على الحياة التجارية. وخلال السنوات الأولى التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، كانت ثقافات إرس المال تخضع للمراقبة، وكانت أسعار صرف العملات تخضع لتقديرات وزارة الخزانة. وكان التخطيط المركزي منتشرًا في كل من العالين النامي والمتقدم، بما في ذلك بغايا التخطيط الحرة الجاهل لا يزال بارزاً في أوروبا. وكان الشيء المسمّى به هو أن

لا يمكن للاقتصاديين تحاشي كونهم دارسين للطبيعة البشرية. وخاصةً الحساسية الفياضية والخوف. والحساسية الفياضية احتفاءً بالحياة



هناك جانب مهم في الطبيعة البشرية. وهو مستوى السكاء البشري. له علاقة كبيرة بمقدار نجاحنا في كسبنا لوسائل العيش اللازمة للبقاء. وكما أوضح في نهاية هذا الكتاب، فإن الناس يخرجهم في الساعة بما يتجاوز ٣ ساعات سنوياً على امتداد فترة مطولة. ومن الواضح أن هذا هو أقصى معدل يمكن فيه للإبداع البشري تحريك مستويات الحياة قديماً. ومن الواضح أننا لسنا على قدر كافٍ من الذكاء والتفكير من أجل عمل ذلك.

إن العالم الجديد الذي نعيش فيه الآن يعطي مواطنين عديمين الكثير مما يخطفون منه. بما في ذلك انقلاق الكثير من مصادر الهوية والأمم التي كانت مستقرة من قبل. وحيثما كان التغيير أسرع ما يكون، تتكون التماثلات المتزايدة في توزيع الدخل هماً أساسياً. إنه يبقو عصر الاضطراب، وسوف يكون من الحكمة والأخلاق أن نحدد من التكلفة البشرية لفرزاته. وفي مواجهة اندماج الاقتصاد العالمي التزايد، يواجه مواطنو العالم اختياراً مثيراً بين قبول الموائد العالية للأسواق المفتوحة والمجتمعات المعزولة التي تنتشل الناس من الفقر وترفعهم على سلم المهارات إلى حياة أفضل وأكثر أهمية بينما يعون هي أذهانهم قضايا العمالة الأساسية، ورغبتهم في الحياة.

ورفض تلك العصرية وقبول ذرعة أحياء الثقافة المحلية والذرة القبلية والذرة الضمنية. ولا نرى، لتجاربها لتجاربها المجتمعات عندما تتعرض هوياتها للحصار ولا يمكنها إدراك خيارات أفضل. وهناك عواقب ضمنية لتواجهنا في العقود المقبلة، ويعود الأمر إلينا في القلب أو عدم القلب بغير. وبالنسبة للامريكيين، لابد أن نخلق فتح جديداً أمام القوى العاملة الماهرة في العالم وإصلاح التعليمات مكانة متقدمة على أجندة سياساتنا. كما نرى كذلك من إيجاد حل لآزماتنا الخاصة بالرعاية الصحية. وهناك موضوعات سوف أعود إليها في نهاية الكتاب. وانتهى في الفصل الأخير إلى أنه بالرغم من قبول الكثيرة التي في البشر، فليس الجيل القادم أنتم متدرباً والتقدم في مواجهة التسلل. وهذا حقيقة تدمع تقارني بشأن مستقبلنا على العود.

قريب القدرة على الإسهام في العمل منزلياً من خلال الفضاء الإلكتروني، فالبرش لديهم حاجة متصلة إلى التفاعل مع فيهم من البشر. وهذا ضروري إن كان علينا الحصول على إقرارهم الذي هو ما نسعى إليه. فالتسلسل الحقيقي شدة بندر وجوده. ويتوقف ما يسهم في الأستاد بالذات على تلك المجموعة الكبيرة من القيم المتعلمة أو المختارة بوعي، التي يعتقد الناس، صواباً أو خطأ، أنها تحسن حياتهم. ولا يمكننا العمل بدون نسق من القيم التي ترشدنا إلى اختيارات متعددة. نقوم بها كل يوم. وبالرجاء إلى القيم التي متاصل فيها. أما مصمونها فليس كذلك. ذلك أن الحاجة بحركها إحساس أخلاقي فطري داخل كل منا، وهو الأساس الذي تشد بناءً عليه الأغلبية على إرشاد الديانات المتعددة التي اعتنقتها البشرية على مر آلاف السنين. وجزء من هذا القانون الأخلاقي الفطري هو الإحساس بما هو عدل وصحيح. فجميعنا لدينا نظرة مختلفة لما هو عدل، ولكن لا يمكن لأحد تحاشي الضرورة المدعجة فيها الخاصة بإصدار تلك الأحكام. وهذه الضرورة المدعجة هي أساس القانون، الذي تحكم كل مجتمع. إنها الأساس الذي يحمل الأشخاص بناءً عليه مسئولية أعمالهم.



لا يمكن للاقتصاديين تحاشي كونهم دارسين للطبيعة البشرية، وخاصةً الحساسية الفياضية والخوف. والحساسية الفياضية احتفاءً بالحياة. فلابد من فهم الحياة على أنه من الممتع أن نسعى لتطاعنا عليها. وما يوسع لنا من مودة الحساسية الفياضية تجعل الناس في بعض الأحيان يتجاوزون ما هو ممكن فهدمنا بعمق الواقع وترز حساساً تتحوّل الحساسية الفياضية إلى خوف والخوف رد فعل إيجابي في جميع اتجاه الأخطار التي تهدد عيشنا. فالحساسية الفياضية هي القوة التي تدفعنا إلى تجنب الأخطار، وهو إبداع الحياة. كما أنه أساس الكثير من ردود أفعالنا الاقتصادية. وهو ذلك العزوف من المخاطرة التي يحد من رغبتنا في الاستثمار والتجارة، وخاصةً بعيداً عن الوطن. ويحدث هذا في الحالات المتطرفة إلى الانفصال عن الأسواق كما يسفر عن حدوث انهيار حاد في النشاط الاقتصادي.

تقدير البراعة النظرية للأسواق التنافسية. وبعد ستة عقود تعلمت تقدير كيف تتجلب النظريات (ولا نتجح أحياناً) في عالم الواقع. فقد أتيت لي بشكل خاص فرصة التفاعل مع كل واضعي السياسات الاقتصادية المهمين في الجيل السابق، والحصول بطريقة مثالية لها على معلومات تفصيلية من الناحية العالمية، من الناحية الحديثة ومن ناحية الملاحظات. وكان من المحتم أن أطلق أحكاماً عامة على تجاربي. وقد قادني هذا إلى تقييم أعمق للأسواق الحرة التنافسية باعتبارها قوة تحقق الصحة والرفاهية وإن باستثناء بعض الوقائع المعاصرة الخيلية لا أظن أن هناك طرفاً فشل فيها حكم الخائون الموسع لحقوق الملكية الممتدة في زيادة الرخاء المادي.

وبالرغم من ذلك فإن هناك شكاً مستمراً على نطاق واسع في عدالة الطريقة التي تروج بها المنافسة غير القيدة تكلفتها. وأشير على امتداد هذا الكتاب إلى تناقض الظاهر في أن المنافسة قوى السوق، وهناك تشديد على المنافسة لأن الأسواق التنافسية تخلق الصائرين والخاسرين. وسوف يحاول هذا الكتاب بحث تبعات التصادم بين الاقتصاد المألوف الذي يتغير بسرعة والطبيعة البشرية التي لا تتغير. وكان التجاح الاقتصادي الذي تحقق في ربع الألفية الماضية نتيجة لهذا التصغير السريع. الفظ الذي خلفه ذلك التصغير السريع. فآراء ما نؤمن النظر في تلك الوحدة العالمية الرئيسية هي النشأ، الاقتصادي، وهي الكائن البشري. من نحن؟ ما هو ذلك الشيء الثابت في طبيعتنا وما يخلق للتغير. وما مقدار ما لدينا من فطنة وإرادة حرة في عمل وتعلم؟ إنني في صراع مع هذا السؤال منذ أول مرة عرفت فيها كيف أطرحه. بما أنني تحولت في العالم على مدى ستين عاماً تقريباً، فقد وجدت أنه تبدو على الناس تشابهات ملحوظة يمكن وصفها بدون حاجة إلى قدر كبير من الخيال بأنها ناتجة من الثقافة أو التاريخ أو اللغة أو المصادفة. إذ يبدو أن الناس جميعاً يواجهون نفس سعي في أجل الاعتماد بالذات الذي يصرزه إقرار الآخرين له. ويحدد هذا السعي جزءاً كبيراً مما نلتقي عليه الأسرة المعيشية مالها. وسوف يظل ذلك يحفز الناس على أن يعلووا في المصالح والمكاتب جنباً إلى جنب، حتى وإن صار، لديهم عما

الأسواق تحتاج إلى إرشاد حكومي كي تعمل بكفاءة. هي اجتماعات منتصف سيمينات القرن العشرين للجنة السياسة الاقتصادية التابعة لمنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية التي تصم واصعي السياسات من أربعة وعشرين بلداً، كان هانز تيتماير من ألمانيا الغربية وأنا فقط هما من يضغطان من أجل وضع سياسة تقوم على السوق. وكنا ألبية فضيلة جداً في لجنة كبيرة جداً، وكانت آراء جون مينارد كينز الاقتصادي البريطاني العظيم، التي حث محل آراء آدم سميث واقتصاده الكلاسيكي عندما لم يتبع السكاد النظري في ثلاثينيات القرن العشرين نموذج سميث الخاص بالطريقة التي كان من المفترض أن تتصرف بها الاقتصادات. ورسم كينز إجابة رائعة من الناحية الرياضية للاقتصاد العالمي وكيف يحدث الانقلاق للإنعاش القوي للجزء الحكومي، وكانت الفكرة التدخلية الخاصة بكينز من متصمم مهمين بصورة ساقفة في منتصف السبعينيات. مع أنه كان من الواضح أنها على حافة الانهيار. وكان الإجماع داخل لجنة السياسات الاقتصادية هو أن السماح للسوق بتحديد الأجور أمر غير مناسب ولا يعول عليه ولا بد من إحلاله بسياسات التدخل. وكانت تلك السياسات تختلف من بلد لآخر، ولكنها كانت تحدد السقواعد الإرشادية للمفاوضات الخاصة بالأجور بين النقابات، التي كانت أكثر انتشاراً وأشد قوة مما هي عليه الآن بكثير. وبين الإذارة، وكانت سياسات الدول دون مستوى قيود الأجور والأسعار المكملة بحيث بدت اختيارية على نحو واضح. ومع ذلك فقد كانت القواعد الإرشادية تضعها بصورة عامة أدوات الحكومة التنظيمية التي كانت تستخدم للإقناع، من ضامون الأجور. وعندما كانت تلك السياسات تفشل، غالباً ما يصعب الحل هو القيود الرسمية المفروضة على الأجور والأسعار. وكانت القيود المفروضة على الأجور والأسعار المشددة، رغم تدمتها تشبعية ضخمة في البداية في عهد الرئيس كينسون عام ١٩٧١، من بين آخر الأثرية التدخلية الخاصة بالخاصة بالأجور والأسعار في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية في العالم المتقدم. هي سنوات دراستي المبكرة تعلمت



ترسم لنا المؤلفة مشهداً يختلط فيه، التمصير، أو التحريب أو، إحياء التراث، إلى مستويات ربما فاقت الماضي، بعوثة شرسة تختلف عن الكوزموبوليتانية الأوروبية القديمة



مصر الجديدة!

ماجدة بركة

خفف من حدة التمييز الطبقي داخل مراتب الطبقة الوسطى وبينها وبين من يعولونها في السلم الاجتماعي، في الوقت الذي بقي فيه الجلباب الأسود ومندبل الرأس عنواناً طبقياً واضحاً لم يلبسه من نساء الطبقات الشعبية.

وفي تناولها لمراتب الطبقة المتوسطة العليا، ترصد الباحثة تقفراً في أنماط الاستهلاك من الرغبة الملحوظة في اقتناء صالون الأوبسوم خلال النصف الأول من القرن العشرين إلى ظهور رغبة نزعة إلى العودة إلى صالون الأرياسيك خصوصاً في سبعينيات القرن. كما ترصد تحولاً بين أفراد تلك الطبقة من النزوع إلى اقتناء أعمال مشاهير التصوير الزيتي في الغرب إلى اقتناء أعمال الفنانين المصريين في الوقت الحالي

ولكنها وفي الاتجاه المعاكس أيضاً، ترصد تحولاً من استخدام الفصحى في الأدب المصري المكتوب باللغة العربية، إلى لغة أمثال أحمد العادلي في رواية «آن تكون عباس العبد»، وهي لغة متعددة المستويات تخلط الإغراق في العامية بدرجاتها التي تصل إلى اللهجة المصرية في أقصى حالاتها مع مستويات عدة من اللغة العربية المعصى وأيضاً مع كلمات أجنبية أغلبها يتعلق بالوسائط التكنولوجية والإنترنت مثل «كث، وببيست، والتي دخلت لغة التعبير اليومي».

كما تلحظ تحول استخدام كلمات أجنبية في ثيابا الحديث اليوم من سمة للطبقة الكوزموبوليتانية القديمة المحصورة عديداً إلى طاهرة في الخطاب اليومي لمعوم المصريين - ولو بسطق خاطن - وظهور عناصر غربية جديدة في الاستهلاك المعادى للمصريين مثل الكاوتشوشين ووجبات الهمبرجر والبيبزا السريعة وإن لم تنجح هذه في القضاء على القهوة التركية وسندوتشات المول والصلصال لرخص أمثالها.

وترتبط الكتابة ما بين إعادة تقدير التراث وإحيائه في العمارة والأثاث ودرجات أقل في الملابس، وبين حقبة السبعينيات التي نلت هزيمة حرب يونيو ٦٧ وما ارتبط بها من العودة للبحث عن الجذور ومطلب

المستوى الاجتماعي: gentrification وتعوير الدول، «السياسي» لبعض أشكال الحجاب من الحساب المتشكك الفصافض القائم رمز الرفص الصريح وريما التطرف المرتبط بـ«بالجماعات» الإسلامية في فترة السبعينيات المقترنة بالنداء وانتصار الثورة الإيرانية، إلى أن يصبح رمزاً أقرب للإسلام السمودي (اللائقوي) في ظل ما شهدته العقود الثلاثة الأخيرة، التي تم فيها هذا التحول في مظهر الحجاب ودلالاته - من تزايد للهجرة المصرية إلى بلدان الخليج - وفي ذات السياق، ظهر الحجاب «الشبابي» بهيج الألوان الذي يختلف عن حجاب الأجيال الأكبر سناً ويعكس رغبة الشباب في إبراز جمالهم.

وبصفة أكثر عمومية، ذهب الملكية إلى أن وجود صناعة ملابس محلية معقولة التكاليف أدى إلى مقربة للديمقراطية democratization of taste نحو

اجرتها مع أفراد من العاللة وأصدقائها.

الهوية وتغير أنماط الاستهلاك

في دراسة د. منى أياطة لأنماط الاستهلاك المتغيرة بلغتنا بوجه خاص دلالات تلك الأنماط في تحديد وتعريف الهوية وخصوصاً الهويتين الطبقيتين والجيلية. ومن أهم ما تمصله د. منى أياطة في هذا السياق، الدلالات المتووعة لطاهرة الحجاب الحديث. فهي تبرز لنا على سبيل المثال كيف استبدلت بذات الرعب المتعلقات الجلباب الريعي القديم (رصفقة)، الملبدية المستندرة على العصر وكرانيشه في الدول ومندبل على جيل المهاتهم من خلال يني رمز «مديني».

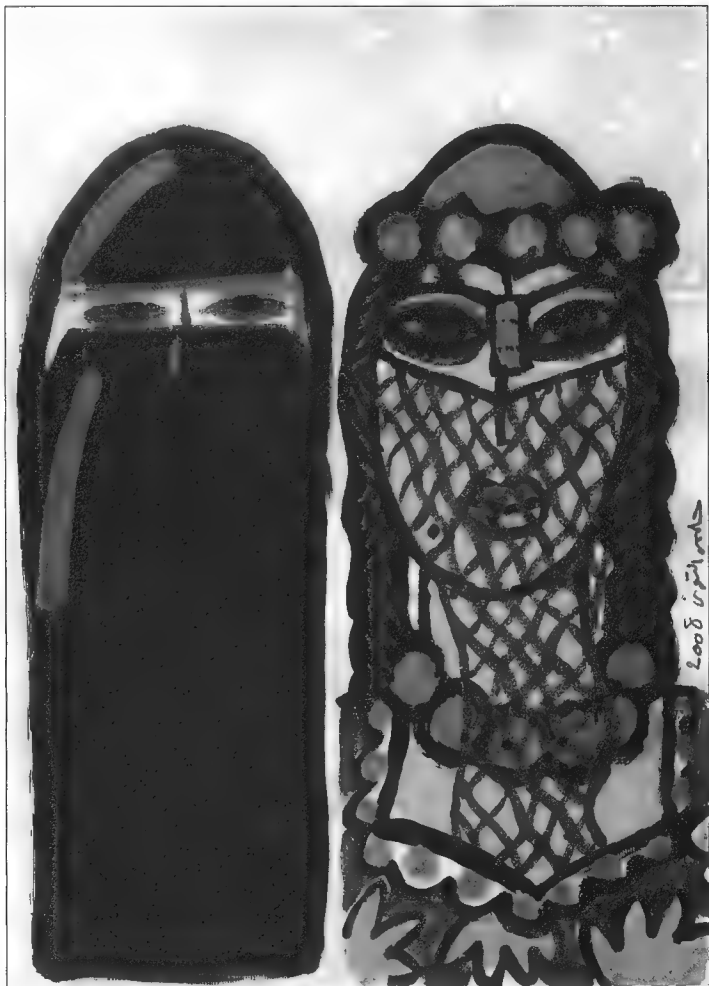
كما تبرز تخفيف وتهذيب ورعب

سكتانها الأخير، النقابات الإسلامية المتغيرة لمصر الحديثة. إعادة التشكل العمراني لمدينة القاهرة. الصادر عن دار نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة، تدخل د. منى أياطة رئيس قسم الاجتماع بالجامعة مجالا جديداً على الكتابة السوسولوجية في مصر هو مجال دراسة، الثقافة الاستهلاكية، الذي أصبح موضوعاً لكتابات كثيرة في العالم تحفل قائمه مراجع الكتاب بالكثير منها، وهي إذ تدس الاستهلاك في دلالاته الاجتماعية وليس في حد ذاته، ينطوي رصدها لتطور أنماط الاستهلاك وحتى التسعينيات على رصد للتطورات الاجتماعية بشكل عام.

تقوم الباحثة ترصد هذه الدلالات والتحويلات من خلال مرج الدراسة الميدانية لطاهرة حديثة في ظاهرة انتشار المولات التجارية من ناحية بدراسة أخرى تنطوي بدورها على عنصر المراقبة - المشاركة، participant-observation نوع من السيرة الذاتية يذكروا بمقال شائق في نفس الاتجاه للمؤرخة عفاف لطفي السيد مارسو بعنوان The revolutionary gentlemen in Egypt فإن نخدم منى أياطة من أسرة كان فيها والد الجدة لأم أحد أبرز سياسيين العشرينيات، فإنها تستعيد ذكرياتها حول أنماط استهلاك وأساليب معيشة أسرته خلال تلك الحقب بالعودة مستعينة ببعض المراجع من تلك المرحلة وبلغات

The Changing Consumer Cultures of Modern Egypt
Cairo's Urban Reshaping
الثقافات الاستهلاكية المتغيرة لمصر الحديثة، إعادة التشكل العمراني لمدينة القاهرة)

Mona Abaza
The American University in Cairo Press, 2006



حاشية ٢٠٠٨ م



الإصالة وحدث قدر من الارتداد عن تحديث، فترة الستينيات الناصرية الذي رأى المصنف سلباً للهوية، فلم يكن من قبيل الصفة كما تؤكد المباحث أن تكون مشروحات أسعد تديم للأشياء، والمبصر للثقل، وعزة همى للحلى، وخداثة ومحذر للملاس، قد بدأت جميعاً مع نهاية السبعينيات، كما أن توابك هذه الفترة مع تدينين سياسة، والانفتاح، وفتح البلاد للمساحة يؤكد أن هذا الإحياء بقدر ما كان في تناظر مع الغرب إن لم يكن في مواجهته، بقدر ما تم من خلال عدسته التي ترفع من شأن الفن التشعير (الفرابي) وبمساعده كسوق مستهلك.

تبرر التناقض في خطاب الهوية في مجال الذي فالصعود ما الخطاب الهوى لا يقتصر على اللغة المخطوطة، حيث (المبلس لغة، كما يقول العربيون statement)، fashion) في، ونحس للحظ تناقضا بين ملحوظة مدرسة المادية لأزياء في جامعة حلوان أن ثقافة الطبقة الوسطى لطايلهاها تشعير من أن يكن مرثا وكومبوليتانيان(ص ٢٠ من الكتاب) بين الأسماء الغربية لبعض سلاسل المحاسبات التشعبية مثل Pour Elle و Suzanne هنا ترسم لنا الموضة مشهدا يخلط فيه، التصرير، أو إحياء التراث، إلى مستويات ربما فاقت الماصى، بسهولة ترسمة تتخلف عن الكومبوليتانية الأوروبية القديمة، إذ تتسم العولة بمزيجها التي تختلط فيه الأمركة، بالخبثية، ومع انه ترى في اختصار بظلمات سحب التقود ATM's والموبايل والإنترنت والإيعمل والمدن والفري والسكنية والصايف والمشاى المسورة ومحلات الكسودالندز واستحار ظاهرة طلب الماكولات الجاهزة علامة أكيدة على عصر عصر العولة فهي تمتد التسيسم الحل في بعض من ينعزور إلى الربط اللاتقيد بين العولة والتسبيط هناك ما يطلق عليه البعض تغيير الـ globalisation، حيث يتأثر ما هو عالمي بالبيئة المحلية والعكس مثل تقديم محلات السلاسل العالمية العربية أغذية مسوية الطابع واكل اليابانيين بأديهم الإيصال يظهر سلاسل «مؤمن» للشعوريات في مصر والتي تحاكي السلاسل العالمية مثل ماكودالدر وعربها، وتربط ما سبق بدور معصوم، التهجين، hybridization في أدواق

أن يرى في هذا التين «استشرافا، يثقل على عنصر «الاعتزاز القومي، الذي ينفيه احتقار المحلى، الذي يوصف بأنه «بلدي»...

قد يمكن لنا أن نعزو غياب الاعتزاز القومي باللباس المحلى مقارنة بالغرب أو الخليج العربى بل وزيبا غياب وجود لباس قومي مصرى جامع (الى ما تشير إليه الكاتبة (عرضا) من أن مصر قد حكمتها الأجناب قرونا طويلة فكانت هناك ثقافتان مختلفتان على الدوام حيث كان لاتعتقد الطبقات الحاكمة بتفوق النوق الغربى أذره دون شك على أخلاق المصريين وأساليسب حياتهم(ص١٩٨).

في كل ما سبق يشعر من درس الطبقة العليا المصرية في مراحل سابقة أنها كلاتقتها - لو صبح التشعير- تلمعيقها، في الحق (collective) فهي لم تتنكر لمعاً أو حتى مزيجا خاصا بها تكون له شخصيته الخاصة مثلما مثلت فكرة طراز «الآر نوفو» Art Nouveau المتبدرة للجيلاب الملاحى التقليدى؛ تالفه من مزيج من عناصر مختلفة كوتت مذاقا جديدا، ويمكن قول نفس الشيء عن الشخصية المستقلة للنفس الإسلامى رغم ما استلمه من عناصر معمارية من مراحل زمنية سابقة.



فيما تناولته قد لا تكون د. منى أباطة قد قصت إثارة موضوع دور المذهب في التأثير على ثقافة نسل لكن ذلك بالتحديد هو ما أثاره في نفسى ما تذكره مثل دور متقين أو طاعمان ثقافيين، حول حسن فتحى في مجال المصارة وأسعد تديم في مجال الأثاث وشهيره محرز في مجال الألبسة وعزة همى في محرز الحلى ومجموعة الكتاب والأدياء التى بنت لها «جماعة متصورة، ومولدا في قرية نوس بالفيوم. هؤلاء - رغم ارتباط انشطتهم بإحياء التراث الحلى - والتركيز عليه - بقوا غرباء عن التيار العام لاجتماعهم، زيانتهم هم من الأجناب أو اترياء الخليج ومحل المصريين الأغالية لبعض مشاهير الأثريين، بعين غريبة استشرافية. وفي فترة نوس على هناك مجتمع هؤلاء مقبلا ومتغيرا ضامنا مع مجتمع فلاحي قرية نوس الأصلى.

ومع ذلك فلا يمكن إلا أن يحتفى المرء بدور «المجتمع المدنى» -على محدوديته- في محاولة الانفتاح بمستوى معيشية الفلاحين في قرية نوس من خلال مشروع تشكيل الضخايات في تلك القرية(السويسرية ايفلين)، أو من خلال إقامة صناعة للمسجد البدوى في قرية الحراسية (رمسيس ويصا (وصف) أو دور نوال المسيرى وأسعد التديم في تدريب المعالمة على التجارة العربية وتسويق حرفة التلى اليدوية لرفع المستوى المعيشى لأصحاب هذه الحرف، ويتساءل المرء عما إذا كانت هناك ثمة ارتباطا بارتفاع أسعار منتجات أمثال محرز والتديم وبين ما يقومون به من ادوار اجتماعية كنوع من إعادة توزيع للدخل بين محسوديه وبين الميسورين من داخل البلاد وخارجها.

«الول» كعالم جديد

يصعب تحديد طبيعة «الول باعتباره مجالا تجاريا بحتا، إذ تعبر فكرة الول على أنها من محاولات خلق «عالم كامل، يمزج ما بين المحلات والحقول المائية، الثلاثة السكنية (شقق سكنية كما في مولات العقاد ومركز التجارة العالى وسيتى سارلز) والترفيهية (سينمات، قاعات ديسكو، مراكز رياضية للياقة البدنية، قاعات بيلياردو والعباب الكترونية، مطاعم ومقاهى والتجارية) مل إليه إذ كان يمكن القول أن أول ما يتبادر إلى الدهن هو أن الول هو مجال تجارى، فإن تحليل د. منى أباطة يظهر علاقة أقوى للمول بالتزفية منه بالتجارة حتى أن الكاتبة تذهب في موضوع ما إلى مقارنة الول، بالبلدى، باعتبار المول تعويضا عن عدم عضوية الكثير من الشباب للنادى لاتناف أسعار الحصول على تلك العضوية

هكذا يصبح الول مجالا لاتقاء الشباب والتسكك، بمعدل عن حرارة الشارع ورحامه وأترته، الأمر الذى يظهر بوضوح في أرواح المولات الأستثنائية في لبالي الخمين وفي الأبياء وهنا يصبح الول المقاد هو الاستثناء الذى يؤكد القاعدة إذ استبعدت إدراة بالتدبير عن قصد أية مراكز ترفيهية واقتصرت على البعد «التجارى، بغية استبعاد «الشباب» من الول والتأكل على طبيعته كمول «أسرى» للعائلات.

فِي لِيَالِي الْخَمِيسِ وَفِي الْأَعْيَادِ



أشارت إلى إمكانية أن يكون المول الاميري هي
 عن شمر لم يكتفى أن ينافس الاقتصاد
 العربي، الأرض بكثير من الشوارع
 -مناورة في ذلك الحى اشتمى، بحيث
 قد يفسر المول مع شمر غلام اسحاق
 المولات أو مقولتها مقارنة بالامير
 التي توجد فيها جانبها من الشجاع أو
 الفضل، ففضل المول امير الى منافسة
 الاقتصاد، الربص، يقابل -حتى الآن-
 النجاح التنبؤي للغرور من، بأسفاره
 اقتصادي لوجوده هي متطرفة غير شبيهة
 (عزت الباحثة فضل المول الصامع الموجد
 هي الزمالة إلى النوق الذي لا ينام
 مدينة سكان دعا الحى)، وتنجح مولات
 عظمته أكثر من غيرها لسوق
 الشرائية المرفعة تعاليمه العائدين من
 الحى التي يصير كثرة العائدين من
 سكانه من العمل في بلاد النفط.

إذ كان Robert FISHMAN قد تبنّى
باجاه ما استقبلت المدن الحديثة
الناسك الحصرية في هذا
بالامركزية (الكتاب ١٨)، فإن هذا
ناقل ما يحفظه في المشهد الجديد
لتحول حضري مختلف عن ما كان ذات
في لمدينة أيهاها السكينة الراقية
يخدمها "وسط واضح للمدينة، تجارياً
وتربوياً هذا centre ville قائم مع
التي التقليدية القديمة باجاءها
ومناجها. علم بعد هذا الآن، وأمسك
نقد، تجارياً المدينة هكذا على
مركزه التجاري، الخاص به
ومولاته في العادي ومدينة نصر وغيرها.

كما لم يعد هناك «مدينة قديمة تقليدية، واحدة بل عدة عشوائيات حضرية، تختلف حتى عما كان يوصف بريف المدينة القديم الواقع على تخومها، بحيث يتلاصق المصر والعشوائيات ويتجاوران مع آخر صيحات المولات البراقة والواجهات الزجاجية والمعدنية والطرق الالتفافية.

في هذا السياق تلاحظ الباحثة تركيز أكبر عدد من المولات في التين من أحياء مدينة القاهرة هما بولاق - كورنيش النيل (شمال القاهرة) ومدينة نصر (شرقيها) وتلاحظ في الوقت نفسه ملاصقة هذين الحيين لبعض أكبر تجمعات العشوائيات (الأحياء غير المخططة

أفكس أصحابها (أ. يبيدو الأسمر كندل) -
هناك استعمارهم نسبة ضئيلة إلى
زيتهم (لقد عكفوا عليه من البداية إلى
الأمير بنيدو، هناك من مركز التجارة
العالمى، أ. يوضع السيليا ما إذا كانت
مجموعة أوسكودكو ضمن J.A.R.N.T
الملك مات أو قامت قبيلة بنيان
المشروع (١٧٧-١٧٧) - أ. كان جزءا من
الخسارة قد تم ترحيله إلى البنوك (ألت
إلى البنك الأكبر عليه من البداية إلى
تقول لي ملكية (أكديو مول) - وألى الذين
اقتروا، وحلات ولم يكتفوا بآياتهم؟
ما يالغ المليونك الموقف منظارا على
نحن الآن فيليبوت أرضا بائنة
إلى التكرير في التجميع النشاط - وما
جيدى - دراسات التحدى، التى أجريت
لذلك المشروع؟



لم تقدم لنا الباحثة إجابة محددة حول سبب احتضار الجاهل وقدمت صاوغته لنا لإجابة عن صورتنا تتألف من الأزمات الاقتصادية والموقع الخ، لكننا لم نضم لها مبادئ حول الكفالة حرب، ويوموت، حول البستان، ولا يعيش، زكاديا مول، ويوموت مركز التجارة العالمية وهم في مواقع متنازلة و المتقاربة جدا ويقومون على نفس الظروف الاقتصادية العامة. ولأجل كما هطلت الكتابة فأنسا لها دورى له لنعوم حول الأزمات، نعتبر نفسك، كى الذى تشهده أسهم الجورصات بحيث يندى شروقها وأكثر في الهرب حالة من الحرب الجامع؟

كلينكس مشبعة بماء الصودا عليه، وكما يظهر أيضا في الاتهامات التي عزت خروج أصحاب المحلات التجارية والميادات من أحد المولات إلى انتشار بيع وتعاظم المخدرات في أحد أواره.

بين تناوُلها: الإيجابيات: المول
وسيلياته، نعى الكاتبة غياب أي حس
لقدي في توصيفه سواء من جانب
مرتاديه أو القاصمين عليه وشبه
الاستسلام الخلق لما به يملئه من غلبة
للغافة الاستلاكية وما يربطها من
تخدير، إزاء السياسات السياسية
الأوتوقراطية. وتبشر الكاتبة - في ظل
اختلاف ظروفها عما هو سائد في
الغرب - إلى الجمود الراسخ تقيد إمكان
تعطيل النقد العربي للاستلاكية،

السياق المصري باعتبارها تعويضا، من ضعف التراباط الأولى
واقفاً روابط عاطفية مهينة طيلة
الأمم. وزعم ما تشير إليه من وجود
ظاهرة عمالة الأفر من الوحدة الدنيا
على أرقاع الكفاف السكانية الدنيا
وربما بلفة لإشارات جسدية شطط في
الشواوع والأماكن العاطبة ارتباطا
بفترات صغر المكان كقول مفهوم
الوحدة لدينا بلون مختلف تشير
إلى الساحنة كذلك إلى غياب القد
الأكاديمي في تناول تلك الظاهرة
أسوة ببعض الكتابات الهندية على
سبيل المثال والتي تركز حول باب وكتاب
التحديث من إحساس بالافتقار،
تجزؤ وتقاليد قديمة، ولا يمكن هنا
البحث في الشؤون الخاصة بالدور
بمساعدة أيضا لأن عقدة الخواجة،
والتقليد لا هو غرض لدينا ترتبط -
حتى في تحليل - منى اباطة -
بالأسلمة، واستمرار دور الأسرة،
والإحياء للتراث والتقاليد الضنية ولو
ليكن ذلك مغزى من مما يجب
أن يقرأ وتغير معزنا هنا المجال

قدر أحد رجال الأعمال في الكتاب «دورة حياة المول» بما بين ١٨ و٢٤ شهرا في المتوسط (ص ٨٥). ورغم الحفظ الذي يثور حول دقة التقدير الزمني في هذا الخصوص، فإن ظاهرة احتضار المولات تحتاج إلى نظر متعمق وهي تثير التساؤل حول مصير كل ما ضُح في تلك المولات المحتضرة من رؤوس أموال، هل

وفق على تلك التحويل يقتصر لما يمكن أن
نطلق عليه تعبير العزل العنصري الموقَّت،
حيث نتحدث بالفعل عن إعداد جغرافي
من الشباب قائمة من الخصائص
التي تميزهم عن بقية مجموعات
الأكاديمية، ولم يتم بعدل ما كان
عليه الأمر سابقا من سهولة تمييز
الطاقات عن طريق اللون، فإن ما يتم
تقديمه للشباب لذلك ذلك لا يمكن
(الولاء) المعزولة عما خارجها والمتميزة
exclusive هو نوع من «الحصانة»
simulation، وهم يستعرضون نوعا من
الارتقاء (من خلال الجنس) وشعور بأنه
يماكنهم المشاركة في عالم أفضل (أمتي)
أياطة 24

من الطريف ان هذا الإجماع بالارتقاء يتجاوز دوار الخوف إلى العاملين فيه من بالعات لا تتجاوز أجورهن نصف ما تتقاضاه الخدمات المتسودات لكنهن يشعرن بأنهن أفضل فيه مما لو كن يعملن في محلات الشارع، بل إن حارس الأمن، وهي الفئات التي باتت المئات منهم، تعمل داخل المولات (والبناني السكنية أيضا) ويعتبر نفسه على الأغلب بزيه الخاص ومقيمه وينطالع (الرقى من دحارس المقار، التقليدي أي البواب، محبلة ولكنه الخشبة.

ينتمى ما سبق ربما إلى الجانب الأكثر إيجابية للمول، لكن الكاتبة تبرز أيضا الجانب الآخر إعلاما للمول أو ما يمكن أن نطلق عليه تعبيراً، أعراض المول، ما بين شيوع المضايقات الجنسية للمول، بين الشباب، وشيوع السرقات من المحلات التجارية shoplifting خاصة بين النساء بحيث أصبح الأمران الهام الأساسى لأفراد الأمن المتضررين في تلك المراكز التجارية المسورة متعددة الطوابق.

وغمم ما يعين المول بشكل عام من
الفتش الخرافية بالكاميرات واستخباراته -
مقارنة بشاعرنا - كما يخضع لدرجة
أعلى من السيطرة والتنظيم، لم تستمر
الصفيحة الضخامات الجنسية والفسقات
الطغرافية (باصرار فحش بل لم تسم
المولات أحيانا من امتداد الاقتصاد
الأسود - إذ جاز لنا التمييز - إلى داخله،
كما يطير في القياس، من استأطاف من
رواية احمد الحايدي أن تكون عباس
العبد، كما تقوم هند في موسم من
الحدس شعبة طاعة فراقه ما يحمر
الشقاء على الأبواب الداخلية للمرأض
العموم بعد مولد وانتهيت به تبت
بصحة مبرجة - طرفة عين - رغبة

من الداخل إلى الخارج وبالعكس؛

أول ما أثير هنا إلى ما نوهت إليه
د.عسامة من تحول «المجبرين» من
اللقاء مع الحداثة العامة كحسينية
حيوانات وحديثة الأسماك وغيرها مما
كنا نراه في أفلام الخمسينيات وأوائل
الستينيات إلى التجول في المولات، فقد
ترك ذلك بما أوردته في دراستي
لنقطة على المصيرية في اساليب
حيايتها وتطورها العلمية، بشأن عصر
«أزهار الغرائز»، عند بواكير القرن
الشعرين وما دعى به تغير اجتماعي
يقبى في إطلاق «الفرادى»، إلى الخارج
إلى أن كانت شرايط الهوى الإسلامية
لنقل عن صحنها الجاهلي بصيرراته
وروع ريمته القليلة، ثم كيف أوردت
«الفرادى» بعد ذلك خلف ستار التزام
والثقت والصوماء وباشير «بحلق»
«المراديات بالأممونيوم لغزتها من
الضام ونسب بضعة أمتار إضافية
إلى مساحة الدنيا «الدالية».

أي أن الاتحاد في الواقع يمثل الآن في العودة من الخارج إلى الداخل مجدداً ولكن بشكل مغاير وربما مكسب، فبينما كان (الداخل) قديماً يرمز إلى الخصوصية فإن ما يرمز إليه الداخل-الخاص بالولايات على سبيل المثال- فهو تحويل (الخارج، أو لجال العام المشترك public space، إلى داخل، بما يشبهه عليه رفع الأسوار حوله من درجة من درجات الخصوصية.

• المزيد من القرطعة الكائنية؟ وفي هذا المقارنة الترخيصية فقد رصدنا دواستي الخلل الخاص الأول من القرن العشرين، المشعرون بدها من الفصل الطبقي الترخيزي في داخل اشواغ ثلاثة من المجالات الكائنية، spaces المميزة في المشيئة، والتجارية والترفيهية leisure، ويتباين بوضع من رصده في المجال التجاري من تبصير الطبقي المورسي في المجالات الكبرى les grand magasins أو department stores وبقاء الطبقات الترخيزية في اشواها وتكائنتها مع ظهور نتائج دراسة، من باظافة الخلل الطبقي الثاني من القرن من كون المول نقطة للتقاطع الطبقي، رغم ما هنالك من تفاوت في مستويات المولات

فعلى الرغم من الجهد المبذول في احتذاب المتبضعين، المسهورين، وإبعاد

المهندسين، التي خطط لها في أوائل الستينيات وشرع في بنائها في أوائل السبعينيات لإسكان التوطين الذين يخطط بهم بناء السد العالي وتوطين المزارعين وإعطاء دفعة للصناعة والري، تصنعت أقساما حملت أسماء مدينة الإسكندرية، مدينة الإسماعيلية، والصعيد والأطباء وإن كانت فيلاته الصغيرة الأكثر موصفاً في فيلات العصر السابق قد مثلت تنوعاً أكثر جمالاً من طراز البوهاوس العفوي الذي ميز عمارة المدينة العصرية.

٣. تعقيم، بعض المناطق وتحويلها إلى أغراض سياحية واجارية مع محاولة تفسير أو رفع مستواها الاجتماعي؛ هناك العملية التي تطلق عليها الكاتبة تعبير الـ gentrification (رفع مستوى) بعض الأحياء القديمة موروثة مثال الجزء الملل على النيل من حي بولاق الفارديين الذين دخلوا يأتى على حساب السكان الكثر احدى عيضم من مساكنه كما أعيد تولى: ١٩٨٠، الخ، الصخرة في

مناطق أخرى، وببعض الأرض إلى المستعمرين باسم منصفه كونها على أي شيء، حيث تم تحقيق الأحياء القديمة بهذهذا مع الإبقاء على صولة (تقريباً 124) الأمر الذي يتركه بمقولة الاقتصادي، محمود عبد الفضيل حول الفقر المعنوي، وتبرير الدراسة معاذة أسكان للظروف التي جعلت على عدم الأمان فتحولهم من الإحلاء قسراً ومن شح في المياه والكهرباء وأحياناً والتي تستأجر الوحدات والمنشآت السياحية والتجارية نصيب صحم منها، حيث شهد بين سوق على سبيل المثال إنشاء فندق الكومندور ووريجي التجارية ومولات أرتيبيج التجارة وتايل ستارز، حيث أرتيبيج أرقام المولات بأسماء الكبيرة في عالم رجال الأعمال، عائلة صبور، مركز التجارة مول، عائلة سورين، مركز التجارة مول والعربي النيل، (عائلة عزمي ملاك)، بالإضافة من الحادي جاردن مول قل شهرة، بالإضافة إلى راس المال السعودي في حالات مول الميعة (الأمير بقر بن سلطان) وموسى ستارز الشريفي والشيبكشي) ورأس المال الإماراتي في حالة كاهوز ماجد (إمارة).

كما يمكن لنا رصد عدد آخر من التحولات:



التي انشئت من ميدان لأطوعس
 (مكتبة الكاتبة ميسى عسكري)،
 والصالح الحريية، والمخنف عسكري
 ومستشفى عسكري... ويصغر
 الصاق (٢٢٣)
 وتحت الإشارة على هذا الصدد إلى
 أن ترك أفراد الأسرة في حي سكني
 معين من أحياء القاهرة ليس بالظاهرة
 الجديدة تماماً، فقد أجريت دراسات
 سابقة ما شوهه أ. الطيبي - حتى
 ثلاثينيات القرن العشرين على يد قدر
 من الفروع من الحي - من تركيز
 سكني لنبط الصباط إلى جانب تجار الخبز
 الخليلي والجمالية والحسين وملاط
 الإرواض الزراعية الذين تركوا
 الأرياف، وربما الآن الجديد حالياً هو ما
 يشهده حي مدينة نصر من تركيز للجبابرة
 الموسمية العسكرية وليست الجبابرة
 السكنية محض.



ويمكن تفسير هذا بأن الخبرين من الإراضى المدنية يتعدن من طريق صلاح السلام على مدينة نصر كانت في السابق معسكرات للجيش قبل الإمداد السكان لمدينة القاهرة وعندما انتقلت المعسكرات إلى خارج القاهرة تم استبدال هذه الإراضى على الوجه الذى سبق إضاده كما أن انتقال عدد من ضباط الجيش إلى حي العباسية حتى ثلاثينيات القرن الماضى كان بسبب قرب الحي من معسكراته. كان المثلث

ولم يكن حتى مدينة نصر وحده الذي شهد تركها لفئة مهنية بعينها، فمدينة

العاصمة وهي عزة العرب وعزة
الهحاة وعزة نصار ومنشية ناصر في
حالة مدينة نصر. والإسكان العشوائي
في تحوم حي بولاق المتداعي ذي التاريخ

هنا تهر الكاتبة كييف ان لفسد
العربية، كفتوان على الضفر) قد تفسر
مدلوله الواسع الضميم إلى مدلول
مبدئي، وإذا كان فيلم «عين ميسرة»
الآلى نجاحا كبيرا (وإن جاء صداما لكثرة
من رواد السينما ممن هم في عداد
الطبقة الوسطى)، فقد سبق الكاتبة
الفيلم إلى الإشارة إلى ما أصبحت كلمة
العشوائيات، تدل عليه في الخطاب
الرسمي من: فضى السلوك والعلاقات
التي تصيرها (ص ٢٤٤) .

وتقارن الدراسة بين حينين نسي كلاهما على نفهم الصحراء في عهدين مختلفين. فويلفوليس باعتبارها موجودا للحضائل الكولونيالسي في عهده مويوليني في مرحلة أوائل القرن العشرين، عديبة، نصر باعتبارها جحر الحقة العاصرية، وفي حين تنتشر مع فيلوموليس الطفر العاصرية المشقوعة من نويدي إلى نفيوعات على الطر الإسلامية إلى طراز أديركو الغربي. فحجاء طراز مدينة نصر كتقوية رخصية على طراز (البواهي، Bauhaus ما فيه من تحرييد وليند لتختلف الإضافات المعاصرة التجميعية. فمما تلاطحت الخلفاء أن «حياء» مدينة نصر التي نشأت الواحدة لند لأحرى تميز بفياف مركزا وقلب، لهذه المدينة الأمر الذي لا يبدو وكأنه صيايق سلكها الذين تعود لثقافتهم فهي على لمط الشيكسي، شبه الصحراوي في شوارع (أطولية ده والواسعة)، العباد، (الطبري) (أ)

أحياء ومهين:

استقلت الناحية في حالة مبينة نصير
تركز الجاني القنطرة بالحيش في هذا
نحي سواء كانت تلك المباني مشروعات
سكنية مدعمة سكنتها عائلات لا هراد من
الحيش أو أعانت مبناها أو كانت ملكات
لمباني مسكونة عائدة لا أجهزة الحيش
المتخلفة مثل القيادة المركزية للحيش
والقنطرة العسكرية ووزارة الدفاع وأندية
ضباط من مختلف الدوائر مثل
الدرعات والمدفعية، ومباحث أمن الدولة

كتاب الزاوية



محمود محمد شاكر

رسالة في الطريق إلى ثقافتنا

هو شيخ العربية وإمام المحققين، عاش حياته مراعياً وحارساً للثقافة الأمة من خلال فك رموز وقراءة طلائع كتبت التراث التي حققها والمؤلفات الأخرى التي وضعها والتي استندت إلى ثقافة واسعة وعلم غزير.

ولد العلامة الشيخ محمود محمد شاكر «أبو فهر» عام ١٩٠٩ لأسرة من أشراف جرجا بصعيد مصر. وكان أموه من علماء الإسكندرية وتولى منصب وكيل الأزهر لمدة ٥ سنوات وأخوه العلامة أحمد شاكر أحد كبار محدثي العصر. التحق بكلية الآداب لدراسة اللغة العربية عام ١٩٢٦ لكنه حين استمع لمحاضرات الدكتور طه حسين عن الشعر الجاهلي والتي قال فيها إن غالبية الشعر الجاهلي منحل وإنما ابتدعه الرواة في العصر الإسلامي، قرر أن يترك الجامعة وسافر إلى الحجاز عام ١٩٢٨ حيث أنشأ مدرسة ابتدائية إلا أنه عاد بعد عام واحد ثم قرر الرد على طه حسين فأصدر كتاب «المنهى» عام ١٩٢٦ وكان فتحاً جديداً وتحدياً لأدباء عصره. وواصل محمود شاكر دراساته وعزله ورسخت مكانته وعقد ندواته الفكرية في بيته وكان يحضرها أجيال من الدارسين من العالم الإسلامي. ودخل أبو فهر في الستينيات معركة ثقافية حادة مع الدكتور لويس عوض حول المعري أظهر خلالها ثقافته الموسوعية ونتج عنها كتابه الشهير «أباطيل وأسفار» وهو من كبار محققي التراث ومن أشهرها تفسير الطبري و«لبقات فحول الشعراء وتهذيب الآثار للطبري». ولى نداء ربه في ٦ أغسطس ١٩٩٧. وأخارت «وجهات نظر» مقتضات من كتابه «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» من إصدار مكتبة الخانجي بالناصرة. الطبعة الثانية ٢٠٠٦.

العاصمة نادى جاردن سيتي (سميح ساويرس وعمر مهني).

وفي الخلاصة، فإنه من حيث ربط الحزنى بالكلى والعام بالخاص وأساليب حياة الأفراد والجماعات بالتطورات السياسية العربية للمجتمع تخلص الدراسة إلى ارتباط التحديث الناصري بأسلوب البوهوس في العمارة والأثاث، واستمرار أساليب حياة الطبقات العليا أو المتوسطة العليا السابقة على قيام الثورة تقريباً على ما كانت عليه إلى ما بعد الستينيات الاشتراكية في عام ١٩٦٢، حيث لم تر الباحثة في التحول من راسمالية الدولة إلى سياسة الانفتاح الاقتصادي في حقبة السبعينيات انقطاعاً بل تغيراً في نمط استمرار ما سبته من تحالفات خلال الستينيات بين البرجوازية القديمة والبرجوازية الصغيرة الصاعدة في العهد الناصري وإن جاءت تلك الحقبة رمزاً في استبدال المشروع العام لبناء الدولة بعد الهزيمة بالمشروع الخاص للتحلل العائلي والهجرة للطبقة والتي حرمت الطبقة العليا القديمة مما استمرت في السابق تتمتع به من معاملة رفيعة. وفي مقابل استراتيجيات السكن والتوزيع القديمة وحليفتها البرورقراطية الصاعدة، جاء التفسير عبر القادسيين الحدد الذين ارتبطت معصومهم بما تبلور خلال التسعينيات سياسات نيوليبرالية حديثة كانوا هم قادتها (tycons) ثمزج عهدهم بالاضاريات المالية وتخصيص الأراضي وتطويرها وزعم شخصيات جديدة غير القسط السمان للبعد السادسي (تجد الكاثية أن مفهومهم «للتعمية، هو المزد والمزد من الاستغلال لبناء مولات. فنادق، منتجات سايحيه) مع عدم إلاء أى اهتمام سواء منهم أو من الدولة للقطاعات الإنتاجية ص (٢٥).

وختاماً، استعبد هنا ما أورده الكاثية نقلاً عن Zygmunt BAUMAN حول التفرقة بين أسدويين للحياة أحدهما «معياري» normative مبنى على الإنتاج، وآخر ظرفى سائل fluid مبنى على الاستهلاك كل شىء فيه يتم التخلص منه بعد استخدام قصير (disposable) بدءاً من السلع مروراً بالعلاقات الإنسانية وانتهاء بقوة العمل (ص ١٠) وهو أسلوب حياة تخشى المؤلفه أن يكون قد أصبح له اليد العليا في مجتمعات من العالم الثالث منها مجتمعتها ■

«الدعماء» عنها، تلقت الباحثة إلى ما هنا لك من معارفة في ارتباط نداء المولات من الموت بكونها مطروقة من جانب الطبقات الشعبية ولو، للفرجة، والأكل فيما قد يوجد فيها من مطاعم رخيصة مما يشير إلى ارتباط المول بدرجة أعلى من «المقرطة، مقارنة «بالقصر الشقافة الكولونيالية الكورموبوليتانية على القلة السعيدة» والقصر النزعة الاستهلاكية في العهد الناصري على خدمة الطبقات الوسطى الصاعدة وعدم مشاركة الفلاحين.. في الشقافة الاستهلاكية إلا في عصر الانفتاح من خلال الهجرة، (ص ٢٨).

وفي حين تشير الكاثية أن دخول منطقة وسط البلد، قديماً كان في حد ذاته مقصوداً في السابق على حد رواية أحد مصاصرها على غير الحفاة مما منع أعداداً غفيرة من الطبقات الشعبية من ارتياد محالها. فإن الخفاء وظاهرة الحفاة (حتى بين الفقراء) والتغير العام في نمط اللبس مرم إلى حد كبير من حدة تلك التمايزات وأسارع فأقول أنه إذا كانت تلك التمايزات قد موهت في المجال التجاري، فإن المجالين السكني والتوزيعي قد شهدا تفاهما في حدة تلك التمايزات تبس في رفع الأسواق، العملية القائمة بين الطبقات في الكوميونلات السكنية والتجسيمي التي تستحق تناولاً مستقلاً.



وفي نفس السياق، فإزاء ما يشير إليه الكتاب من أنه - وعبر عملية الكورموبوليتانية - تمزج أسلوب حياة الطبقة العليا بوجود العيلات سكنيا، وسيمت الأقسام، urban stores وتجاريا، ومدراس الإسرائيلية (خصوصاً للبنات) تعليميا، والنادي الرياضية ورياضات البولو والتكريك وسباق الخيل ترفيهيا، يثور التساؤل عما آلت به العولة لهذه الطبقة من جديد؟ يحتاج الأمر إلى دراسة مستقلة وبمكثنا إلى ذلك الحين الإشارة في معالجة إلى ملاعب الجولف (قلة من هذه الطبقة يبدو أنها تستخدمها بالفعل)، والمدارس «الدولية»، والجامعات الخاصة والأجنبية والكوميونلات، gated communities والخدمات الأسبقيات والأفريقيات، والنادي الاجتماعية الجديدة كنادي



السائق محمود!!



مريد البرغوثي

تفضل يا بني، انتبه، سحبة جداً، اضبط الحاجة، تفضلوا.

يصلني الكوب من يد الفتاة الجالسة أمامي في القعد الأوسط، أمسه بحرص، اسطر إليه، أرفعه، أرفعه إلى شفتي وأرشف رشفة أولى، هذه قهوة، ربما ينقصها فنجان أنيق لتنفو قهوة أخرى، لكنها قهوة في وقتها تماماً، يختلف الناس في سير القهوة وتختلف أراؤهم، الرائحة، اللون، المذاق، القوام، الخلطة، الهال، شكل الفنجان، وغير ذلك من الصفات، أما أنا فأرى أنه «التوقيت»، أعظم ما في القهوة تتماشى، فمن أجمل أوقات العيش تلك اللحظة التي يتحول فيها «ترقب صغير إلى ضرورة».

والقهوة يجب أن يقدمها لك شخص ما، القهوة كالوردة، فالوردة يقدمها لك سواك، ولا أحد يقدم ورده لنفسه، وإن أعدتها لنفسك فأنت تحفظها في عزلة حرد بلا عاشق أو عزيز، غريب في مكانك، وإن كان هذا اختياراً فأنت تدفع ثمن حريتك، وإن كان اضطراراً فأنت في حاجة إلى جرس الباب.

والقهوة ألوانها مذاقات وأذواق، الشراء والغاصة والمحروقة والأوسط، ومن ملاصق من يقدمها لك وظروف تقديمها تكتسب معانيها الخلتية، فقهوة التعارف الأول غير قهوة الصلح بعد الخصومة، وغير قهوة ريفش الضيف استسماها قبل ليلة طلبه، وقهوة العرس غير قهوة العزاء، وقهوة التهنيم في الكتابة غير قهوة الاستمرق في الإقامة، وفي وفي في السفر غيرها في الإقامة، وفي الفندق غيرها في البيت، وقهوة الموقد

مسخرة من يراجتها حالهم لقربنا ومخيماتها بحسبهم خارجين لغزو الصبر مع أنه بإمكانهم اعتقال أي واحد منا أو ترحيله خارج البلاد أو حيمسه أو قتله بلا دبابات وبلا ممرعات وبلا إيف ١٦ حتى يأسر عرفات ذاته، حين يده يمنهم؟ سكت لحظة ثم قال،

تعودنا على قلة هذه الهال يا بني، عمي، ياله... ما الذي سيصيننا أكثر مما نحن فيه؟ أما الذي أتبعته ثلاثين سنة عن هؤلاء الناس من أبناء بلدي وعن تفاصيل حياتهم اليومية لا أستطيع أن استخف بخلط شخص مرعب كشارون لا اجتياح مدنتنا وقرباننا بينما هم أنفسهم أبناء هذه المدن والقرى الذين لم نضعهم الكافي، يحولون الأمر إلى مادة للتشتر، هل هو التعود؟ أم هي المكابرة؟ أم هي الثقة التي باتركها كشافة الإقامة في التماسيل؟ أم هو فعل المقاومة الذي يفسدونه بمجرد بقائهم المادي في المكان؟

قررت إذا الآخر أن أفتح نفسي أن الأمر عادي، لم أسمع ببدء قلبي وجزعي مما يشعركه مهندس مجرزة صبرا وشاتيلا عندما يطلق دباباته في شوارعنا غداً أو بعد غد.

يتناول السائق من تحت قدميه ترمس قهوة، يعطيه للشيخ الراكب سحواره ويروده بمعاود من أكواب من البلاستيك الصغيرة. مع سكب الكوب الأول تتمايل راحة القهوة مع راحة الهال سائفاً مكرراً، يصل الهال أولاً بالطبع. - الله يهدنا على شارون يا رب،

الاستعداد، السيارات قليلة في الشارع والمارة أليل.

تخرج من حدود رام الله، يبدو كل شيء عادياً إلى أن يتلصق مكالة على هالهم النقال، ينهيا في ثوان، ثم يزيد سرعته بشكل ملحوظ. بعد بضعة كيلومترات يخرج من الطريق العام، يدخل قرية أراها للمرة الأولى، لا أعرف اسمها، وأجل أن أسأل، ينحني شارعها الوحيد الضيق ثم يتعرج بين البيوت قبل أن تخرج منه ثانية إلى الشارع الرئيسي المرفوف

صباح الخير عليكم جميعاً، اسمي محمود، هذه آخر سيارة إلى الجسر اليوم، إسرائيل أبلغت الديبلوماسيين الأجانب أن الاجتياح سيتم الليلة أو غداً وطليت منهم أن يدبروا أنفسهم، أولاد الحرم، المهم عندهم الأجانب، كأننا لسنا بشراً، الجيش مستعمر، الطريق أغلقت دون إنذار، الحواجز الطيارة في كل مكان، القطن سير كما ترون، لكن لا بد أن نصل الجسر بوعون الله، قهوة؟ صاب للجميع يا حاج، كبير القوم خادمهم.

لا يبدو على الركاب اضطراب استثنائي من خبر الاجتياح الإسرائيلي الموشيك الذي أعلنه محمود، بل إن الركاب البدين الجالس أمامي في القعد الأوسط علق متهمكاً

كان الفيلم ناقصه «كشبن» يقتلوننا، بالفرقة يومياً، وبين فترة وأخرى يشتاقلون لثقتنا «بالخطة»، أهم أنهم اجتاحتنا مائة مرة بلا فائدة، أفسوس، واللي يجبر الجرب عقله مخرب، ما عندهم إلا الخطع والقتل. وقال جازه:

ما نحن بعمل سالحين إلى أرحنا كما وعد، ما زلت لا استوعب كيف تمكننا من ذلك، ربما هو الحظ، أو الهوانف النقال أو دهاء الغربيين والزراعة، أو ربما، وهذا هو الأرجح، أن القدر لم يسمح بعد للفلسطينيين أن يموتوا بسبب حوادث الطرق، لكن ما يشغل بالي في الحقيقة

أقف باستنظاره تحت مظلة ناب الهندقي في رام الله، يصل في موعده تقريباً، هذا ليس غريباً على «سمريرات درويش، المعروفة بالدفعة، يترك محرك التاكسي والرا وينزل تحت المطر الخفيف باتحاهي.

السيد برغوثي؟ يتناول حقيبة السفر الصغيرة من الأرض (حقيبتى دائماً صغيرة هنا بسبب الحواجز) يسرع ليخبرني لها مكاناً في صندوق السيارة. حيث أنه لم يحملها على ظهر السيارة كالحقائب الأخرى، ويجه أنه جمع ركابه الستة أولاً، لن نصعب وقتاً آخر في السحت عن عنايتهم في تلال رام الله ومنخفضاتها، أجلس في السيارة الصمراء أقول نفسي هذه بداية طيبة ليوم.

بمطلق بنا إلى أرحنا دون أن ينطق بكلمة، كأنه يخفي سرا ويبحث عن توقيب مناسب لإعشاله، وأصبح أنه قرر تجنب، حاجز قلنديا، ماسحات الزجاج لا تجدي نفعا في إزاحة وطأة الضباب الذي اتخذ لون التوقيب، وتحرر سبالها مع المطر الأخذ في

المن الكامل يصدر قريبا في كتاب



فلستين: ٦٠ عاماً

القهر، المتهور ينشبت باصراع البهاج المتاح ولا يترك فرصة للروح واللمب ولوهو الفجر وهو ينتزعك من باثتوهات العاصمة والواضحة مهما عز عليه مثالها ومهما صعد إليها السبيل، المحتل والسجين والمطلوع والمضموع والمغلوب على أمره يفكر أولاً بالمقاومة ويمرر أولاً أيضاً بالراحة والمسرّة. طربت لحكاية جميلة فعلاً رواها لي في زيارة سابقة شاعر شاب النقيته في مكتبة الشروق في رام الله، عن فرجه العظيم عندما أعلنت مكبرات الصوت فجأة أمراً من الجيش الإسرائيلي بإغلاق بلدته إغلاقاً تاماً ومنع الدخول إليها أو الخروج منها، وإلا كان، في سروره، معيّننا أعظم الامتنان لجيش وبكاد يرفعه فرحاً تلك الليلة، لأن الفتاة التي يصيها كانت في زيارة لأمرته في سجن مصر ونقضاء الليل كله عندهم بسبب الإغلاق ومنع التجول، دون أن تخشى الموت من والدها، وعندما رفع مبلغ التحويل وفجئت الحواجز في اليوم التالي انتهجت القرية وإبتاس صديقي العاشق، رغم ذلك أتمنى أن لا يستمر الخليل في رواية التكت، تمسكتن الطرفة التي تولد تلقائياً في سياق الحديث لأنها تدل على قمة الدهم والبراعة الأدبية أكثر من التكت المحفوظة، على أي حال ما هو يتوقف لحسن الحظ، ويسكت طوال الطريق.

تتسلق السيارة مرتفعاً خفياً ثم تستوى على الشارع المعبّد، الفكر في تبادل الحديث مع الشاب الحزين يحواري وأعدل عن الفكرة بسرعة. السائق المحسوس يبدو مرتاحاً لأن على الشارع المعبّد، يبحث في أزرار راديو السيارة، فجأة، يقبل الراديو ويتنشط هاتمه الخلال

- طيب طيب شكراً

يخفف السرعة دون أن يشعر لنا شيئاً ونظري بعضنا وبنسراً قليل أن يهب من الشارع إلى حقل مجاور ثم يستدير إلى الخلف، ثم يد مدحمة الأسفلت أكثر من يصعب تفاعل، يتقدم مسافة قصيرة أخرى، ويشرح لنا الأمر، اقلنا من حاجز ميار لماذا تعبس يا حاج نفاعلو ماخبر تحدهو، لكل شيء حل.

- كله على الله يا ولدي.

- حل حل ترجمنا إلى رام الله؟ أنا طيارتي الليلة وإذا صاعت على سافقد القهوت وتصيب على الجامعة يتحول القش الجالس



بحواري بصوت مذهب، كأنه

السابع ولم يمت وقام صحيحاً معافى، قال له أحدهم، أعطيك مائة دينار واعلمها مرة ثانية، فرفض الخليلي قائلاً: ومن يضمن لي أن أسقط على رأسى مرة ثانية؟

سأله محمود وما هي أقسى أو أسوأ نكتة بالنسبة لأهل الخليل، أقصد النكتة التي لم تستطيعوا تفلحوا؟ - أنا المستوطنين باروخ جولدمشتاين أطلق النار على المصلين في الحرم الابراهيمي في الخليل وقتل ٢٩ خليلياً قال واحد بعد عدة أيام من المجزرة، كان لم الممكن أن يكون عدد الصحابي أكثر بكثير لو أن باروخ لم يصوب على رؤوسهم.

لم أكن قد سمعت بهذه النكتة من قبل رغم أن مجزرة الحرم الابراهيمي وقعت عام ١٩٩٤، لم أضحك، الجازير لفرط ما تكررت أصبحت موضوع تندر ضاحياها. الضحية تسمى من المها تسامياً غير واضحاً له وفي هذا الصراع عليه المتكافئ بين الفلسطيني

الأصغر وجيرون الاحتلال المسلح بأحدث أسلحة العصر، يكره الفلسطيني على يبدو مثيراً للشفقة. يتسلق بالحدود، والسيرة حتى - الدات، وانتهكهم على أمساته المتكررة دون

زوء في آخر الاحتلال. لم تعد السجون والأوامر منع الإغلاقات للتكررة وأجتيحات مادة للشكوى المساوية بين الناس. وأنا أحاربها إذا كان التمرد ضيقاً أم قوة، فإذا كان تمرد الظلم والقهر ملجأ من ملامح العبودية والياباس، فإنه في حالة وشوق صاحب الحق من حق، يصبح كخطا للعبس

ومراكمة لعناصر قوة خفية. من علامات قوة المتهور اللطيفة من الأقوي، والاستعداد للصامت للرد في وقت ما، حتى وإن طال. أثناء هذا الصبر يمارس القهور شهوة الحياة بكل الحواس، ولا أكذب من يقول لك إن المتهور لا يفعل شيئاً بحياته وهي حياته إلا مقاومة

فأجدها تعيد فتح لنفها الإيجابي، تدس فيه كوب القهوة بالحبر المدروس ذاته، وتتناول رشفة أخرى، يبدو أيسر روليتها بالنسبة لها.

في المقاعد الثلاثة الوسطى يجلس البنت الشابة ولا أرى منها إلا شعرها المعقود كنيل حصان وأذنيها الصغيرتين بلا أقدام، ورجلان لا يد أن أحدهما قصير القامة جداً، لأن حمله وعقاله عناصر في المقعد، أخيله ولا أراه، والثاني هو الرجل البدين المرح. قبل أن يقدم القهوة لحارة العالض يقول لمحمود مداعباً:

- صاحبنا «خليلى»، أعطيه قهوة؟ كلنا نضحك، حتى السيدة ذات النقباء هفت ضحكت عينيها بصوت عال. أقول لنفسي إذا فتح باب التكت على الخليلية لن يفلح. يبدو أن محمود يريد التحريض على المزيد منها فقال:

- ما لهم الخليلية؟ - تم أصاف مقددا اللجة المصرية. - الخليلية أجدع ناس، والخليل بلد الرجال والله

انت خيلى يا إخ محمود؟ - كنت، وتعالجت. - يضحك الخليلي بصوت عالٍ ونحن نضحك مرة أخرى.

أضاف محمود جادة هذه المرة:

جدي مثلاً كان يروى عن الخليلي الذي وقع من الطابق السابع وقام صحيحاً معافى.

قال له أحدهم، أعطيك مائة دينار واعلمها مرة ثانية، فرفض قائلاً: ومن يضمن لي أن أسقط على رأسى مرة ثانية؟

أنا جميع الأملعى والشهم. أجدع ناس

يتنمر المصريون على أهل الصعيد، والسوريون على أهل حمص، والأردنيون على أهل الطيبة، واللبانديون على «أبو العبد، والعنوان الدائم للشتن هو السداقة أو الفشنر - الفلسطينيون يتنكرون على أهل الخليل، والعنوان الدائم للشتن هو «بيلى الرأس»

يسأل الناس عادة عن آخر نكتة، لكن محمود سأل الربيع المأثراً عريباً هعلا عن أول نكتة أطلقت ضد الحلايلة. قال الخليلي الغافض في مقعده: والله لا أعرف لكن جدي مثلاً كان يروى عن الخليلي الذي وقع من الطابق

غير قهوة الألة. وهي من وجه مرح مليح في البقي غيرها من وجه متجهم متكد. وإن قال لك زائر الفجر وهو ينتزعك من عالتك ويتقادلك بلطخ مصطنع وإبتسامه مسلحة، نريدك على هتجان قهوة، عدلنا، فهذا أحد أنواع الخلف أو القتل.

يجى عرس محمود بتقيم القهوة في وقتها، فيشبع في، مع الطر الشفيط في الخارج، بهجة تنفثها مع الأخبار السيئة.

- لكن بلاش التدخين الله يبرضى عليكم، كلها ساعة ونصل.

- أي ساعة يا حاج؟ أقل ساعتين، ثلاث ساعات، أربع ساعات، يقول لك ألد قد نصل وقد لا نصل.

إبتسم محمود وهو يصحح العبارة وإثاقاً: - أنا قلت لا بد أن نصل.



ولد في العشرينيات الأولى من عمره، عيانه الصغيرتان تحمضان السوداء والبريق معاً، وإثاق كصباح جديد، متحفز الصبر بإفاته فكرة. حاسم الصوت بلا غلظة، نحيل حتى في ملايسه الضائقة، ملايمه جادة لكننا مزاحمة ومزيمحة، مطمئنة ومطمئنة، وزعم صفر منه يقود السيارة ماكترات الحفترين القدامى، الذي يشبه عدم الاكتران.

يبني وبين السيدة المثقفة في المقعد الحفسي يجلس في حزين، أقول لنفسي لا بد أن يراه قصه. كل واحد في هذه الدنيا يراه قصه، وأنا الذي لا أحب لأحد أن يسأني ما نألك، لا أسأله، لكنني هي الثقافة عابرة نوحه، أجدع يتسهم إبتسامه خبيثة تقطوني عيانه إلى منظر عجيب، السيدة المثقفة ترفع يدها اليسرى طرف ردهمها وتصلحه إلى الأمام، مكونة بحركتها صرخوساً طويلاً من القماش الأسود المبروك، تحته نطق سري يتيج ليدها اليمنى أن تدس كوب القهوة من خلالة إلى فمها بسرعة مدروسة تتم من خبرة في هذا المجال، ثم تسدل القماش ثانية لتخلق النطق الغدائي، بنفس السرعة، قبل أن يتمكن أحد من رؤية ما تخفي.

أتشاهل من المنظر رغم جدته بالنسبة لي، فلم يسبق لي في العرة أن رأيت مثقفة تتناول مشروباً أو طعاماً في مكان عام. لكنني أسرق نظرة ثانية،



ميادير الضرية ليبشر رجال المضافة بوفرة
محصول القمح تلك السنة وصباح بمرح
رائد.



عدد ١١٢ - يونيو ٢٠٠٨ م



٢٦ مصاحبات فسطاط



ثم تبرك أن المسخط ووطئها في صبرة شالكة استتمت في سرها؛ - استقر الله العظم - لا أقول لمحمد شيئاً، أقول لنفسى: سأكتبه، سأكتب الصالح محمود. بأساس ما فعل بالصبط، كما فعله بالصبط، سأكتبه، هذا واجبي، أنا كاتب وهذا عملي، قام هو بعمله، وذات يوم سأقوم أنا بعملي أيضاً، وما أنا أفعل، نصل إلى استراحة أريحا.

نزل حقلنا، يدفع كل منا الأجرة لمحمد مضافاً إليها نصيب كل منا من أجرة الرافعة المباركة.

حافلة الحسرواقة بانتظار ركاب يملأون مقاعدها، نضع حقلنا في الجمرات المخصصة لتأكل الحافلة. يودع محمود، يضافنا متمنياً لنا رحلة لطيفة إلى عمان.

أقف في طابور غير منتظم يتدافع فيه الناس، في انتظار ختم أوراقى.

في الطابور الطويل المجاور أرى السيدة المثيرة ترطب العنقاب بشرده عن وجهها والشرطية الإسرائيلية تقول لها ارفعيه كله فنفعل بالصبغ كامل. واضح أنها تريد الكاميرات الأمنية أو للضابط الجاهل في الكابينة العليا خلف الزجاج المدخن أن يتمرغ على وجه المسافرة بوضوح، تسميد البرقع بسرعة وتلتفت سيمتاً ومسامراً نحو الطوابير المجاورة تحيرها معرفة من منا رأى وجهها ساعداً

يتزامم الحقلون محاورين تخلق بعضهم وسطاً احتجاجات المتقدمين في الطابور على مضايقيهم. يعلو صوت رجل قصير القامة أصغر، يا جماعة صفوا بالودور، عيب عليكم، خلينا خلص. ولكن لا حياة إن نادى. يلاحظ الصابغ الإسرائيلي الجلبه، فيقف ويصرخ في الجميع أن يقفوا صفاً واحداً. يقفون صفاً واحداً على العور.

الرجل الأصغر القصير أخذ يضرب كما يضرب.

- عجبك يا أمّاذة؟ ضحكك لا يأتي بالحسنى، أصبح موقى ولم يسمع كلامي أحد لكن أصبح ضلوم، يحكمهم كلهم كالظلم، لا حول ولا قوة إلا بالله، حسبي الله ومولاي الوكيل.

من نقطة الشرطة الإسرائيلية على الجسر إلى نقطة الشرطة الأردنية علينا تبديل الحافلات، حافلتنا توصلنا إلى أرض تربية تتناثر عليها حقلنا بشكل هجمي غالباً ما يؤذي إلى تلف أجزاء منها

أو تتناثر محتوياتها، وتساقطها الأكيد في كل الحالات خصوصاً في الأيام الماطرة، علينا التزول مسرعين مترجحين بشكل مثير للاشمئزاز قطع أمضى تصاعدت أنانية المراد إلى حد تجاهل الأضعف من المسين وتفتيل الحركة والمهينين يكثر كل راكب على حقبيته الملقاة وسط كوم عشوائي ليضخم بيديه في الحافلة الجديدة التي تستقطع مسافة قصيرة إلى نقطة الشرطة الأردنية.

يصبح شخص أدرك من لهجته انه نابلسي:

- محمد، معك وضوء؟
- آيا، متوصي الحمد لله
- طيب يالله تحطف صلاة العصر
- إلت سمعت الأذان يا بابا؟
- والله يقصم عرك شو أهبل، هو في حدا بيأذن هون؟ ولك ما في أيديك ساعة قد ساعة الحيط؟ ولك صار ميعاده.

في المستقبل سيد هشتي جدا أن أرى كل طاقم المضيفين في شركة مصر للطيران يؤدون الصلاة على ارتفاع ٣٩ ألف قدم في رحلة بين القاهرة ومديريد

للطيار يؤدون الصلاة على ارتفاع ٣٩ ألف قدم في رحلة بين القاهرة ومديريد جنس في الحافلة الجديدة نائنظرهم ثم نصح نحو نقطة الشرطة الأردنية. نصل، يصعد شرطى أردلى، يجمع الهويات وجوازات السفر من كل الركاب ويغادر بعد أن يأمر سائق الحافلة بأبواب مغلقة علينا إلى حين تلقيه إنذاراً بفتحها من المسؤولين بالدخل.

في الصيف تصل حرارة الجو وروبوته في هذه البقعة من العالم أقصى ذراها، وقد تصل الخمسين درجة مئوية، وإن كانت هبات الأرماد الجديدة تثبتها في حدود الأربعينيات القصوى لسبب لا أعلمه. نحن الآن في الشتاء والانتظار لا يضير لكن تكرر الانتظار كل حين هو المزعج.

في هذا الانتظار أيضاً أدخل في مصفئتي، أقدو وحيداً مع أصوات

وشاهد وعلامات استهمام وعلامات تحجب شخصي، كان مخزناً هائلاً مهجوراً يفتح أبوابه إلى أو كاشي أصبح متجف نفسي وزائرته الوحيد وقد نام الحراس وأغلق على الأبواب، اليوم افعلوا إلى قلبنا، كما أجه عيوني كما يفعل بطل مصرخي شجاع، أو أخلق نفسي المبررات والأعذار كأي عبق، أصبح قاصياً صامراً لا يقبل التنازلات مع الحبيب أو القريب وفي نفس الوقت أصبح القاصي المرتشى المتهاون الذي ينسحب من الصعوبة إيثاراً للرحمة وقلق عيني الصيرتيني فجأة، علمي ما استقر في جسدي من أمراض، ألتفقين.

أقول لست لا شاعراً فلعاداً على أن انتظر على كل أنواع الحدود؟

لما أطر من بلد وأسج في آخر؟
لذا لا أستطيع أن اتحمل ما نتحملة الجند البديتات والحرارون الشباب بوجههم التحاسية الوسيمة والأطفال الذين يتعدوا، إلى الاحتلال حتى... أخرجوه؟

أسمع صوتاً بداخلي يعلن اشتمزاه من رخاوة نصص الخشخشة وشكواهم الدائمة، أضر أننى في النهاية شخص سين إذا قوبلت بأصحاب التصحيبات الصابرين، أقول لنفسى:

- ما من كاتب يستحق ما لا أو معداً بينما يشبه يتعذب، حتى لو كان أفضل من يعير عن هذا العذاب

أقول ليتنى كنت مزارعاً هالماز لا ينتظر إلا المطر، وهذا أسهل من انتظار

تحرر هذه الحافلة قبل أن أهمل صوابي، أريد أن أصل إلى البيت وأريد أن أنام.

يسمح لنا الشرطى الأردنى بالنزول من الحافلة وتنح إلى حاجز الجوارى ثم إلى حقلنا ثم إلى الشارع. الوقت يدخل في الغروب الآن، ساكون في بيتنا في الشمسياتي قبل أن تذهب الوالدة للنوم.

عندما أجتاز الحدود وأدخل الأراضي الأردنية تحل في جسدي السكينة، وأستعيد الشعور بأن الأمور عادية على الأهل، أصبح مسافراً مطمئناً استطع التلوي بمشاهدة الأشجار الراكضة بجانب السيارة وتأمل حقول الخور وأزهار الدفلى والشواجر الخالية من سقاط التفشيش والحواجز وأبراج الحراسة تبدو الأزلى للخراب من فلسطين المحتلة نعمة حقيقية، لا حواجز ولا توقيف ولا مستوطنين ولا دبابات، هنا نستطيع أن نقيس المسافات بنفس القياس دائماً، نعرف كم دقيقة تقريبي بقي لك لتصل من مكانك إلى أي مكان.

أخذ سيارة لوحدي إلى عمان، أريد أن أخلو بنفسى، أريد أن أستعيد هذه الرحلة من أولها حتى الآن، وأريد أن أذن في الطريق

أمامي ساعة في طريقي أصل، اضع شريحة راقى الأردني في هاتفي النقال والتصل بمرشدي في القاهرة:

أخبرنا أنا في طريقي إلى الشمسيات.

ثم اتصل بالوالدة في عمان.

- شو عندك عشا يا أمّاذة؟

في الصباح، يتناثر التناثر والجرحى بالعشرات شاشات التليزيون تتلون بالأحمر وتكاد تملأها فئائف الدبابات التي تدك الحياة بلا انقطاع. الشباب الطويلة المطرزة على أجساد الملاحات

تسيل على وجوه القتلى، ولأرضين تهز الأجساد المسجاة لعلها تستيقظ، وتسبق الضفاد في القنطرة على من يسمع صوتاً ولا يرى نداء، إلى الأبد.

في نشرات الأخبار تداً بأبناء اجتياح الجيش الإسرائيلي لرام الله

■ كان الشاعر، س. اليوت يلخص القصيدة التي نحن بصدها بقوله: الشعراء السيلون يفترضون من الآخرين، أما الشعراء الجديون فانهم يسرقون الآخرين.

لم يكن جورج حبش شاعرا . فلقد عاش طوال حياته وهو يتأصل من أجل استرداد ما سرقوه من أرضه وشعبه ووطنه.

ولقد تميز ذلك الاتصال، في ان صاحبه تمكن من الاحتفاظ بالأهداف التي انخرط في الاتصال من أجل تحقيقها، وعلى امتداد ستة عقود، بينما تراجع كثير من القادة الفلسطينيين الآخرين عن تلك الأهداف ولقد تمكن من ذلك لأنه فهم معنى النضال طوال حياته بطريقة واحدة، وهو أنه الوسيلة التي يستعملها من أجل الحصول على القوة، لدعم الحق، ولم يفهمه أبدا على أنه وسيلة استخدام الحق، من أجل الحصول على القوة، ولذلك كان من المائدة القائل تصرفوا طوال تلك العقود على أساس أن الوطن هو فلسطين، وليس القصيدة الفلسطينية، ولذلك ظل قادرا على أن يفهم العلاقة الحقيقية التي تربط أي حدث بفلسطين، أي كيف تسببت بدايات ذلك الحدث في الماضي الفلسطيني، وكيف تطورت حتى وصلت إلى الحاضر الفلسطيني، وما هي احتمالات صيرورة الحدث في المستقبل الفلسطيني، وبسبب هذا الفهم ظل دائما قادرا على أن يتعامل مع الواقع بكل أبعاده المادية والخفية وأن يتجنب الوقوع في الأوهام التي تخلفها حوادث عارضة، في البدايات تشكل فهم جورج حبش لحجم النكبة بشكل فريزي، ففي عمر ٢٣ سنة وجد نفسه في الجامعة الأمريكية في بيروت وقد تم طرده من بلده وتشريد معظم شعبه، وكان طبيعيا جدا أن يشعر بالدهاء العارم وهو يجد ظلانا عربا ليسوا فلسطينيين يتحرقون مثله لعمل شيء من أجل فلسطين وكان طبعيا جدا أن يتحول ذلك الشعور إلى تأمل وتشكيك وهو يستمع إلى اسناد مرموق (فلسطينيين رقيق) يتحدث عن معنى النكبة وأنها نكبة لكل العرب وليست خاصة بفلسطين

من ذلك الشعور الداهي وذلك التأمل والتشكيك تكرر في وعي جورج حبش العلاقة الجدلية بين نكبة فلسطين وواقع التجزئة المفروض بقوة الاستعمار والوطن العربي، فتنبه فلسطين وفيام (إسرائيل حديثا بسبب الصعف الذي كرسه التجزئة في الوطن العربي وإسرائيل بدوره ستعمل على الإبقاء على الصعف العربي عن طريق الحماقة على التحررية ومنع الوحدة.

من ذلك التأمل والتفكير ولدت حركة القوميين العرب كرد فعل مباشر للنكبة ويلي حاجتين غريزيتين شعر بهما كل رجل فلسطيني وكل امرأة فلسطينية بعد نكبة ١٩٤٨،

فضل مصطفى النقيب

” زمن الحكيم ”



عبدالله

كانت هناك حاجة ملحة للانتماء لكيان أكبر من المخيم واللجوء والتشرد وفي حركة القوميين العرب كان الانتماء إلى الأمة العربية ذات التاريخ المجيد والتي كان لها دور أساسي في تاريخ الحضارة الإنسانية.

وكانت هناك حاجة ملحة لاكتشاف طريق العودة إلى فلسطين وتحديد أساليب النضال القادرة على تهديد ذلك الطريق والسير فيه بسرعة. وفي حركة القوميين العرب كان طريق العودة يتحدد مع الالتزام بالنضال الهادف إلى بناء المجتمع العربي الجديد على أسس نهضوية متحررة من كل أسباب التأخر والصعف حتى يكون قادرا على تحطيم التجربة التي فرضها الاستعمار وإقامة دولة الوحدة وجيشها القادر على تحرير فلسطين

تميزت حركة القوميين العرب مصطنع هاتين كان لهما تأثير كبير على مسيرتها السياسية. الصفة الأولى أنها لم تكن القومية، كأيديولوجية وإنما كانت عام نابع من التاريخ والجغرافيا والثقافة وكان ذلك واضحا جدا بتأثيرها بافكار فلسطينيين رقيق وساطع الحصري والصفة الثانية أنها التزمت بالأسلوب الثوري وليس بأسلوب التطور التدريجي في العمل السياسي ولذلك كانت تلمس بأجواء مهينة لتكريس الالتزام بمفهوم ضرورة الثورة على الأنظمة السياسية القائمة في البلدان العربية واستبدالها بأنظمة مغايرة في التوجه والممارسة وقادرة على مقاومة الاستعمار وتحقيق الوحدة والتصدى للمعركة التاريخية مع إسرائيل.

ولقد شكلت هاتان الصفتان السبب الرئيسي الذي جعل حركة القوميين العرب، بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو، من أشد المحسنين والمؤيدين لنهج عبد الناصر الثوري ومن أول الداعين إلى التماهي والانخراط في التيار الناصري . فلقد كان الالتزام الناصري بالقومية العربية مبنيا أيضا على أسس التاريخ والجغرافيا والثقافة وليس الفكر الأيديولوجي وكان التزام التيار الناصري بالأسلوب الثوري قد أذهب عاطفة وخيال الجماهير العربية بشكل غير مسروق. كانت حركة القوميين العرب حركة حقيقية، متطورة، حية، وكنال الكائنات الحية كان لها وقت حياة وكان لها وقت موت.

عاشت الحركة وتنازلت طوال سنوات الخمسينيات والستينيات من أجل تحطيم التجزئة وإقامة دولة الوحدة، وعندما توقفت معارك النضال تلك بتأثير هزيمة ١٩٦٧ توقفت الحركة عن التنفس والنمو والحياة. وبدلك تجذبت حركة القوميين العرب بمصير بعض الحركات السياسية التي تأملت قبلها أو بعدها وانتهت بعد شبرات السنين إلى كلفات غريبة صعبة لا هي حية ولا هي ميتة.

طرحت هزيمة ١٩٦٧ مرة أخرى

موضوعاً إلى الانتماء وطريق العودة إلى التسال، وإذا كانت فداحة الهزيمة العسكرية للجيش العربي قد كرست على الفور تغييراً جديراً في مفهوم «طريق العودة»، أسقط أسلوب الاعتماد على دولة الوحدة العربية القادرة على تشعب الجماهير العربية وإعداد جيش قادر على خوض معركة التحرير. واستبدله بمفهوم الاعتماد على الشعب الفلسطيني في خوض معركة تحرير وطنه بأسلوب حرب التحرير الشعبية. فإن الإجماع على تبني ذلك الأسلوب لم يصاحبه إجماع في موضوع الانتماء. إذ أقرت الهزيمة في مجال الانتماء تياراتين جديديين هي صفوف الشعب الفلسطيني.

التيار الأول رأى أن الهزيمة حدثت تحت راية «الانتماء القومي» الذي جعل الشعب الفلسطيني يخيّب عن ساحة المعركة، ولذلك فإن الامة الطبيعية على الهزيمة يبدأ عندما يتسلم الشعب الفلسطيني زمام مصيرته بيده ويحررها من الوصاية العربية، ويشعر في بناء مشروع وطني فلسطيني يعتمد على الديمقراطية ولكن في الوقت نفسه يحتفظ بالقدرة على القرار المستقل. أما التيار الثاني فقد رأى أن الهزيمة أثبتت أنه ليس صحيحاً أن لكل طبقات الامة العربية مصالح واحدة في الصراع ضد إسرائيل وخوض معركة تحرير فلسطين، وأن هناك أنظمة تمثل مصالح فئات وطبقات عربية مرتبطة بالإمبريالية الأمريكية المتحالفة عضوياً مع إسرائيل، ولهذا فإن الصراع ضد إسرائيل هو بحكم طبيعته الأمور صراع ضد الأنظمة الرجعية العربية ضد الطبقات البرجوازية العربية، أي أن أصحاب المصلحة الحقيقية في خوض ذلك الصراع والاستمرار فيه هم جماهير العمال والفلاحين المنصرمة من تحالف الإمبريالية والرجعية وإسرائيل.



في البداية كان التركيز على طريق العودة، فقط، ولذلك ولدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كتجمع جهوي لبعضة تنظيمات فلسطينية مختلفة ملتزمة بأسلوب الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية، ولكن، بعد سنوات قليلة، برزت خلالها انقسامات وصراعات فكرية وسياسية كثيرة اجعل موضوع «الانتماء» فيها مكاناً بارزاً، حسم الأمور واتجهت الجبهة إلى أن تصبح حزباً ثورياً مقاتلاً مسلحاً بالثورة الماركسية-اللينينية.

وكما كان لجورج حبش دور رئيسي في تأسيس حركة القوميين العرب بعد نكبة ١٩٤٨ كان له أيضاً دور رئيسي في تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعد هزيمة ١٩٤٧.

حمل التوجه الجديد في الساحة

الفلسطينية، بعد هزيمة ١٩٤٧، احتمالات إيجابية كثيرة كما حمل احتمالات سلبية كثيرة ولا يوجد عائق لا يعترف بالأول، وبعد أكثر من أربعين سنة، إلى اللحظة كانت على العموم عليه الترقب من كل التفتتات الهائلة التي قدنها الشعب الفلسطيني والشعب العربي في لبنان ومصر وسورية.. وفي هذا المجال يبرز دور جورج حبش في أنه كان نموذجاً من القادة القلائل الذين اتسمت بقيادتهم باستمرار النضال من أجل دم و تعزيز العوامل الإيجابية ومحاربة العوامل السلبية. ومن الممكن تحديد دور جورج حبش الإيجابي عبر استعراض سريع للتوجهات الثلاثة التي كرست في الساحة الفلسطينية كنتيجة لهزيمة ١٩٤٧.

كانت حركة فتح من أول من طرح فكرة عدم جدوى خوض الصراع مع إسرائيل بأسلوب حرب الجيوش البطاعية وصورة التزام حرب التحرير الشعبية، وكان العامل الإيجابي في هذا الطرح هو أن فيه قرابة والقيمة لميزان القوى بين الطرفين، ولكنه في نفس الوقت كان مبنياً على تناقض صارح تمثل في أن فتح طرحت مقولة عدم التدخل في الشؤون العربية، وفي نفس الوقت الذي دنا فيه بكون سلطة فلسطينية مقاتلة على الأراضي العربية، ما كان لا بد أن يقود إلى الاصطدام بأسلحة الأنظمة العربية المعنية. وهذا ما حصل بالفعل في الحروب الأهلية التي اندلعت في الأردن ولبنان. وفي هذا المجال يمكن تسجيل نقطتين هامتين:

الأولى هي أنه بينما ارتكبت جميع الفصائل الفلسطينية بما فيها الجبهة الشعبية، في تلك الحروب، أخطاء وتحايزات وحماقات كثيرة إلا أنه من الممكن القول أن نصيب الجبهة الشعبية من تلك الإخفاقات كان الأقل والنقطة الثانية هي أن جميع التحالفات التي عقدتها الجبهة الشعبية خلال تلك الحروب كانت خاضعة بشكل صارم لتوجه الجبهة الأساسي ضد قوى الإمبريالية الأمريكية والرجعية العربية.

وهذا ما يكسب الحال بالنسبة لبقيّة الفصائل الفلسطينية.

وفي هاتين النقطتين كان لقيادة جورج حبش دور رئيسي في حسم خيارات الجبهة ومبادئ الانحياز وراء الممارسات الخاطئة التي شاعت في المشهد الفلسطيني. وفي موضوع التوجه نحو إعطاء الشعب الفلسطيني الدور المحوري في تحرير أرضه و امتياز أن دور العرس لا يتخطى دور الدعم والمساندة، فقد كان ذلك يطغى في البداية على عوامل إيجابية كثيرة تتمحور حول تعريف العالم بالقضية الفلسطينية كقضية تخص شعباً محروماً من مزاولته حقّه في تقرير المصير وليست مجرد قضية لاجئين. وقد حقق النضال الفلسطيني في ذلك المجال إنجازات هامة، وخصوصاً



فلسطين، ٦٠ عاماً



تكرس في وعى جورج حبش العلاقة الجديدة بين نكبة فلسطين وواقع التجزئة المفروض بقوة الاستعمار في الوطن العربي



بعد اعتراف الجامعة العربية بمسألة التحرير الفلسطينية كمسألة شرعية وحيد للشعب الفلسطيني. وكذلك اعتراف الأمم المتحدة بها وبمجيئها صفة مراقب وبشكل عام فقد نجحت منظمة التحرير في تكريس مكانتها في العالم كحركة تمثل شعباً يخوض معركة التحرير الوطني.

إعما في الوقت نفسه، كانت هناك ممارسات من قبل قيادة فتح، التي احتكرت قيادة النضال طوال الوقت، أدت إلى تلك الرباط القضية الفلسطينية بالقضية القومية وحصول تلك الفجوة على حرية اتحاد القروا وب تقديم التنازلات. وهذا ما قاد أخيراً إلى انقيايات أسوأ والاعتراف بإسرائيل دون أن تعترف الأخيرة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، وإلى الكيان المشوه الذي نجس عن تلك الانقيايات والكوارث الداخلية والخارجية التي عصفت وما زالت تصطب، والتي لا يرى حاجة هنا للدخول في تفاصيلها. وقد قصت القضية الشعبية بشكل دائم تلك الممارسات وكان جورج حبش خلال سنوات السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من أشد المفاريس لنهج القيادة غير المشول في منظمة التحرير ومن أشد الداعمين لإعادة بناء أجهزة المنظمة على أسس ديمقراطية سليمة تحررها من قبضة القيادة المركزية وأحرر مؤسساتها وأجهزتها من استئثار داء الصناد والعصى وعدم المبالاة.

ولكن الجبهة الشعبية لم تكن في وضع يسمح لها بإحداث التغيير المطلوب في الساحة الفلسطينية لا سيما أنها كان صغيراً ومعزولاً بين الناس كثيرين من نموذ فتح. بسبب ذلك الانشاقات التي حصلت فيها وأدت إلى انفصال الجبهة الشعبية عن القاعدة العامة، ثم محرومة أحمد زعور. ثم الجبهة الديمقراطية، ولكن أساساً تبني الأيديولوجية الماركسية اللينينية بشكل صارخ ومتشدد أدى إلى إصعاف الجبهة ومنعها من أن تتطور لتكون ممثلة للمجرى الرئيسي لحركة التحرير الوطني الفلسطيني، وكرس وجودها كمصمّل جانبي متطرف.

في مشكلة التوجه الماركسي الذي سارت فيه الجبهة الشعبية بعد هزيمة ١٩٤٧، المبني على أساس أن الهزيمة حصلت بسبب استسلام الطبقة البرجوازية الصغيرة لقيادة حركة التحرير العربي شكل في جوهره افتراء خاطئة للواقع العربي في تلك الفترة. لقد كان من أهم أسباب عدم قدرة حركة التحرير العربية على أن تحرر مهمات التحرير الوطني غياب الممارسة الديمقراطية في صفوف التنظيمات وأحزابها، وليس صحيحاً أن هناك طبقات مهولة للممارسة الديمقراطية وأخرى غير مهولة.

وفي هذا المجال، يبدو أنه من الإنصاف القول أن تحول الجبهة الشعبية إلى الاتجاه

الأيدولوجي المتشجع ما كان ليتم على الشكل الذي تم به بدون تبني جورج حبش لذلك الاتجاه ودعمه له. وفي الوقت نفسه فإن دواعي الإلصاق تقتضي القول بأن جورج حبش، بعد ذلك، لعب دوراً محورياً في ترسيخ ذلك الاتجاه وبحريته من الصمود الأيدولوجي وتطويرة في اتجاه استخدامه كمنهج جدلي لدراسة الواقع بأسلوب منتقش وخلق... هذا يعود إلى صفتين متضعت بهما جورج حبش طوال حياته، الصفة الأولى أنه لم يكن من الناس الذين يرتاحون بطيعة للظفر الأيدولوجية الضيقة فهو في طبيعه وفي ثقافته له حس التمدد القادر على الانفتاح على العظيمات الجديدة ومراجعة الأفكار القديمة بشكل دائم. أما الصفة الثانية فهي أن جورج حبش كان يصوغ آراءه ومعتقداته، بشكل رئيسي نتيجة الدروس التي يستخلصها من الأحداث وليس من الكتب والنظريات الفكرية. ففي كل الأحاديث التي أدلى بها يبدو واضحاً أن تطوره المعرفي قد تم بتأثير أحداث الانحصال (1911) والهزيمة (1918) وحرب رمصا (1933) والانقاص الأولى (1947) وأوسلو (1993) ومن المهم أن نشرك أن قدرة جورج حبش على استخلاص الدروس والعر السليمة من تلك الأحداث يعود إلى أنه وطوال كل تلك السنوات لم يتواجد في أي موقع له مصالح ذاتية تتعارض مع استخلاص الدروس الموضوعية من الأحداث. وهذا ما شك فيه أن ذلك التطور قد أسهم في تصحيح نظرة الجبهة لمعضلة حركة التحرر العربي وفي فهم الدور المركزي للنضال من أجل الديمقراطية، في أحد أحدى لحص لحص جورج حبش تلك المعطاة بقوله... لا يمكن تعبئة الجماهير إلا من خلال الديمقراطية... من إر قدرة الجماهير على القيام بدورها في التقدم والبناء في أهدافها ومصلحتها، مرتبطة بسريتها وتجميع طاقاتها وإيداعها وهذا غير ممكن من دون حياة وفهم ديمقراطية فالحرية والديمقراطية هما الشرط لتسير نحو الوحدة والتحرر والتطور والتنمية واستثمار إمكانات الأمة في مواجهة أعدائها القوميين وليس العكس، وفي مكان آخر يقول... لا يجوز أن يكون هناك أي شيء على حساب الديمقراطية. ولا يمكن للشعب أن يحقق أهدافه الكبرى إلا من خلال الحياة الديمقراطية".

ومما لا شك فيه أن الجبهة الشعبية سارت خطوات هامة على طريق بناء جهازها بشكل ديمقراطي فهي تتخذ قراراتها دورية بشكل دائم، وتتخذ قراراتها من خلال اجتماعات عامة كما تمارس عملية النقد الذاتي لسياساتها باستمرار. ولقد كان من نتائج هذه الممارسة الديمقراطية تعاقب ثلاثة أسماء عامين على قيادة الجبهة، وهذا لم يحدث في أي فصل فلسطيني آخر ومن المهم أن نلاحظ أن جورج حبش لم ينتج عن

زمن الحكيم



في حسرة القوميين العرب كان طريق العودة يتحدد في الالتزام بالنضال الهادف إلى بناء الاجتمع العربي الجديد على أسس نضوية متحررة من كل أسباب التأخر والضعف



قيادة الجبهة من أجل أن يتقاعد. بل على العكس لقد ترك المهام القيادية المباشرة لأنه أدرك أن دوره هو القيام بمهام أخرى. وقد حدد تلك المهام عند بلوغه السبعين من العمر بقوله، أولاً: أريد أن أسجل تجربتي، أي أن أكتب تذكراتي وإن الوقت أمام الأخطأ... ثانياً: أريد العودة للعمل العربي... أي العمل القومي. ثالثاً: أريد إنشاء مركز دراسات، وعنوانه لماذا هذا؟¹

وقد قام بعد ذلك بتأسيس مركز الفكر العربي للمدراسات الذي تحدث مهمته في البحث في القضايا الاستراتيجية العربية وفي القلب منها القضية الفلسطينية ويسعى لتقديم أبحاث جادة ومعقدة من وجهات نظر متعددة بأفق قومي عربي جديد، على أمل التوصل بالفكر القومي العربي التقدمي الديمقراطي.

ولقد اضطلع مع أحد أبحاث جورج حبش اللاحقة عن المركز أنه سيركز على الاهتمام بقضايا ثلاث هامة، الأولى هي قضية الديمقراطية في كل جوانبها النظرية والتطبيقية ومن حيث علاقتها بالناظم الاقتصادي وموضوع العدالة الاجتماعية والإسماوية والاشتراكية والليبرالية، والقضية الثانية هي قضية الوحدة العربية. وكيف يجب دراستها بأسلوب جديد يمتدع في العواطف ويراعي خصوصيات البلدان العربية المختلفة ويكرس أسلوب الوحدة الديمقراطية في المجالات التعليمية الاقتصادية والسياسية وكيف تقوم الممارسة الديمقراطية في صلب إيقاع الحركات الوحدوية. والقضية الثالثة تتعلق بضرورة دراسة الصهيونية بأسلوب يمتدع في النظرة الأحادية التي ترى في الصهيونية حركة واحدة متجانسة وينحون باتجاه الأسلوب العلمي حتى يتم فهم التطور التاريخي للحركة ثم تكوين فكرة سليمة عن حاضرها الراهن في كل مقوماتها وفي كل أطرافها السياسية المتخلطة من القوي المهيمن إلى القوي اليسار، وبشكل محدد فإنه يقول... يجب أن نفهم الصهيونية بعقل وتجرد، نفهم كيف تطورت، فهمها كما يفهمها منتباهوا، زائد كيف يفهمها شمعون بيرس، زائد كيف تفهمها حركة ميرس، زائد كيف يفهمها بعض اليهود الذين فعلاً لديهم عقل وضهير وبناتالي يقولون إنه يجب أن نتفلسف مع الفلسطينيين من خلال دولة فلسطينية مستقلة.

في الواقع، يمكن النظر إلى مضمون هذه القضايا الثلاث على أنها النواة الحقيقية لتجديد المشروع القومي العربي على أساس ديمقراطي يعتمد مبادئ علمية فكرية ومنهج. ومن المهم أن نلاحظ أن السير في هذا الاتجاه لم يكن فقط تعبيراً عن تجربة النضال الفلسطيني كما تمثلت في تحرير فلسطين الشعبية ولكنه يمثل إلى حد

معيد تجربة النضال الفلسطيني ككل، فإذاً فدقنا في تجربة الفلسطينيين الذين لم يقدروا فلسطين وعاشوا تحت الحكم الإسرائيلي ترى في ذلك التطور نفس الخطوط العريضة. فتطور تلك التجربة من أيضاً في المرحلة القومية الفلسطينية (متضمنة الأرض) ثم في المرحلة اليسارية والتناغم مع فصائل منظمة التحرير (الحرب الشيوعي) وصولاً إلى الطرح القومي العربي معصوم ديمقراطي (عزمي بشارة).

وهكذا نرى أن معنى تخلي جورج حبش عن منصب الأمانة العامة للجبهة الشعبية والمهام القيادية المباشرة كان من أجل تحقيق هدف واحد وهو التحرر من أعباء القضايا اليومية والتفرغ كلياً لنضال المستقبل

وهكذا نرى أن القضايا الفكرية والسياسية التي كانت محور اهتمام جورج حبش في سنواته وأشهره وأسابيعه وإيامه الأخيرة هي القضايا التي تشكلت محور اهتمام المناضلين على امتداد العالم العربي في السنوات القادمة هلقد كان دوماً مسكوناً بفهم المستقبل، المستقبل الذي لا يأتي من فراغ ولكن من إرصاصات وتراكبات الماضي والحاضر. فغورج حبش كان يجمع في شخصه كل تجربة حركة القوميين العرب وكل تجربة الحركة الناصرية وكل تجربة نضال الشعب الفلسطيني في الأربعين سنة الماضية. وكان متخللاً.

ما هي الصفات الشخصية التي نعرفها عن هذا الإنسان الاستثنائي؟



تعرفت على جورج حبش وأنا في المدرسة الثانوية سنة 1961. كنت مع مجموعة من التلاميذ، الفلسطينيين والسيوريين في دمشق أعضاء في جمعية سريّة تعمل على النضال من أجل تحقيق الوحدة العربية وتحرير فلسطين، وكنا قد رأينا أعداداً من النشرة التي يتم توزيعها بشكل دوري في الجامعات والمدارس الفلسطينية وتحت اسم "النار"، وتصدرها هيئة مقاومة المصلح مع إسرائيل. وكنا متلهفين لمعرفة من هي تلك الهيئة وكيف يمكن الاتصال بأعضائها وفحواً وجدت أخي عصام، وكان في سنه الأولى بعد التخرج من الجامعة، يحدث أبي وأمي عن شخص يدعى الدكتور جورج حبش الذي هو القائد البارز لحركة سياسية جديدة تدعى الشباب القومي العربي، وأنه كان يصدر مجلة الرأي في عمان وبعد إغراقها من قبل الحكومة الأردنية وملاحقته حفر في دمشق ويقوم حالياً مع مجموعة من الشباب القومي العربي بالإعداد لإصدار المجلة في دمشق.

بعد حوالي الأسبوعين من ذلك بدأت

مجلة الرأي تصدر من دمشق ويبدأ أحيى عصام مع مجموعة من الشباب القومى العربى يعمدون اجتماعاً أسبوعياً في بيتنا كهيئة لتحرير المجلة، فتعرفت على الدكتور جورج حبش وهانى الهندى وعدنان هرج وفيصل الخضراء وغسان محسنى وثالث الهامىي والحكم عوفى وبقية المجموعة وأخذ واحد منهم يعطينى خمسين عمداً من نشرة الشار وحصة وعشرين عمداً من مجلة الرأى لأقوم مع بقية أعضاء الجمعية بتوزيع النشرة على طلاب المدارس ويبيع اعداد المجلة للأصدقاء.

دعائى ذلك الشاب بعد ذلك مع أعضاء الجمعية لتشكيل حلقة من حلقات، والشباب القومى العربى، وكان ذلك بداية انتمائى مع بعض أعضاء الجمعية لحركة القوميين العرب.

كما كان ذلك بداية زيارتنا اليومية لفرع مجلة، "الرأى"، وكان عبارة عن غرفتين صغيرتين على الطابق الرابع لعمارة في شارع جمال باشا مقابل لعمارة الهالفت الألى، وهناك تعرفت على فنان كنعانى وكان قد أنهى الدراسة الثانوية ويعمل مدرساً في الكويت كما تعرفت على بلال الحسن وكان مثلاً ما رالى في المدرسة الثانوية.

كنت مع أحمد خليفة وبلال الحسن وقائدة الشرف وبضعة أصدقاء آخرين نلتهم بالأب والشفافة بشكل خاص، فالفنا رابطة، الأب والحياة، وأصبحتا نقوم بالإشراف على تحرير الصفحة ١٠ من مجلة الرأى الخاصة بالشؤون الثقافية مما جعلنا نتواجد في مكتبة المجلة بشكل يومي تقريباً.

منذ البداية، كنا نشعر بمعنى خاص لساعات التى نقضىها هناك، إذ كان الدكتور جورج موجوداً وأسمه اده أصبح بالإنسية لنا هو، "الحكيم"، فذلك هو الاسم الذى يناديه به جميع أصدقائه وهو الاسم الذى ينادى به الطلاب فى فلسطين طيب الصحة.

كان في شخصية، "الحكيم"، جانبية مميزة أسرة لأنه كنت تشعروا بالتحرف عليه أنك قد تعرفت على شخص مهم وغير عادي، ويتضح الوقتك كنت تشعروا أنك تعرفت على شخص سيكوي حادجاً لك ولن يكون يبتلك ويبنه أى حادجاً.

لقد رأينا في شخصية الحكيم مزجاً ساعراً من النشاط والعصوية والأصالة لم نعهده من قبل.

كان دائم الحركة والنشاط، هنى مكتب الرأى كان دوماً يقضى وقته في الكتابة أو الاقراء أو الحديث مع أحد الزوار وكان عندما ينتهى من ذلك يترك المكتب حيث يكون على موعد لزيارة نشاط آخر ولا اعتقد أنني رأيتيه في تلك الأيام مرة واحدة جالسا بدون أن يكون منهكاً مبعولاً ما، كان يكسر كل طاقاته وكل إمكانياته في أى عمل يقوم به مهما كان ذلك العمل. وكان ذلك يشجع جراً من الحركة والنشاط من حوله، فترى أن كل الذين يعملون معه

يجهدون ليقدموا كل ما عندهم من طاقات وإمكانات.

عندما يكون الحكيم موجوداً في مكتب، الرأى، كانت وتيرة العمل والنشاط أعلى بكثير من الوقت الذى لا يكون موجوداً فيه.

كان في كل ما يقوم به عفوية وساطلة أسرة. فعندما كان يتناول الطعام في مكتب الرأى كان يتناوله مع الشباب الذى يعمل كامل في المكتب. وفي ذات مساء كنت ويايه وحيدى في المكتب وحضر لزيوتى أحد رجال السياسة فعرضت عليه وأشركنى في الحديث المدى دار معه، بالرغم من كون ذلك الزائر رعيم كتلة برلانية كبيرة في مجلس النواب السوري وأنا طالب في المدرسة الثانوية..

وفي إحدى الأمسيات لم يكن في المكتب إلا أنا أراج بعض رءود الصفحة ١٠، والحكيم في القرفة الأخرى يكتب المقال الافتتاحي للعدد الجديد من المجلة وعندما أتناقش عليه لأرى إذ كان قد أنهى من كتابة المقال لكى أخذه إلى الطبعة في طريق عودتي للبيت وجدته يمسح دموعه بأصابع يده، وعندما لاحظت أنى رأيت ذلك أبتسم وقال: إن من عادته أن تدمع عيونه عندما يكون متأثراً من شيء ما. ثم تابع الكتابة.

بعد يومين صدر عدد، "الرأى"، الجديد، وفيه افتتاحية يرد فيها حديث عن المجازى عن ارتكبتها إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني..

وكان في أحاديثه السياسية دوماً شيء أكبر من السياسة، عندما كان يتحدث عن القومية العربية كنت تشعروا وكأنه عاش في الزمن العربى الذهبي وأنه يعرف كل أبطال التاريخ العربى معرفة شخصية، وعندما كان يتكلم عن الوحدة العربية كنت تحس وكأنه قد سافر للمستقبل العربى وعاش في دولة الوحدة ثم عاد ليحدثنا عما رآه هناك. أما عندما كان يتحدث عن فلسطين فكنت تحس وكأنه ما زال يعيش فيها ولم يتركها للحظة واحدة.

كان من الواضح أن حديث الحكيم يحرك في أعماقنا شيئاً ما. كان من الواضح أن تصرفات الحكيم تستهجن في فئوسنا طائفة ما.

ولهذا فقد أحبيناه وأصبح كل واحد منا يعتقد أن الحكيم صديقة الشخصى. وفي ربيع عام ١٩٦١ شاركت في مخيم إقامة، "الشباب القومى العربى"، في برمانا في لبنان وتعرفت فيه على شباب ليمانيين وعراقيين وفلسطينيين من الصلة العربية ووجدت أن الذين يعرفون الحكيم منهم يتحدثون عنه بحرارة وحب مما يشير إلى أنهم شاركوا نفس الشهور نحوه.

في مطلع عام ١٩٦٩ سافرت للدراسة في الولايات المتحدة بعملى ما، كان يكسر كل طاقاته وكل إمكانياته في أى عمل يقوم به مهما كان ذلك العمل. وكان ذلك يشجع جراً من الحركة والنشاط من حوله، فترى أن كل الذين يعملون معه

فيها حتى الروم وطوال كل تلك السنوات، باستثناء فترة ١٩٧٠ ١٩٧٥، لم استطع من رؤية الحكيم، والتواصل معه بشكل مستمر.

في عهدي التلاميذيات والتسعينيات كان الحكيم يقسم مع أسرته في دمشق وفي رياضية السنوية لأهلى كل صبيح كان أحيى أسامة (وهو من أقرب أصدقاء الحكيم منذ ١٩٦١) يخبرنى عن موعد لقائنا مع الحكيم ويصحى عن الطريق من المطار إلى البيت، وفي كل زيارة لدمشق كنت أفقده عدة مرات. كما أننى التقيت به في بيروت وعمان والكويت، وأحب هنا أن أؤكد عند أربع مناسبات فقط من تلك اللقاءات.

الأولى كانت في بيروت في صيف ١٩٧٥.

وصلت بيروت قادماً من كندا مع بدايات الاشتباكات التى قادت للحرب الاقليمية وعلى الفور ذهبت لرؤية الحكيم مع الصديق موبار في مقر الجبهة الشعبية في مخيم شاتيلا.

كنت قد التقيت بالحكيم أكثر من مرة بعد هزيمة ١٩٦٧ وبعد تأسيس الجبهة الشعبية ثم انقطعت عن لقائه لمدة خمس سنوات حدثت فيها أحداث جسام وانتقل للحكيم من شخصية مرموقة على نطاق العالم العربى إلى شخصية معروفة على أوسع العالم، ولدت لك قد ذهبت إلى ذلك اللقاء وأستلم رؤية الشخصية التى كنت أعرفها عن كتيب في الماضى ثم أصبحت اتبع أخبارها في شاشات التلفزيون الأمريكى وعناوين الصحف العالمية.

كما كانت ذهنتى وفرجتى عندما اكتشمت الحكيم لا يتغير لا أقول ذلك لأنه استقبلنى وتحدث معى نهماً وكانى أقاءه بعد أيام من لقائى الأخير.

وإنما لأن حديثى معه أعادنى إلى أجواء السياسة التى اعتقدتها منذ سنوات. ففى بداية التسعينيات حدث تغير كبير في طبيعة أحياديت رجال السياسة في العالم العربى، لقد انخفضت أجواء النقاش والحوار والتفاعل التى كانت سائدة في الخمسينيات والستينيات، وحلت محلها أجواء الخطب والمحاضرات. لم أجتمع بقلاد سياسى في تلك الفترة عنده تساؤل أو شك حول أى موضوع. كانت عملية الاستماع لحديث أى سياسى عملية صعبة مملّة لأنها كانت في الواقع عبارة عن استماع إلى خطاب سياسى. ولهذا عندما وجدت الحكيم ما زال يستمع أكثر مما يتكلم، ويظهر مواضيع تشغل ناله وتشير في ذهنه تساؤلات، عندما وجدت الحكيم ما زال قادراً على البهشة والحماس لأفكار جديدة، شعرت براحة نفسية كبيرة.

تحدثنا وتناقشنا وتناقلنا أخبار الأصدقاء المشتركين وعندما هممت بالانصراف وكأنت الساعة قد فارقت العاشرة مساء قال



فلسطين، ٦٠ عاماً



كما كان جورج حبش دور رئيسى

فى تأسيس حركة القوميين

الحرب بعد نكبة ١٩٤٨ كان له أيضا دور رئيسى فى

تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

بعد هزيمة ١٩٦٧



انه داهب ايضا إلى البيت ويستطيع توصيلي في سيارته إلى الفندق. في الطريق ونحن نمر في منطقة شديدة الازحام توقفت السيارة بسبب عطل مفاجئ في إحدى عجلاتها. فزلزلنا منها ووهضنا في الطريق ننظر ان يصرع السائق من عملية تركيب عجلة اخرى تبادلنا مع ثوبار نظرات قلق ورتبب حوفا على سلامة الحكيم بينما راح هو يتابع الحديث الذي كان قد بداه في السيارة. وكان يسألني عن رأيي في مشكلة التصليح المالي التي كانت تعصف بنا لاقتصاد الاميري ذلك الوقت. ومنوع ان يبدو عليه أي قلق أو ترقب.

ومع ذلك فبعدما خلوت نفسي في الفندق وجدت ان الحياة في خصم الاحداث والشهرة الإعلامية قد أحدثت تغييرا ما في شخصية الحكيم. لقد رسمت على وجهه مسحة حزن لم أعهدها في السابق. وادكر اني ظلت لا يام بعد ذلك. التساءل لم يبدن وبين نفسي، هل جاء ذلك الحزن من أحداث السياسة الماضية، أم انه يدبر من السنوات القادمة؟

الحاسية الثانية التي أحب ان اتوقف عندها كانت في صيف سنة ١٩٨٠ في دمشق. كنت أزور أهلي في الصيف وذات يوم جاء اخي أسامة مبهوما والخبرني ان واحة صحية معاجة قد ألت بالحكيم وعنه يسبحر في الصفاء من بيروت لدمشق لإجراء الفحوصات الطبية. حضر الحكيم إلى بيت أسامة في المساء ومع زوجته هيلدا وأحد أصدقائه من الأطباء اللبنانيين. وعلى الفور أهدى الحكيم يتحدث مني كعادته بينما ذهب أسامة وهيلدا والطبيب إلى غرفة اخرى لإجراء الاتصالات بالأطباء والمراكز الصحية للحصول على مواعيد اخراج الفحوصات. وبعد ان فرغوا من ذلك انضموا اليها واشتركوا بالحديث الدائر حول اوضاع المقاومة في لبنان.

في منتصف الليل تركته عائدا إلى بيتنا وقد نسيت تماما ان الحكيم يعاني من عارض صحي حتى انه عندما سألني أبني عن وضع الحكيم الصحي لم استطع ان اريد على ما قاله انه أسامة قبل ان ألتقي بالحكيم. ولقد تذكر ذلك الموضوع فيما بعد أكثر من مرة. كل مرة ذهبت لأرى الحكيم وفي بيتي الأطماني على صحتك عتدت وأنا أذكره في أشياء اخرى لا علاقة لها بصحته. وفي إحدى تلك المرات أديت استغرابي من ذلك الوضع لأخي أسامة. فانتقم وقال: هذا هو الحكيم، وبعد فترة تأمل عاد يقول

كل من خاص تجربة التعذيب في السجون العربية يدرك ان السجين ينتصر في تلك التحربة على سجنائه عندما يتراجع بسد ومن نفسه في عدم التفكير في مصير جيرانه باعتباره ان فقد السيطرة عليه كليا وأصبح تحت سيطرة السجنان ان القدرة على ذلك التصرف تمنع صاحبها قوة لا متناهية من العزيمة والإصرار والصدرة على

فصل الحكيم



حركة فتح كانت من أول فكرة عدم جسدي خوض الصراع مع إسرائيل بأسلوب حرب الجيوش النظامية وضرورة التزام حرب التحرير الشعبية



الصدود والتحدي..... وينضم المنطق فإن الذي يميز الحكيم عن غيره من القادة هو قدرته منذ البداية على فهم موضوع الشان العام والشان الخاص فمنذ البداية وهو قادر على التصرف بوعي أي اهتمام بقضايا الشعبية، سواء أكانت مادية أو معنوية. ولقد منحته ذلك التصرف قدرة هائلة على الاحتفاظ بمبادئه وقيمه وأخلاقه تحت اقسى الظروف.....

أما المناسبة الثالثة فكانت في صيف عام ١٩٨٢ وأيضاً في دمشق. الحصار التاريخي الذي استمر ثلاثة أشهر ووصلت السفينة التي تقل الحكيم إلى شاطئ طرطوس وجاء هو والمقاتلون إلى دمشق.

لن أسعى أبداً لقائه بزوجته هيلدا وبينما هما ولا وكانتا هيلدا وقد تركتا بيروت وحسرتا إلى دمشق قبل ذلك بأيام والتقتا بحبيبها التي حضرت إلى الخانيا الشرقية حيث كانت تدرس الطب في إحدى جامعاتها. في تلك الايام تعرفت على جانب من شخصية الحكيم ثم اكن اعرفه في السابق وهو ما يخض حياته العائلية.

كانت في عيون هيلدا عيون مبهسة وعيون لما فرحة حب جارفت تجلى لي يومها بأنه قادر على حماية الحكيم من كل شئور الأرض وخصوصاً وأنا أرى ذلك الحب الكبير ويتصاعف في عيون الحكيم. بين العناق والقبل رايته يصيح دموعه فتمت سنوات إلى الوراء عندها كنت اراه يصيح دموعه وهو يكتب افتتاحية مجلة....

كان من الواضح لي ان الحكيم لم يكن يعتقد انه سيخرج من بيروت حياً وأنه سيرى هيلدا وعمياء ولا مرة اخرى فقد كان في عيني فرح طفولي وكان مرحاً ومتحمساً للكلام والحديث بشكل أعاد إلى ذاكرتي الحكيم كما عرفته في الخمسينيات روي لنا قصصاً حدثت أيام حصار بيروت وروي لنا قصصاً عن بطولات المقاتلين وعن استماته تصرفات بعض الأصدقاء ومواقفهم معه في الأوقات العجوة ويتشكل غفوى وطبيعي انتقل من الحديث عن أيام حصار بيروت وراح يتحدث عن عبد الناصر ولقائه الأول به ثم عن عشاقه معه في بيته في منشية البكرى في القاهرة. وكيف كان عبد الناصر يعيش في منزل بسيط ويرتدي ثياباً بسيطة ويتناول عشاءً بسيطاً ويتحدث بعزيمة وقوة.

في الايام التالية كان الحكيم يستعمل الزوار الذين حصوروا ليلسوا عليه ويهونه بسلامة الخروج من الحصار كان بعض الزوار يسأل الحكيم عن تصرفات بعض القادة الفلسطينيين وأناذته الحصار على السؤال لتجميع وانصاع يعمر من صلاية أولئك القادة. ومرة تلو الأخرى كان الحكيم يبالغ في الجميع ويرفض التعرض لأي واحد منهم. وأبدى ما وصل إليه هو القول بأن الوضع لم

يكن عادياً وإنما كان وضعاً صعباً وبالعقد ويجب أخذ ذلك بعين الاعتبار عند تقييم تصرفات الآخرين.

تذكرت وأنا أستمع لرفض الحكيم المتكرر التمرص بتصرفات الآخرين كلمة قالها والذي قبل أكثر من عشر سنوات وهي انه لم يسمع أبداً الحكيم يتحدث بشكل شخصي عن أي إنسان آخر. فهدت ذاكرتي أحاول ان أتر على استثناء ذلك فلم أجد. نعم، كان يوماً يهاجم المخاوف السياسية لكثير من القادة ولكنني لم أسمعها أبداً يتكلم بأسلوب التحريض الشخصي.

بعد أيام بدأت التفتي لروحدي وهي، وفي تلك اللقاءات ذكر لي لأول مرة بأنه يفكر في أن يتجس في منصب الأمانة العامة للجبهة الشعبية في أول فرصة يجدها ملائمة. وشرح لي أنه ينوي القيام بذلك لسببين. الأول هو أنه يعتقد ان على القائد السياسي إضفاء المجال أمام العناصر الشابة بلطفه المستين من عمره. والثاني هو رغبته في ترك مهمات المسئوليات اليومية المباشرة والتفرغ لهمة دراسة المراحل الماضية من النضال وتقييمها من أجل استخلاص الدروس والعبر.

كان مؤمناً أن تجارب الماضي منذ بداية حركة القوميين العرب كانت تجارب غنية يجب دراستها وفهمها واستيعاب دروسها وأبه مواجهة المستقبل بثقة لا تتورط إلا بعد فهم كل دروس الماضي الذي استغرابني في تلك الجلسات هو حماس الحكيم لبدور الجديد الذي يطرح إلى ممارسته وتكرس كل وقته له. ولقد رايته يومها ان ذلك الحماس ينبع من كون الحكيم، أولاً وقبل كل شئ، آخر لتلميذ يحب أن يتعلم أشياء جديدة.

أما المناسبة الأخيرة فكانت قبل شهر وتحص لقاء لم يتم في دمشق. كنت في بيروت في شهر أيلول الماضي واتصل بي من عمان وطلب مني لقائه في دمشق وذلك من أجل التشاور في موضوع يخص أحد مشاريع مركز: الغد العربي للدراسات.

ذهبت إلى دمشق والتقيت به في عمان ولكنه لم يتمكن من الحضور إلا بعد يوم من عودتي إلى بيروت فأتفشنا على اللقاء مرة أخرى بعد شهر.

عندما ذهبت لدمشق في المرة الثانية وسألت أخي أسامة عن موهب مجيء الحكيم هاجاني بقوله انه لن يتمكن من الحضور إلا وعكة صحية ألمت به. سارعت للاتصال به بالتليفون فهدت لي هيلدا وشرحت لي وضعه الصحي ثم أعطته سماعة التليفون ليتكلم معي فتصرف كعادة الحكيم، التي أعرفها جيداً. لم يذكر كلمة واحدة عن مرضه بل راح هوور يتناقضني في لحوي رسالة كنت قد كتبتها له من بيروت بالاشتراك مع أحمد خليفة ومحمود سويد شخص موضوعاً كان قد كلفنا به. ثم راح يتحدث معي عن موضوع آخر يخص مركز: الغد،

كتاب الزاوية



رسالة في الطريق إلى ثقافتنا

محمود محمد شاكر

اعلم اني قضيت عشر سنوات في شبابي، في حيرة زائفة، وضلالة مضنية، وشكوك ممزقة، حتى خفت على نفسي الهلاك، وأن أخسر دنياي وآخرتي، محققاً إنشأ يقذف بي في عذاب الله بما جنيت، فكان كل هـي يومئذ أن التمس بصيصاً أهتدي به إلى مخرج ينجيني من قبر هذه الظلمات الطبقة على من كل جانب. فمئذ كنت في السابعة عشرة من عمري سنة ١٩٦٦، إلى أن بلغت السابعة والعشرين سنة ١٩٦٦، كنت منغمساً في غمار حياة أدبية بدأت أحس إحساساً مبهماً متصاعداً انها حياة فاسدة من كل وجه. فلم أجد لنفسي خلاصاً إلا أن أرفض متخوفاً خذراً، شيئاً فشيئاً، أكثر المناهج الأدبية والسياسية والاجتماعية والدينية التي كانت يومئذ تطغى كالسيل الجارف، يهدم السدود، ويقوض كل قائم في نفسي وهي فطرتي.

ويومئذ طويت كل نفسى على عريضة خدأ، ماضية. ان أبدأ، وحيداً منفرداً، رحلة طويلة جداً، وبعيدة جداً، وشاقة جداً، ومثيرة جداً، بدأت بإعادة قراءة الشعر العربي كله، أو ما وقع تحت يدي منه يومئذ على الأصح، قراءة متأنية طويلة الأناة عند كل لفظ ومعنى، كاني أقليمهما بعقلي، وأروزهما (أي: أنزهما مستخبراً) بقلبي، وأجسهما جسماً بجمصري وبصيرتي، وكأني أريد أن أتحسسهما بيدي، وأستشش (أي: أشم) ما يفوح منهما بانفي، وأسمع ديبب الحياة فيهما بأذني، ثم أتذوقهما تذوقاً بعقلي وقلبي وبصيرتي وأتأمل وأتفكر وأسمى وإلسانی. كاني أطلب فيهما خبئاً قد أخاف الشاعر الماكر منه وبراعته. وأتدسس إلى دفين قد سقط من الشاعر عفواً أو سهواً تحت نظم كلماته ومعانيه، دون قصد منه أو تعمد أو إرادة.

الهمة التاريخية مهما طال الزمن وفي نفس الوقت كان مديراً بأن ذلك يحتاج لسنوات طوال وأنه شخصياً لن يعيش في زمن الانتصار. كان إيمانه العميق بأن ما يقوم به، بشكل يومي، يعمل على تقريب ذلك الزمن كافياً لأن يمنحه شعور الرضا والحرية والسلام. كان شعوره بالرضا عن حياته وعص عمله نابعاً من فهمه العميق لحركة التاريخ الإنساني. كان يؤمن بأن تلك الحركة على الأمد البعيد خطاً صاعداً باتجاه الحرية والتقدم وإن كانت في الأمد القصير تسلك طريقاً متعرجة فيها هبوط وصعود حول ذلك الخط الصاعد.

كان ذلك الإيمان يحميه من صقيع الزمن الرديء الذي نمر به، ويبيث في ضميره القدرة على تحدي هذا الزمن والإصرار على النضال للوصول إلى زمن تنصهر فيه مبادئ الحرية والعدالة والسلام. كان من القلة النادرة التي تعيش دائماً في المركز الحقيقي للأحداث. في قلب إلهامات الثورة الإنسانية المستمرة. ولهذا كان صوته يصل إلى كل الفلسطينيين في المدن والقرى والمخيمات فيفسحون فيه صدى ما يحيش في قلوبهم وقولهم ووجدانهم من إيمان وإصرار وتمسك بالعودة إلى فلسطين..

كان صوت الحكيم صافياً يأتي على نفس موجات الأصوات الحقيقية التي تسمعا عندما تترق العاصفة في جبل الجرمق فتضئ مسطور فسان كفتاني وتلمع في آيات مصمود درويش وتتلألأ في لوحات إسماعيل شموط وتنتجّر في خطوط ناجي العلي.

ذلك الصوت الذي هو في الواقع الصدى المدوي لصوت يكاد لا يسمع في هذا العالم وهو صوت يتسامى وأراميل وتكالي مخيم جنين ومخيم جبالية ومخيم بلاطة ومخيم الأمعري ومخيم صبرا ومخيم شاتيلا وفانا..... وقد تمكن الحكيم من الاحتفاظ بذلك الصوت طوال ستة عقود لأنه كان يستمع بصفت نادرة لا يتمتع بها إلا الشراء العظيم. لا أوهي القدرة على سماع أصوات الصمت. وهكذا اثبت جورج حبش انه أعظم الشعراء على الإطلاق. فلقد سرق ضمير الشعب الفلسطيني طوال النصف الثاني من القرن العشرين..

هوامش:

- (١) تحدث جورج حبش في مؤسسه عام ١٩٧٢ أن الوجهة الشخصية تعيش ظواهر المرافقه اليسارية والفرقة الانتقارية اليسارية
- (٢) مؤسسة الدراسات الفلسطينية (١٩٩٨) مرجعيات ٣ حوار شامل مع جورج حبش. أجرى الحوار محمود سويد
- (٣) راجع عدد مجلة الشراغ في ٧ ثور ١٩٧٢.

كان قد طلب مني ومن بلال الحسن الاهتمام به. يبدو أن حماس الحكيم قد انتقل إلى فأخذت اتكلم بقوة وتصميم وفي النهاية قلت له مازحاً: ما نحن يا حكيم، بلال وأحمد وأنا نعمل مملك كما كنا أيام «الراي» فأنفجر بضحكة محلجلة أعادتني فعلاً إلى أيام الشباب في منتصف الخمسينيات يوم كنت مع أحمد وبلال مستولين عن تحرير الصفحة عشرة من مجلة «الراي». وضعت سماعة التليفون وأنا أشعر بالفرح والسعادة فتكررت على الفور ما كان يبيده الكثيرون من الإعجاب بقدره الحكيم المستمر على العمل والتفاني تحت اقمى الظروف.



في الواقع أن الكثيرين من الذين تعاملوا مع الحكيم في السنوات الأخيرة كانوا يستغربون من قدرة الحكيم على الاستمرار في العمل اليومي لساعات طوال في الإشراف على عمل مركز، القد العربي للدراسات، الذي أسسه وقرع له مباشرة بعد تخليه عن منصب الأمانة العامة للجمعية التشريفية وهو الذي جاوز الثمانين من عمره، وعنده وضع صحي صعب.

وفي هذا المجال، أحب أن أقول ان كل من يعرف الحكيم عن قرب كان يعرف انه إلى جانب حسه الوطني المرفف واستعداده للتضحية بدور حدود، فإنه كان يحب عمله ويستمتع بتأديته على أفضل وجه. فالمعمل السياسي بالنسبة له لم يكن، كما كان بالنسبة لبعض النماسة الآخرين، التزاماً تورط فيه في سنوات الشباب والحماسة والبراءة، ولم يستطيع التحرر منه بعد ذلك لأنه وجد نفسه بدور مهنة أخرى تؤم له ما يحصل عليه من العمل السياسي، فهي كل مراحل حياته كان العمل السياسي بالنسبة له ناجماً عن اختياره الحر، لأنه كان دوماً يملك بدائل أخرى (لقد كان الأول في صفه عندما أخرج من كلية الطب في الجامعة الأمريكية وبدأ حياته كطبيب ما ثبت أن كرس حياته لعلاج المحتاجين من المرضى). ولذلك كان يمارس العمل السياسي بحب وشغف وتمازلاً

وأهم من ذلك، كان الحكيم، في العمل السياسي، يعيش حالة نادرة في أنه كان يعرف من هو، وماذا يريد، وما هي حدود دوره؟

كان متاضلاً ثورياً يعيش في مرحلة الثورة المضادة. أي أنه يعيش خارج شرعية الأمر الواقع. أي أنه يعرف من هو، وماذا يريد، وما هي حدود دوره؟ كان يريده أن يعبر من ذلك الواقع عن طريق تهيئة الظروف الموضوعية للقيام بحركة نهوض وطني شاملة تسحب الأرض من تحت قوى الثورة المضادة. كان يؤمن بحتمية الانتصار في تلك

قد يخفض معدل النمو من هدة الفقر، ولكنه لن يحقق عدالة في توزيع الدخل والثروة في المجتمع

التنمية في عالم متغير

محمود محيي الدين

ويؤكد التقرير في أكثر من موضع على أن النمو ليس هدفاً ولكنه وسيلة لتحقيق أهداف ومطموحات الأجيال والأحزاب المختلفة التي لا يمكن تحقيقها بدونها، فالنمو هو السبيل لمكافحة فقر الأمم والتخفيف من شقاء الناس، ولا يظهر التاريخ الإنساني أي سبيل آخر غير النمو لتحقيق هذه الأهداف.

فيجبية من النمو أن تحقق الموارد المطلوبة للرعاية الصحية وتوفير التعليم المناسب وغيرها من حاجات البشر الأساسية، فالنمو ضرورة حتمية للنهوض بحياة البشر والارتقاء بالأمر، ولكن رغم احتواء التقرير بالنمو وأهميته يشهد على أنه لن يؤدي وحده إلى تحسين أحوال الناس جميعاً دون مساعدة سياسات وتدابير أخرى تعزز من عدالة الحصول على الفرص في التعليم، والتدريب والحصول على الموارد اللازمة للارتقاء بمستوى المعيشة دخلياً ومكانة في المجتمع.

فقد يخفض معدل النمو من حدة الفقر، ولكنه لن يحقق مفرداً عدالة في توزيع الدخل والثروة في المجتمع، بل قد يترتب على النمو تفاوت في الدخل في المراحل الأولى لارتعاها باعتبارها ما قد يكون في المجتمع والاقتصاد من شواهد وتمايز بين الأفراد والعائلات والأقاليم الاقتصادية، ويمكن بعضها دون البعض الآخر من الاستفادة من التطور السريع لإجراءات الإصلاح والتطوير بينما تبطن مواقف الحركة وما جلبته اليات العمل في عقود التخلف الاقتصادي بشرائع المجتمع وقطاعات في الاقتصاد والأقاليم في الدولة على الملحة والمنافسة، وفي حين يظهر التقرير تفاصيل الخصائص الخمسة سالفة الذكر إلا أنه لا توجد وصمة واحدة تبغها المجتمعات فتشعر بإحسان أكسير يتعاطاه الاقتصاد فيتقدم بلجاناً.

فلكل مجتمع محدثاته ومقوماته وما يصير به في التاريخ، سواء كان تاريخه عميقاً كدنيا في الدول ذات الحضارات أو كان تاريخه من حيث النشأة قصيراً ضلماً رغم ما قد يبدو عليه من إشارات التقدم، إن دفقت فيها وجدناها مستغارة.

ولا يحدث النمو على أية حال فجأة ولكنه يتطلب التزاماً طويلاً المدى من



أولاً .. انفتاح هذه الدول على الاقتصاد العالمي والانفتاح بتدفقات الاستثمار الأجنبي وريادة الصادرات السلعية والخدمات والاستفادة من تطور العلوم والمعارف في الارتقاء بكفاءة العنصر البشري في هذه البلدان.

ثانياً ... تحقيق استقرار في الاقتصاد الكلي خاصة فيما يتعلق بمعدلات التضخم وحسن الاداء المالي، ثالثاً .. التوجه المستمري على السياسات الاقتصادية بمرزدي من الاعتماد على معدلات عالية من الادخار والاستثمار.

رابعاً .. الاعتماد على اليات السوق المنظمة في توظيف الموارد وحسن توجيهها للاستخدام الأمثل لها، خامساً .. وجود قيادة فاعلة وتطبيق قواعد الحكم الرشيد، المختزم بتنفيذ السياسات النافذة للنمو وحريصة على شمول التنمية لكافة أبناء المجتمع دون استبعاد أو احتياز، ومن خلال جهاز إداري كفء يقوم بأعماله ومسئوليته على أفضل وجه.

معدلات عالية ومطردة ومتواصلة للنمو الاقتصادي.



واستناداً بتجاربه ١٣ دولة حققت نقلة نوعية في حياة شعوبها، أكد التقرير أن معدل النمو المتواصل لا يجب أن يقل عن ٨٪ في المتوسط ولدة لا تقل عن ٢٥ سنة، هكذا شهدت تجارب دول مثل الصين واليابان وكوريا وماليزيا والبرازيل وسنغافورة، وهكذا تبين أيضاً تجريبه دول أخرى مثل حق مثل الهند وفيتنام، ويستتبع خلاصه التجارب الملاحظة في النمو هناك دول أخرى يظهر مجلاء أن هناك دولاً أخرى على ذات الطريق إذا ما أحسنت صنعا في التعامل مع تحديات النمو والتنمية ويتضح من الدراسات التفصيلية التي اعتمد عليها التقرير أن هناك خصائص مشتركة في الدول التي حققت هذا النمو المطرد.

■ بعد عام دله عامين متصلين، وتحديدًا منذ أبريل ٢٠٠٦ وحتى أبريل ٢٠٠٨، انتهت لجنة النمو والتنمية من إعداد تقريرها الذي يحمل اسمها، ويقع في ١٦٥ صفحة، ويتضمن خلاصة تجارب الدول التي حققت نجاحاً في تحقيق النمو منذ الحرب العالمية الثانية.

ونسق لأعمال هذه اللجنة المالية المستقلة عالم الاقتصاد البارز، مايكل سينس، - الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ٢٠٠١، وضمّت في عضويتها تسعة عشر عضواً من الاقتصاديين والنسوليين والسياسيين من عدد من الدول النامية فضلاً عن مشاركة الاقتصادي المحترم، روبرت سولو، الحاصل أيضاً على جائزة نوبل في الاقتصاد لتحليله لأسباب واليات النمو الاقتصادي.

سينظر إلى هذا التقرير، في تقدير، باعتباره نقلة نوعية في فهم أسباب النمو الاقتصادي وتحرراً من أسر ما يعرف، بتأوهات وأشنط، Washington Consensus، إذ يؤكد التقرير على أهمية تبني أسلوب من وبرامج في سياسات النمو والتنمية، دور وصفاً جاهزة واجبة الاتباع، ويضع التفسير في الوقت ذاته النمو الاقتصادي في مركز الصدارة من حيث الأولوية في السياسات المتبعة، ليس لأهمية النمو في حد ذاته لكن باعتباره معينا على تحقيق أهداف التنمية من مكافحة للفقر وإتاحة لفرص العمل وريادة الدخول والإسهام في توفير الخدمات العامة كالتعليم والصحة، ويدول التقرير على قدرة الدولة، ممثلة في حكومة فاعلة، في تحقيق أهداف التنمية اعتماداً على تحقيق

The Growth Report
Strategies for Sustained Growth and Inclusive Development
تقرير النمو استراتيجيات النمو المستدام والتنمية الشاملة
Commission on Growth and Development
The International Bank for Reconstruction and Development The World Bank
Washington
May 2008

إذا ما أرادت الحكومة أن تسبغ حمايتها على من هم أولى، فلاشك أنهم البشر... من خلال تعليمهم وتطوير مهاراتهم وإعانتهم على تحقيق فرص للعمل اللائق



البشر... من خلال تعليمهم وتطوير مهاراتهم وإعانتهم على تحقيق فرص للعمل اللائق... لأن لا تدمروا عليه ولا تلاق أيضاً من حيث ما يولده من دخول تعينهم على الحياة ومطابها، لا يتوقف أمر الإصلاح والتطوير عند البنية الأساسية ولكن يمتد إلى إحداث تحول هيكلي في الاقتصاد على أن يكون هذا التحول مبنياً على قواعد المنافسة وقد وجدنا في عدة حالات أن التطوير قد تمتد إلى الأهداف السهلة غير ذات الحساسية فينتاول سوق السلع والخدمات ولا يمتد إلى سوق العمل لتنظيم وتطوير وتحسين الحزمة الواجبة فيه لكي تتحرك العمالة من قطاع قليل أو منعدم الكفاءة إلى قطاع أكثر إنتاجية ومتقدم الكفاءة والتنافسية.

وعليه من المناسب أن تتحلى السياسات المتعلقة بسوق العمل على قدر عال من البراجماتية الممكنة من تحقيق أهداف التشغيل دون إحداث هزات غير مبررة في مصائر من لا يكونوا سبباً في تدهور الأداء، ولعل هذه السياسات تأخذ وقتاً طويلاً حتى تؤتي ثمارها.

وحتى تظهر الثمار فعلي الحكومة مسئلة للدولة أن توفر شبكة متكاملة يعتمد عليها لضمان الاجتماعي على من يستحق، فتمين ذوي الحاجة وتساعده المضطر بالدخول النقدي أو بالصلع العبية.



وترى لجنة النمو والتنمية أنه لا أمل في نجاح أي إستراتيجية للنمو دون التزام معدلة الفرض الخاصة لكل مواطن... وإن كان من البديهي أن نذكر أن عدالة العرض كحال الدخول في أي سياق تنافسي، لن تؤدي إلى تساوي النتائج... ولكن تظل العدالة جالبة لرضا الناس عن النتائج، ولا يجب أن تقتنى الحكومة بهذا حتى لو كانت استراتيجياتها للنمو واضحة وتم تطبيقها بعدالة، فعلى الحكومة مسئولية تحقيق عدم العدالة في توزيع الدخل وهي غايتها ما حدثنا بالمرحى الأولى للنمو... ولها في ذلك أن تأخذ من البنى لتعطي الفقير، وإن لم يكن السند الأخلاقي لهذا الرأي جدير فإن المبرر البراجماتي جدير

ولكن نظل تحت رعاية وضمانات من الحكومة.. وفي أي حال تظهر خبرة الدول الناهضة اقتصادياً ارتفاعاً من الاستثمارات العامة في مشروعات البنية الأساسية لم تقل عن ٢٥ إلى ٣٧ من الناتج المحلي الإجمالي..



من نافذة الفكر، أن يشار إلى أن التعليم مهم في حد ذاته وليس فقط لفصله في رفع معدلات النمو. ولكن المشاهد في عدد من الدول التي تحظى بدعم التعليم، مقاساً بمؤشرات سنوات يقضيها التلميذ في الدراسة أفضل شأناً من نتائج هذا الكم سواء من حيث الإلام بمبادئ المعرفة والتعامل مع الأرقام وإتقان بعض المهارات، ولي ينمو اقتصاد ولن ينهض مجتمع مجرد مكوث أبناءه، وإن كثرت أعدادهم، لفترات طوال في معاهد شيدت لتعليم ما لا ينفع.

يؤكد التقرير على أن هناك طارفاً كبيراً بين حماية بعض المنشآت والصناعات وحماية الناس، فلا تولى حماية منشآت منتجة الكفاءة سيئة الإدارة لا توفر لقطاعها مزايا نسبية أو تنافسية على الاستثمار، إلا في ضرر الاقتصادي كبير لمعوم الناس الذين يتحملون خسائرها من خلال إهدار الموارد وضباب الإجراءات الصامدة في أصلاها وما قد تنكبه هذه المنشآت من زيادة في الميوونية والخسائر وقدك منع لوضاعة أفضل نوعاً وأقل سعراً من الوصول إلى المستهلك.

وإذا ما أرادت الحكومة أن تسبغ حمايتها على من هم أولى، فلاشك أنهم

الأخادق القومي فيها ٤٢٠ إلى ٤٢٥ من إجمالي الناتج.

يمكن بطبيعة الحال الاعتماد على تدفق رؤوس الأموال لتمويل الاستثمار المطلوب ولكن هذه التدفقات الرأسمالية تعاني من التقطع الذي لا يمكن من الاعتماد عليها في تمويل عملية الاستثمار والنمو في الدول الراجعة النهضة والتحرير من أسر القراجع الاقتصادي، ولا يمكن اعتبار مداخلات الأجانب التي تستخدم من خلال الاستثمارات الأجنبية المباشرة وغير المباشرة أو الاقتراض بديلاً بحال من الأحوال عن المدخلات المحلية التي تستوجب رعاية في تحضيرها وحسن تبنيها من خلال قطاع كفاء للوساطة المالية.

لم تحقق أي دولة نمواً اقتصادياً يذكر دون استثمارات عامة ضخمة في البنية الأساسية والتعليم والرعاية الصحية. وهذه الاستثمارات لا يمكن إهمالها بزماعة الاستثمار الخاص أو تقليص دوره، بل إن هذه الاستثمارات التي طاماً عرفت القطاع الخاص من الدخول فيها لانخفاض عائداتها وطول فترة التطور، نهض الطريق أمام المشروعات الإنتاجية من ناحية وتتمثل بتوزيع ثمار النمو لتحسينها فرص المنافسة، وتحقيق العدالة بين أفراد المجتمع يتمتعون بذات القدر من التعلم والرعاية الصحية والقدرة على الانتقال من مكان لآخر في وطنهم.

قد تكون المشاركة بين القطاع الحكومي والقطاع الخاص في تمويل مشروعات البنية الأساسية والتعلم والصحة، قد حسنت من فرص دخول الاستثمارات الخاصة في هذه الحالات



لم تحقق أي دولة نمواً اقتصادياً يذكر دون استثمارات عامة ضخمة في البنية الأساسية والتعليم والرعاية الصحية



فيسل قيادة مؤمنة بتطبيق إستراتيجية للإصلاح بصبر، ومثابرة، وسرورة.

ولم يعرف التاريخ الاقتصادي نمواً مطرداً ومرتفعاً لا يتجاوز ٨٪ في العام ولادة تزيد على ٢٥ عاماً إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، فلم يكن هذا ممكناً من قبل، حيث مكن الاندماج الاقتصادي العالمي الدول الساعية للنمو أن تستجلب أفكاراً ومعارف من مواطنيها تطورها من خلال استخدام الاستثمارات الأجنبية المباشرة وإرسال البعثات التعليمية والتدريبية، ولما كان تعلم المستحدثات أسرع من استحداثها من عدم، تجدد الدول الناهضة سرعان ما تلحق بالدول التي تقدمت عنها.. فأنمو الاقتصادي ليس مجرد مؤشر إحصائي يظهر حال اليوم مقدراً بالأمس، ولكنه كحصان السبق يمتطيه من أراه لاحقاً بما فاته وبين تجاوزه في مضمار سباق الأمم.

ويشيع الاقتصاد العالمي أن يحسن التعامل مع تحدياته واقتصاد فرصه، مجالاً لزيادة الإنتاج من خلال طلب المستوردين، مولداً بذلك فرصاً للعمل وزيادة الدخول لم تكن لتتحقق لو انكما الاقتصاد على ذاته يقتصر منه ما لا تجود به موارده، ولا سبيل لذلك إلا بالتخصص والكفاءة التي يتيحها التناقص وفقاً للمزايا النسبية الكامنة وتلك التي تنكس.

ويذكرنا التقرير بأن النمو الاقتصادي يقاس فعلاً بمؤشرات كلية، كقباسك لطول الأشجار، تبين ما انتهى إليه قمتها، ولكن العمل، كل العمل وراء هذه القمم المتخالفة يحدث في الجذور، فبعد منابت الأشجار، تحد عملية الإحلال والتحديث، ونحل الكفاءة محل تدهور الأداء وتدمية، وتتم أيضاً جهود المساندة للأنظمة شأناً والأقل خطاً في الأخذ بمتطلبات النمو، حماية لحقوقه واستنهاضاً لإمكانياته ليكون عوناً للنمو وليس عليه.

ويشير التقرير إلى قيود النمو فيذكر أن في عالم اليوم الذي يشهد وفرة في العمل وزيادة في الطلب البشري على المنتجات يكون القيد على سرعة النمو متبشلاً بالأساس في حدود الاستثمار تنسيق الخصائص العام، ويحد من الاستثمار مدى وفرة المدخلات، فالشاهد أن الدول ذات النمو المرتفع تبلغ نسبة

بالإقناع، فالنشاطات غير المبرر في الدخول والعرض شرائح من المجتمع لأوضاع الفقر. وتمتد شرائح أخرى بثروات فاحشة، لا يسعمر إلا عن أضرار اجتماعية وسياسية وأمنية ماحقة، بما يهدد مسيرة الإصلاح التي تشهدها التنمية. ويلاحظ المتابع لاداء الاقتصاد في دول شهدت نمواً مرتفعاً، بعد انخفاض فيه لسنوات ظاهرة التباين في إدراك أثر النمو. بل وتفاوت هذا الأثر فعلياً خاصة في المراحل الأولى للتنمية .. ويظهر التباين بين قطاعات أو أقاليم ولهذا التباين علاج في الأصل المتوسط من خلال السياسات ومن أجل خلال صنع الاستثمار في البيئة الأساسية.

ولكن هناك تبايناً أخطر أثاراً يصعب علاجه إن لم يتم تشاركه مبكراً، وهو ما قد يكمن بين الناس بسبب النوع، فليست الأثني كالنكر من حيث حظها في التعلم والتدريب، فإن في أدريث في الدراسة لسنوات، سرعان ما تقطعت عنها دون إتمام إما لضيق ذات اليد، أو تضخيم تعرضها لموارد الأسرة لندكر أو خضبة لندكره نشر أو مكروه أو إضداد لها فواج قد لا يتم أو لا يكتمل. وقد اسطلق البعض خلال القرن الماضي مصطلحاً مبكراً، وهو ما يبدئ به المرأة نصف المجتمع عمداً، وربما أوضاعاً أخرى كالجنس تهيئته وتنشئة وسنماً إذا ما أرمدا له أن يكون طيب الاعراق

في تعليم المرأة وإشراكها في تنمية المجتمع فمعا لها ولدوبها. وربما تحقق قدر من التعليم الكمي للمرأة وربما تحققت هذه التعليم نوعاً في بعض المجتمعات، ولكن تظل مشاركة المرأة أدنى من طموحها، وما يستوجب تطور مجتمعاتها. فهي إن شاركت في سوق العمل فل متوسط دخلها عن دخل الرجل وإن تساوى في الأداء، وحسب سبغ ارتقاء عن شغلها في الرجال وقال مثل ذلك عن المشاركة الاجتماعية والسياسية ولكن بإشارة إلى اسقف أدنى لحدود الارتقاء، ومزال هذا التناوب قاعاً هي دول ارتفع دخلها وبانت عليها سمات العدل، الظاهر.



من الشاهد في بعض الدول التي حقق ارتقاعاً لنمو أنها لم تكن ساعية بالضرورة لتحقيق حرية الاسواق ولكنها اتعت سياسات متنوعة لزيادة الصادرات ودعم التنافسية، بما في ذلك اتعاص سياسات لدفع الاستثمار في بعض القطاعات الجديدة أو التدخل في إدارة

سعر الصرف. وتدخل بعضها في حركة رؤوس الاموال. ولكن هذه السياسات جاءت بقدر كبير من الجدل والاختلاف حول نفعها مقابل تكلفتها ومخاطرها. ولكن الدرس المتأكد من تجارب الدول هو التمتع بدرجة عالية من المرونة والبراجماتية في الابتعاد عن هذه السياسات والإجراءات إذا لم تحقق نتائجها، وأن يتم التعامل معها كدواء يجب تعاطيه ويتم التوقف عنه فور ضائل المرض للشفاء .. والا أصبح الدواء علة من علل الإدمان ذات تكلفة باهظة يصعب البراء منها.

ومن المشاهد أيضاً أن الدول صاحبة النمو المرتفع نزعتم إلى إهمال البيئة فتلوث الهواء والماء بكافة أنواع وأشكال الأذى، ما يقرب أفة الإهمال بتكراره إلى جريمة العمد في قفس إدراك حق الناس، فقيرهم وغنيهم، في ذوعية مقبولة للحية. وحتى إذا ما تركنا ظاهرة لغفريات المناخ لندارسها المفسدة لأسبابها، فلتنظر إلى الإهدار الظاهر للبيئة من مخلفات الصناعة سائلة وصلبة، وما يتكرر الناس من فصلات مستهشرون ومعالجة أو حد أدنى من مراعاة قواعد نظافة البيئة، فضلاً عن ما تسببه سياسات عدم الحرفات والمطابقة من توجيه للاستثمار بل وضعت الحياة إلى هدر إكسكانية المجتمع وريادة الصناعات الملوثة وأنماط الإنتاج والمعيشة كثيفة، وإن لم تكن سلبية، الاستخدام للطاقة خاصة غير المتجددة

قد يقال وعس حق أن الدول النامية قد تكون أقل إهداراً للبيئة من تلك المتقدمة وتكفي الإشارة في ذلك إلى اتبعات الكربون التي تتركز بالدول الصناعية الكبرى، ولكن هل اختف نمط الإنتاج في الدول النامية عن تلك التي سبقها تصحيح الخلل لبيئة من سبها إلى تدميرها؟ وأين دور هذه الدول النامية في الحماة على حقها وحقوق



أجانبها القادمة في ظل هذا الحد الولد البيئة الذي صابر معتزكا دوليا وليس عملاً يظنه البعض خريباً؟ وهل اعتدت الدول النامية لأجهزة المعنية بالبيئة أفضل إمكاناتها التي يمكن أن توفرها لهم أخطر الظواهر التي تهدد سلامة البشرية من خلال التغيرات المناخية؟ وهل أخذت بالأسباب للتوقي على ضرور هذه التغيرات؟

ولا يتكرنا التقرير دون أن يوضح مجموعة من التحديات بعضها يخص دولاً معيناً وبعضها الآخر يأتي شاملاً لكافة الدول وإن اختلف مدى تأثرها بهذه التحديات.

فالتقرير يخص دول أفريقيا جنوب الصحراء، بالإشارة إلى مشاكلها الجغرافية وتبني بنياتها الأساسية وتختلف نتج عن عهود من الاستنزاف لوارد طبيعية تحسنت أسعار بعض مستخرجاتها وتبني بنياتها الأساسية الأخيرة وهي تواجه تحدياً يتمثل في مدى القدرة على الاستمرار في الاتعاف بآسام هذه الموارد وتنوع صادراتها وريادة قبيتها.

كما يشير التقرير إلى دول صغيرة من حيث العدد السكان والمسااحة والموارد بما يجعل أي إتفاق استثماري تطویر بنيته الأساسية ذات تكلفة باهظة إذا ما قيس بمتوسط نصيب المتقفرين بهذا الإنفاق لافتقارها لأهم المصم والقدرة على توزيع الاستثمارات.

ويشير التقرير أيضاً إلى بلدان غنية بالموارد الطبيعية ومدى قدرة هذه البلدان إلى التعامل مع نفمة الغنى المانة من اتخاذ إجراءات حصرية لإدارة الاقتصاد وبناء المجتمع بفضل ما يأتينا من موارد تفننها في ظواهر الأمر وفي الأجل القصير .. وكثيراً ما تقع هذه البلدان فريسة، وإن تعبير شكل الافتراض، لن يستبذل هذه الموارد من خارجها أو من داخلها، ويلهو الناس فيها

ولو إلى حين بموارد ريعية تأتي بلا كد مسكور أو عمل مسكور. وتماضي الاقتصاداتها من أوضاع «المرض الهولندي» التراجع عن نشاطات في نمو القطاعات المزدهرة من مصادر الرخاء والدخل وعائد الصادرات، لا يراه منه إلا محسن استغلال وتوظيف الموارد في التنمية والحجاز وتبني سياسات تعتمد على نمو الاقتصاد المحلي وسناء الإمكانات استثماراً في البشر وفي القطاعات الأساسية الممكنة لهم من الإنتاج، أما المجموعة الرابعة، هي تلك التي تسعى لها الدول، والمتوسطة الدخل النامية إلى النمو والحصول عليه والى يشتد عليها وطيس المنافسة كلما اشكبت اقتراباً من مصاف الدول الأعلى دخلاً وقلقت من حجم الضخمة بينها. فكلما ارتفعت الأجور في هذه الدول قلت درجة تنافسيتها وانخفضت المزايا النسبية في صناعاتها كثيفة العمالة، فيصعب لزماً عليها الاعتماد على قطاعات تعتمد على الحرفة والابتكار والاستناد إلى رصيد أكبر من رأس المال المادي والبشري، وعليها في هذا أن تحسن الإسماكة بطفة التحول إلى هذه القطاعات، بمزيد من التدريب والتأهيل للعمالة، لتلبية متطلبات القطاعات الجديدة خاصة للنسبة للمهارات الباطنية، المطلوبة، وما واجهت بطاقة ظاهرة أو مقنعة لعملية متوسطة أو متدنية المهارة، وما يصحب هذا كله من تمعات.



ويستش التقرير بالتحديث هي التحديات العالمية الجديدة والتي تمثل في أربعة: التغيرات المناخية، وتغيرات الأسعار والنسبة والتكاليف الجغرافية، والوحكمة على مستوى العالم. التغيرات المناخية. لعل ما يشهده العالم من تغيرات في المناخ من أخطر التحديات التي تواجهه، ومن أوجه الخطر الذي يبدو داهماً أن التسبب فيه لا يتحمل أثره وزوره وحده بل يتحمله آخرون معه وفي بعض الحالات البعض وزر الأثم .. فالدول الأقرى هي الأقل إسهاماً في هذه التغيرات المناخية من حيث انبعاث الكربون وتخليط الملوثات وتكتها تنفع التشن صراحة أو ضمناً، بل قد يدفع الأقرى لمبدأ أكثر مبهم عدم توفر وسائل التوقي تدية أو التحوط من تغيرات المناخ، وإذا ما اشتمت الأزمات بالدول الأقرى قد تجدها بعض منحة أو هبة أو إعانة عاجلة من بعض المستببين في نشأة الأزمة.

كتاب الزاوية



منهجى فى تذوق الكلام

محمود محمد شاكر

المنهج الذى استطلعت أن أهدئه لتفكرى، كان نابهاً من صميم المناهج الخفية التى سن لنا أبائنا وأسلافنا طرقها، وأن كل جهدى فيه، هو معاناة كانت منى لتبيين درويها ومسالكها، ثم إزالة الغبار الذى طمس معالمها، ثم أن أجمع ما تشتت أو تفرق من أساليبها، معتمداً على دلالات اللسان العربى، لأن كل ذلك مغبوه تحت لفاظ هذا اللسان العربى، ومستكن في نظم هذا اللسان العربى، وهذا يكاد يكون أمراً مسلماً ببديه النظر فى شأن كل لغة وتراثها. والذي لا يملك القدرة على استيعاب هذه الدلالات وعلى استشفاف خفاياها، غير قادر البتة على أن ينشئ منهجاً أدبياً لدراسة إرث هذه اللغة، فى أى فرع من فروع هذا الإرث، إلا أن يكون الأمر كله تبحراً وغطرسه وهماً وغشوراً وتقليداً، كما هو الحال فى حياتنا الأدبية هذه الفاسدة.

هذا هو جوهر حديثى عن منهجى فى «تذوق الكلام» كله شعراً ونثراً، وأخباراً تروى، وعلماً يكتب أو يستخرج، لأن ذلك كله إنما هو إبانة عما توج به النفوس، وتبش به العقول، ففى نظم كل كلام وفى ألفاظه، ولابد، أثر ظاهر أو وسم خفى من نفس قائله وما تتلوى عليه من دفين العواطف والنوازع والأهواء من خير وشر أو صدق وكذب، ومن عقل قائله، وما يكمن فيه من جنين الفكر، (أى مستوره)، من نظر دقيق، ومعان جلية أو خفية، وبراعة صادقة، ومهارة موهبة، ومقاصد مرضية أو مستكرهة. فمنهجى فى «تذوق الكلام»، معنى كل الغاية باستنباط هذه الدقائق، وباستدراجها من مكانها، ومعالجة نظم الكلام ولفظه معالجة تتيح لى أن أنفض الظلام عن مصونها، وأميط اللثام عن أخفى أسرارها وأغمض سرارها.

كثيراً على القدرة على التنسيق المولى والتفاعل على المستوى العالمى لمشكلات الاقتصاد التى لم تعد قطرية تدور فى حدود دولة من الدول أو حتى مجموعة من البلدان تجاوزت فى موقعها الجغرافى.. وفى ظل تطور الأهمية النسبية للدول النامية وأثر التغيرات المالية واختلال التوازن بين الأدهار والإنماض بشكل عام. ولن تحقق الدول النامية نمواً يكر دون مساندة من الدول الأكثر تقدماً والمساندة هنا ليست دهماً أو هبة، ولكنها تفعيل القدرة على النفاذ إلى الأسواق وزيادة الصادرات. ولن يحقق ذلك ما نراه من تعقيدات فى سبل حركة تجارة البترول النامية خاصة فى ظل التغير الذى تشهده دورة الوحدة لمفاوضات التجارة فى إطار منظمة التجارة العالمية.

ومع فواتر ازمت الاقتصاد والتجارة والمال فى خلال السنين الماضية وما يشهده الاقتصاد العالمى من تعقيدات اقتصادية مستجدة يتطلب الأمر بناء مؤسسات جديدة وقواعد عادلة وفاعلة لإدارة النشاط الاقتصادى العالمى. وهو ما لا يأخذ وقتاً طويلاً إلا تدخله ازمت حادة، فى عصر يتهدد عدم توافق غير موفى، بين ريادة الاقتصاد المتبادل على المستوى العالمى والقدرة محدودة على التنسيق والتنسيق والتعاون الملائم بين الدول الفاعلة فى النشاط الاقتصادى. ولعل هذا النحاج المجهود لدول نامية فى مصمار الإنجاز الاقتصادى، وهذا البروز المعبر لأنشطتها الإنتاجية يستدعى أسئلة طرحت فى الماضى عن حدود النمو ومدى استمراره وشموله لما فيه نفع للبشر. ويؤكد التقرير على أنه لا توجد إجابة قاطعة على التساؤلات حول حدود النمو، أو أن النمو سينطلق مدفوعاً بتطور أسبابه، ولكن بعض الإجابة تكمن فى القدرة على الإبداع وتوظيف التكنولوجيا والعلم النافع فى إنتاج سلع وخدمات يطبقها الناس فى حدود ما هو متوفر من موارد طبيعية يحسن استخدامها، وبسبيل هذا هو التحدى الأكبر فى القرن الحادى العشرين الذى يجب مواجهته بنمو اقتصادى متدرج ومستمر تشمل منافعه الناس جميعاً دون تمييز وبما يخفص الفقر ويخفف منابعه بسياسات مرنة وبرامجيات تتولى تنفيذها حكومات فاعلة لما يريده الناس منها، دون حذر للإمكانيات أو إجراءات شيعوية قد تفرح بعض الناس يوماً وتحزنهم جميعاً فى الأيام التالية، وهذا ما لا يرجى من أى سياسة تشنه النمو أو تسعى للتنمية.

ولعل الأولى بأصحاب المنح والهبات أن يمنحوا الصواب بدءاً بدلاً من محاولة إعادة المكروبيين انتهاء. يمكن الاستناد إلى التكنولوجيا ومستحدثاتها وإلانتها للسيطرة على البعثات الكرويون وترشيدها استخدامات الطاقة. وإذا كان على أحد القيام بجهد فى هذا الشأن، فهو على الدول المتقدمة وليس سواها..

والتحدى العالمى الثانى: هو الانخفاض الملحوظ فى الأسعار النسبية للمنتجات المصنعة وارتفاع أسعار السلع الأولية والخامات فى ذات الوقت فى ظاهرة غير مشهودة من قبل. فالارتفاعات المتلاحقة فى أسعار المواد الأساسية والسلع الأولية والمنتجات الزراعية قد تحقق نفعاً للتجارب، وذلك فى وقت خفضت الصين، وأخواتها، من أسعار المنتجات المصنعة بما حقق ما يشبه الانقلاب فى شروط التبادل التجارى وأثاره الاقتصادية بما فى ذلك أوضاع موازين المدفوعات، وما يرتبط بمستقبل الطلب العالمى على السلع الأولية والصنعة من تقورات..

أما التحدى الثالث فيظهر فى المشاكل الديموجرافية.. فيفضل ارتفاع توقعات الحياة عند الولادة تنسب نسبى فى الرعاية الصحية وعلاج الأمراض من ناحية والخصاص معدلات الإنباب والصحة أصبحت الهياكل السكانية للبشر تنزع إلى ارتفاع متوسط العمر.. ويرتبط على ذلك تحديات فيما يتعلق بمعدلات النمو والطلب على المنتجات خاصة من قبل الدول المتقدمة، وارتفاع نسب الإعالة ممن يعملون فى لا يعملون لتخطيهم من النفاذ وما يرتبط بذلك من اختلالات فى نظم التأمينات الاجتماعية والمعاشات وعدم القدرة على التواءم العاجل مع هذه التغيرات فى الدول التى تعاني منها وخاصة الدول الأوروبية. يصاحب ذلك ارتفاع فى معدلات الخصوبة والولادة وزيادة معدلات نمو السكان فى البلدان النامية بما يصعب ذلك من ارتفاع فى بطالة صغار السن فى حالة انخفاض معدلات النمو الاقتصادى أو تدنى معدلات إتاحة فرص العمل حتى مع ارتفاع معدلات النمو.

وفى ظل قيود مبرهنة على حركة العمالة والهجرة من أجل العمل تتعقد مشكلة السكابة على مستوى العالم. ويتطلب هذا كله تنسيقاً دولياً وسياسات أكثر مرونة لتسليم بانقال العمالة، التى تعقد من مشاكل العولة.

أما الحوكمة على مستوى العالم فهى التحدى الرابع والأخير الذى يبرسه تقرير النمو والتنمية، فلهذا عول التقرير

سبحان من خلق السموات والأرض

دواسات حمام

متواجدة في مراكز بيع بواقى ال

قطع موكيت

سجاد أطفال



توزيع المنتشرة في كل الأرجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

سجاد صلي

www.maccarpel.com

الأندلس: هل كان غزوا؟!!

■ فرسان مسلمون وخيالة.. تصوير من أناشيد المومنين العاشر، أواخر القرن الثالث عشر، مكتبة دير سان لورينزو دي الأسكوريال



بعض الإسبان مازالوا يطاردون تاريخ العرب في بلادهم إلى اليوم. وكأن حرب الملوكين الكاثوليكين فرديناند وإيزابيلا ضد مسلمي الأندلس لم تضع أوزارها بعد

١٢٧١

التي نعرفها اليوم، فـ «إسبانيا الإسلامية»، حسب قوله، هي التي وهبت إسبانيا المعاصرة كل خصائصها الثقافية والحضارية والقومية. وإلى هذه الفئة أيضاً ينسب المستعرب الإسباني الكبير «كوديرا»، الذي دعا في بدايات القرن الماضي، إلى تعريب أوروبا وإسلمتها على أساس أن ما يقص أوروبا هو ثقافة الروح والوجدان، ومهد لتسع من الإسلام على أفضل وجه. وكان الأمير شكيب

والانفتاح والتسامح وحموق الإنسان إلى أي دين انتمى، وهي القيم العريضة على قلوب الغربيين، والأندلس في صورة الإنسانية المعاصرة بل والمستقبلية من حيث تعايش الأديان والنشأانات والشعوب، وإلى هذه الفئة من الإسبان ينسب مفكرون ومؤرخون وباحثون كبار منهم، على سبيل المثال لا أكثر، المؤرخ «مريكو كاسترو» الذي يقول في كتابه عن تاريخ إسبانيا إنه لولا المسلمين لما كانت إسبانيا على صورتها

العربية الإسلامية في شبه الجزيرة الأيبيرية التي استمرت ثمانية قرون بالتمام والكمال. ولكن إذا شئنا الدقة أكثر، قلنا إن الإسبان إزاء تلك الحمية ينقسمون إلى قسمين، هناك من يحطّر إلى الأندلس على أنها جوهرة تاريخ إسبانيا، ونواة حضارتها وحضارة أوروبا المعاصرة، فالأندلس هي التي نشرت عبر ابن رشد وعبر سواء من فلاسفتنا، الفكر العلمي والعقلاني في الغرب، والأندلس كانت بداية عصر الديمقراطية والحريّة

■ الأندلس يعيون إسبانية غير الأندلس يعيون عربية، فالإسبان، وحتى الساعة، لم تصف نفوسهم إزاء الحقبة

العرب لم يفزوا الأندلس رؤية تاريخية مختلفة أعناسيو أولاغبي نقله بتصرف من الإسبانية إلى العربية إسماعيل الأمين بيروت - رياض الريس للكتب والنشر



أرسلان الذي عرف كوديرا عن قرب، يقول إن أصله عربي، فهو من قبيلة «قدرية» وليس إسبانياً صليبية. أما القسم الثاني من الإسبان فهو ينظر إلى الحقيقة الأنديلسية نظرة طائسية ضيقة، فالعرب مستعمرون محتلون كأي مستعمرين أو محتلين، وإذا كانت هذه الفئة من الإسبان قد انحسر نفوذها مع الوقت، منذ سقوط غرناطة وصولاً إلى وقتنا الراهن، إلا أنها لا تقدم التعبير عن نفسها بين الألبان والآخر، ويتضح بجله إن بقراً خطاب هذه الفئة، أن هذا الخطاب صادر عن فكر طائسي متعصب، فالعدو هو الإسلام ولا مكان للإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية بل لا مكان في شبه الجزيرة الأيبيرية إلا للكاتوليكية دون سواها، والطريف أن إسبان القرون الوسطى لم يتسامحوا إلا مع اليهود ولا حتى مع البروتستانت، لقد كانوا مبكياً واحد بالنسبة لهؤلاء جميعاً، فالواقع التاريخي يقول إن الإسبان طردوا مع العرب اليهود ولم يتسامحوا حتى بقيام كتيبة لوثريه بروتستانتية بيس ظهورهم، فبقيت إسبانيا كاتوليكية خالصة.

وبالرغم من الهزيمة التاريخية المريرة التي لحقت بالعرب عام ١٤٩٢، بسقوط مملكة غرناطة، ثم تهجير الموريسكيين بصورة جماعية قسرية لم يعرف التاريخ مثيلاً لها، فإن بعض الإسبان مازالوا يطاردون تاريخ العرب في بلادهم إلى اليوم، وكان حرب الملك الكاثوليكيين برتراند و إيزابيلا ضد مسلمي الأندلس لم تصع أوزارها بعد. وكان محاكم التفتيش التي كانت تحكم من بقى من مسلمي الأندلس متخفين، على صمائرهم ورسائلهم لم تثنهم مهنهم بعد، وآخر ما سجل في هذا الإطار صعود الأندلسيين الإسبان في عملتي ابن زيدون، الأخير في قرطبة إلى التبريدع العرب إلى شراء كتاب إسباني جديد للمؤرخ والأكاديمي الإسباني الدكتور أغناسيو ألبانديا محوون أن العرب لم يغزوا إسبانيا عسكرياً بل غزوها ثقافياً لا أكثر، وبالتالي فإن وجهة نظر العرب حول فتح مزعوم للأندلس، وحول حقبة بن نافع وطريق من ريباد، إنما هي من وحى الخيال لا أكثر. والأندلسيون انغمسوا في يكس لديهم مثل هذا التفكير لوجودهم في إسبانيا، ويخلص هذا المؤرخ إلى القول إن تقاقره هذا مصدر خرافة فتح العرب للأندلس «ولكن هذه

الخرافة عندما نقلت إلى أيبيريا، دمت وانتشرت بصورة واسعة لأنها وجدت لها مناهجاً مشابهة لمناخ الشرق». المؤرخون العرب غالبوا بالطبع عن مثل هذه النظريات، فاحت ما لديهم حول تاريخ العرب في الأندلس هو ما كتبه المؤرخ أو الباحث المصري محمد عبد الله عنان في السلاسلاتيات والأربعينيات من القرن الماضي. أما ما كتبه هم حول هذا التاريخ فمجرد تنويعات على ما كتبه عنان، ولأن الطريق إلى مكتبة الإسكوريال وبالقى مكتبات إسبانيا وأوروبا لم يعد سالكاً منذ بداية عصر الانقلابات العسكرية العربية، فإن الساحة قد خللت للمؤرخ الإسباني الدكتور أغناسيو أولافي بالمر، والمباحثين الإسبان الذين مازالوا حافظين على العرب والمسلمين إلى اليوم، إذ كيف تسك المؤرخ «البربرية» من السيطرة على إسبانيا والبرتغال ثمانية



مصر وبلدان الشمال الأفريقي كله، كانت مهياة لا اعتناق الدين الجديد يحكم انتسابها من قبل إلى أرومة سكانية واحدة



قرون، وهي أطول فترة حكمت فيها دولة من الدول إسبانيا وبقية شبه الجزيرة الأيبيرية؟

لا بأس بالطبع من بسط نظرية أغناسيو أولافي كما وردت في كتابه المذكور الذي لا يمكن لأحد اطلاع عليه إلا أن يشهد له بالاكتمال والأطراف وحسن المرافعة، في القصص التي أوكل إلى نفسه الدفاع عنها.

يقول المؤلف إن الدعوة الإسلامية في إسبانيا لقيت مناهجاً ملاماً بحيث لم يخر الإنسان الدين سات في مجتمعهم الديانة الأروسية خلال القرن الثاني، إلا تديلات طفيفة على معتقدتهم وهكرهم وثقافتهم وعاداتهم ليتحولوا إلى الإسلام.

فالعرب والمسلمون لم يفتحوا إسبانيا عسكرياً، والتحول إلى الإسلام في الأندلس لم يتم إلا عبر حركة الأفكار وتصارعها، ثم هيمنة ما يسميه المؤلف بـ «الفكرة» القوة، التي شكلت عصب

الحضارة العربية الإسلامية في ثلاثة أرباع عالم تلك الأيام.



يقول جان بايرت في مقدمة ملخص فرنسي لهذا الكتاب، في عصرنا النووي هذا يمكننا أن ننخيل كارتة نووية تدمر الإنسانية، تاركة وراءها بعض المجموعات المتخلفة في أستراليا مثلاً.

وبعد آلاف السنين تردهر حضارة جديدة على الأرض، وتكتشف الأجيال المنحدرة من هؤلاء الناجين القارة الأوروسية، مركز الكارثة القديمة، ولا نجد سوى كشافين؛ رأس المال لكارل ماركس، زرواية عسكرية بحثة حول الهجوم الأفاض على روسيا سنة ١٩٤١.

قبل أن يحل المؤرخ هذه النصوص

أى منها أصلاً فترة تحول الأيبيريين إلى الإسلام.

أما الكنيسة الإسبانية فقد حكم رؤيتها للتاريخ هاجس إيجاد موضوعة تناسب موقعها، خصوصاً في القرن السادس عشر، وإذا قيل إن أيبيريا تم غزوها من قبل قوة عسكرية هائلة، تنفاد الكنيسة الخجل من أنها ظلت خاصة لهذا الغزو مدة ثمانية قرون.

أما الحقيقة فهي غير ذلك، كانت المسيحية في أيبيريا في نهاية القرن السابع في حالة الحلال كامل، خصوصاً بعد قرن سيطرت فيه الأرومة كديانة رسمية في دولة مزدهرة.

ولم يكن الأمر في شبه جزيرة أيبيريا سوى محاولات لإسبانيا سلطة مسيحية، سياسية ودينية، مفقودة، أشعل الأمراء الرجعيون من مستنبيين وعلمانيين حياً استمرت ثلاثة أرباع القرن، وانتهت بانتصار الأروبيين الذين تابعوا تطورهم في سياق منطقي واضح وأصبحوا مسلمين، في هذا المجال يبدو من الضروري،

بنظر المؤلف، إعادة دراسة الانتشار الإسلامي منذ بدء الدعوة، هل من هذا الانتشار عبر السجل العسكري، أم اللاهوتي والسياسي، أم كليهما معاً؟ وما هو حجم الدور الفعلي لكل منهما؟

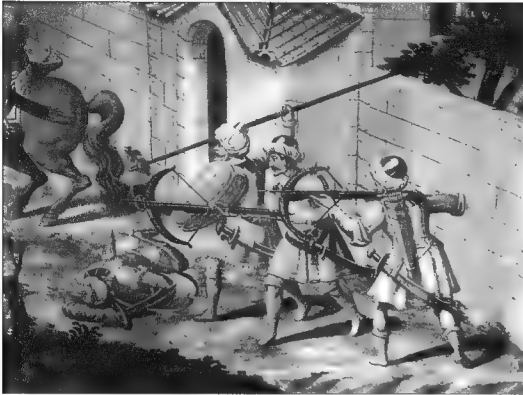
لا يمكن، بدلاً من فتوحات عسكرية مستحيلة، أن يكون انتشار الدعوة الإسلامية في أيبيريا وغيرها، قد جاء ثمرة لحركات اجتماعية وهكرية داخلية تست الدعوة وساندتها؟

يجمع المؤرخون من عرب ولاتين، من متقدمين ومتأخرين، على أن عده المسلمين الذين دخلوا إسبانيا بلغ سبعة آلاف على أقل تقدير، وإثنى عشر ألفاً على أبعد تقدير، ويحتمون كذلك على أن معظمهم من البربر الذين كانوا لغزوهم قد اعتنقوا الإسلام، ولم يكونوا قد تعلموا العربية بعد.

كيف تمكن بعد آلاف هؤلاء من السيطرة على عشرة ملايين أيبيريين وسحب يعيشون في أهم مدن العالم آنذاك أندالها؟ إن أرقام القتلى والناجها التي أوردها الإخباريون المسلمون تشير إلى هذا الأذهار، بل إلى غنى فاشح، وكيف تمكن عدد مشابه من السيطرة على خمسة عشر مليون قبلي في مصر لتتوزع فيما بعد الفرصة والإمكانات لغزو كامل شمال أفريقيا حتى بحر الظلمات؟

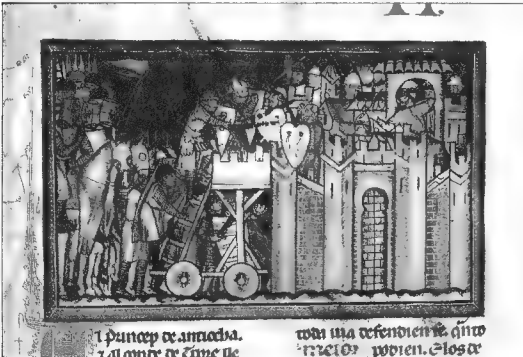
نحن العرب لدينا بالطبع أجوبتنا على مثل هذه الأسئلة، من هذه الأجوبة

عندما وصلت أخبار خرافة غزو العرب لأيبيريا إلى مصر، قال البعض بهدف السخرية من العرب إنهم لم يكونوا أكثر من ستة عشر رجلاً من بين جيش يتألف من اثني عشر ألف رجل



١١ القواس النشاب المستخدمة في معركة غرناطة في عهد بني نصر لتصوير معركة Li Higuervuela بين خوان ملك إشتالة ومملكة نبي نصر سنة ١٤٣١، رسم جرانللو، كاتالون، تافاروس وأورازيو كامبياز، يعود إلى سنة ١٥٨٧، ١٥٨٩، دير سان لورنزو دي الاسكوريال.

١٢ حصار مدينة إسلامية من قبل القوات الصليبية المزودة بالآلات الحرب، تصوير من متحف تعود إلى سنة ١٢٩٣ المكتبة الوطنية، مدريد



ان الإسلام حمل في داخله طغاف هائلة دعمت بعمقته إلى حمل رسالته ونشرها في سائر أنحاء العالم القديم، ومن هذه الأوجية أن مصر وبلدان الشمال الأفريقي كله، كانت مهية لاعتناق الدين الجديد بحكم انتسابها من قبل إلى أرومة سكانية واحدة، فالبربر، الذين يسمون الآن بالأمازيغ، هم من أصول يمنية، ولغتهم هي لغة سامية أو عربية بدائية. أما جنوب إسبانيا فقد كان يولف مع طنجة وما جاورها في مدن العرب، ولاية إدارية واحدة، والتداخل السكاني بين الجنوب الإسباني وبلدان الشمال الأفريقي كان على أشده في فترة وصول الإسلام إلى الغرب، لذلك كان من الطبيعي أن يتم فتح الأندلس حرباً وسلمياً في الوقت نفسه، فالعرب المعاصرون لا يصيقلون صدرا بنظرة تقول بانتشار سلمي للإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية، ولكن ما لا سجيل للجزء به، في الوقت الراهن على الأقل، وعلى ضوء ما تسمح به النصوص والوثائق التاريخية، هو القول بأن فتحاً عسكرياً للأندلس لم يحصل أصلاً.

بحسب المؤرخ الإسباني الأساطي أولافي، صاحب كتاب «الثورة الإسلامية في الغرب»، نشأت في إسبانيا في المرحلة التي سبقت ما نسميه نحن العرب، فتح العرب لإسبانيا، أحداث سياسية ودينية مهتة لتدخل ثورة عسكرية، قادمة من شمال أفريقيا، وعلى الصعيد من منطقة طنجة الحاذية للبر الإسباني، هذه «الفة العسكرية، التي تدخلت لتصرة أبناء غيبشة، على خصومهم المحليين في شبه الجزيرة الأيبيرية، إنما كان تدخلها، ينظر المؤرخ، لا لفتح الأندلس ونشر الإسلام فيه، إنما لواحد من سببين: إما أنها تدخلت لأ طنجة مع ما جاورها من أراض ومدن، كانت تابعة لمملكة القوط الإسبانية، وبالتالي فإن تدخلها كان من ضمن عمليات ترتيب البيت الإسباني لا أكثر ولا أقل، وإما أن تدخلها كان مأجوراً ومغفوع الثمن سلفاً، ويصيف الباحث، كي يثبت وجهة نظره هذه، إنه ورد في أخبار الرازي، أن أمراء القوط خافوا بعد موت غيبشة إلا يتمكن الملك الجديد الطفل من صد اجتياح لمملكته من قبل جيرانها: «بسبب صغر سن الملك، إذ كان من الممكن أن تخضع أيبيريا لسلطات أمم أجنبية، إما إمبراطورية القسطنطينية، وإما الإمبراطورية الرومانية، إذن حسب هذا النص لم يكن الخطر من دولة عربية إسلامية تنشد



حتى الغرب، إما الحطركان وألفاً من قبل أسبانيا العالم المسيحي، وقد أكد الرأى. الذى لم يتحدث عن وجود دولة إسلامية فى الجهة الأخرى من المضيق، والذى كان يكتب فى القرن العاشر، وأكثر من مرة، أن مثل هذه الدولة لم تكن موجودة فى بداية القرن الثامن، ولا يمكننا أن نتصور أن بضعة آلاف من سكان الريف الذين عبروا المضيق مع طارق كانوا يتكلمون اللغة العربية وحتى لو كان العرب قد وصلوا لتوهم إلى هناك، فإن هذه الشعوب لم تكن قد أسلمت فعلاً وتعلمت العربية..

ويرى المؤرخ أن بالإمكان الآن أن نفهم بصورة أقل كيف تمكن طارق ورجاله من اجتياز مضيق جبل طارق الخطير، لقد أرسل أسبانيا غبطة رجال مدينة قارص لنقلهم، كان هؤلاء الرجال بخارة ورجالاً، ولم تكن أهدافهم بالضرورة سياسية، بل أجروا خدماتهم ونفذوا عملية نقل الجنود كاية عملية تجارية بحثة، فى تلك الفترة لم يكن البحر المتوسط بعد، كما هو الآن، خط تمانى يفصل المسلمين عن المسيحيين، وكانت العلاقات مع جميع الأصناف، وعلى جميع المستويات، قائمة وثابتة بين طنجة والبر الإسباني تماماً كما هو طبيعى أن تقوم مثل هذه العلاقة بين مسطقتين لمتجاورتين إلى الحصار نفسهما والدولة نفسها، وصول أبناء الريف لمساعدة الأيبيرييس ليس حدثاً استثنائياً، فمنذما كاد القيصر جوليان أن يسقط ويهدد سلطته فى معركة مدينة مالدا بالقرب من قرطبة، استعان بفرسان زعيم إفريقي، وفى جميع الحقب، قدم المرتزقة من أسبانيا الريف فى مراكز خدماتهم لحكوك الفوط، كما استمروا هيماً بعد فى تقديمها للأمرء والخلفاء الأيبيرييس المسلمين

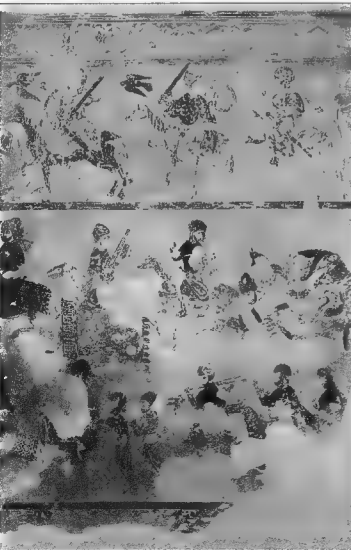
حسب الروايات البربرية كان المحاربون الذين هبوا من أفريقيا إلى منطقة بتيكا لمساعدة أسبانيا غبطة صد لتدريب من أصول محسنة، كانت أكثرينهم من المراكشيين، أما البقية فمن مناطق بيزنطية، وعندما وصلت أخبار خراقة غزو العرب لأيبيريا إلى مصر، قال البعض يُهدف السخريه من العرب إنهم لم يكونوا أكثر من ستة عشر رجلاً من بين جيش يتألف من اثني عشر ألف رجل، ربما كان موسى بن نصير من بين عناصر هذه الدورية، ولكن حتى لو قبلنا

بأن العدد كان أكثر بكثير، فلا يمكننا أن نغير أنه كان هناك اتصال دائم برى أو بحرى بين هؤلاء المغامرين السمر وبين المركز الإسلامى الحيوى فى دمشق الذين يبعد أكثر من خمسة آلاف كيلو متر من أعصمة هرقل..



يقول المؤرخ أن الأسطورة التى حيكث حول شخصية موسى بن نصير (القائد الأعلى للمفتح بحسب وجهة النظر التاريخية العربية) لا تتطابق مع المعطيات التاريخية التى يمكننا اليوم تحديدها، فحسب الإخباريين العرب، ولد موسى بن نصير فى مكة سنة ٦٤٠ ومات سنة ٧١٨، فى سنة ٧١١ كان عمره ٧١ سنة، بالنسبة لتلك المرحلة كان هرمًا بل طامعًا فى الس، فى تلك الأيام كان يتعين على الجنرال أن يكون شاباً ليحتمل المشاق التى تفرضها حملة عسكرية طويلة، كان على موسى بن نصير، وفى هذه الس، أن يقوم بالرحلة من الشرق حتى أيبيريا، هذا العمل وحده يشكل بطلونة مشهورة، أما تحويله إلى قائد عسكري يقود غزو أيبيريا فيدخل فى باب الخرافة، والغزوات الآتية فى الشرق لا تصمد أما الحصن النقى فالجنرال فى غزواته تلزمه الحيو، أية سطوة كان يمتلك موسى بن نصير لينجح المراكشيين الذين شكلوا - كما يقول الإخباريون العرب - الجزء الأساسى من جنوده؟ كيف كان يتفاهم مع رعاياه الذين يتكلمون لغة غير لغته، وفى زمن

والحقيقة - كما يضيف - أننا لا نملك أية وثيقة رسمية حول شخصية موسى، أقدم النصوص التى تحدثت عن أعماله الخارقة هى نصوص مصرية تعود إلى بداية القرن التاسع، ويصعب علينا أن نقرر ما إذا كان الأمر يتعلق بشخصية خيالية، كما يعتقد الأسقف إيزيدورو أم لا، وكذلك إذا ما وجدت فعلاً هذه الشخصية، فإنه يستحيل استنتاج خطوط سيرته العامة للتأكد من مجيئه إلى أيبيريا أو عدمه، فإذا ما أخذنا بعين الاعتبار تلك الأجواء التى تهيمن على النصوص البربرية، يمكننا فى أحسن الأحوال أن نفترض وجود احتمالين، إما أن يكون موسى بن نصير شخصية



تصوير جدارى فى قصر المرطل فى مدينة الحمراء (مرطاطة) يرجع إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر، نسخة تعود إلى عامى ١٩٦٦ - ١٩٦٧.

كيف تمكن بضعة الآلاف هؤلاء من السيطرة على عشرة ملايين أريوسى ومسيحي يعيشون فى أهم مدن العالم آنذاك أزهدها؟ إن أرقام الغنائم ولوانحها التى أوردتها الإخباريون المسلمون تشير إلى هذا الأزهار. بل إلى غنى فاحش

٤٤

صغير يتحمل أعباء مهمة كلفه بها رعاء المسلمين، وربما الخليفة نفسه. وهى مهمة توطيد علاقات مستمرة مع التوحيديين الأحاديين فى أيبيريا التى كانت تشتمل على موحدين وعلمى مثلين. هكذا نفهم بصورة أفضل تلك الرحلات الشاقة التى قام بها هذا العصور

أما كُتّاب الأخبار اللاحقون، فقد نسوا حصاص عسكري لهذا الدعاية بعد أن نسوا الهيجان الدينى فى القرن الثامن، خصوصاً أن نموذج المسلم أيام الرباطين كان عسكرياً أكثر منه مشيراً. على هذه الصورة يتحدث المؤرخ الإيبانى أنفاسيو أولافى عن موسى بن نصير، ولكنه لا يوفر طارئ بن زياد، رفيق موسى بن نصير فى الفتح، من ملاحظاته القاسية، هاتفاً لعل القاريخية، ومبالغات الإخباريين العرب، تنطبق أيضاً على شخصية طارق.

ويقترض أنفاسيو أولافى احتمالين أيضاً: إما أن يكون طارق مجرد زعيم قبيلة بربرية تحت سلطة حاكم طنجة، وإما أن نقبل الرواية البربرية التى تقول إن طارق نفسه كان حاكم طنجة. ولكن فى هذه الحالة لا بد أن يكون قوطياً من أصل جرماني، لأن ذلك أن اسمه المكتوب والمفرد باللغة القوطية TARIC يهدفنا إلى قبول هذه الفرضية. ويفسر هذا الأمر المهمة الخطيرة التى كلفه بها أبناء الملك فيسطشة الذى عينه حاكماً على طنجة، وظل يعتبر نفسه سيده، وهكذا عبر طارق الضيق مع جيوش من المرتزقة المراكشيين لدعم حزب الشرعية الذى يتبنى، فى الوقت نفسه، ممتقده الدينى، أى التوحيد. كذلك تُفسر سلطته على المقاطعة التى هزم فيها لدرىق، ذلك باعتباره حسب بعض الإخباريين، القائد الأعلى لجيوش حزب التوحيد الأحادى فى معركة وادي لكة. لقد مات ريشنو، وكان أخيل حدثاً. أما أولافى فكان رجل كنيسة، وهى هذه الحالة لم يبق سوى طارق، أعلى رجل مدنى فى حزب الملك فى نيميا

وهى القدم الأخبار البربرية نجد أن طارقاً وأفراد جيشه قد تذكروا لباس المراكشيين المستعربين، على أن المهم أن الأعمال العسكرية الحاسمة التى قام بها طارق وسواه من أنصاره وخصومه، لم تنم إلا على رفعة قصيرة لا تساوى أكثر من عشر مساحة الأندلس. أما المؤرخون فقد

إخوانهم فى الدين، ولينقلوا لهم تعاملهم. ثم بعد أن تلقوا الأخبار الصارة، وجها نحو أيبيريا السلاح والمال والكتب والبشرى، أملىين بدفع إخوانهم البعدين إلى السير قدماً على طريق التوحيد الأحادى، ودخول المصالحة الإسلامية الكبيرة.

٤٥

من هذه المجموعة من الدعاة الذين وصلوا إلى أيبيريا، خرج رجل استثنائى، إما بسبب نفوذه المكنى، وإما بسبب الدور الذى لعبه، ربما كان موسى بن

بأنفجار الأزمة فى أيبيريا بين أنصار التوحيد الأحادى، الذين يعتبرونهم إخوانهم، وبين الثالوثيين الذين كانوا فى نظرهم مشركين بدرجة أو باخرى. تأثروا لأن ذلك يتكرهم بالأحداث التى مرت فى بلادهم قبل قرن من الزمن، ولا بد أن التشير، بصورة الأكثر بساطة والأشد استقامة، قد دفعهم دون شك، إلى مساعدة هؤلاء الأيبيريين (بالفعل والكلام) الذين كانوا يحملون أفكاراً دينية قريبة جداً من أفكارهم الإسلامية. ونظراً لاستحالة إرسال مساعدات عسكرية، بسبب بعد المسافة وطبيعة وسائل النقل أرسلوا لهم على وجه السرعة المبعوثين ليتحركوا أوضاع

خرافية، وبالتالي يتعين علينا استبعاد ماثره من التاريخ الرصين، وإما أن يكون لهذه الشخصية أساس فى الروايات المصرية والبربرية، وهى هذه الحالة، لا يكون موسى بن نصير قائداً عسكرياً، بل مبشراً دينياً!

إن كاتيب الأخبار البربرية، أخبار مجموعة، قدمه لنا كفضيحة أكثر منه كقائد عسكري. وعندما أحدثت الأزمة الثورية ذلك الهيجان فى جميع المناطق المتوسطة، نزل على الساحل الأيبيرى، منذ بداية الأحداث، أنماط كثيرة من الناس. جاء البعض بحثاً عن الشروة والغامرة، وجاء آخرون ليشرروا بالدعوة الإسلامية. ولا بد أن العرب قد تأثروا



كتاب الزاوية



الدين والثقافة

محمود محمد شاكر

ورأس كل «ثقافة» هو «الدين» بمعناه العام، والذي هو فطرة الإنسان، أي دين كان - أو ما كان في معنى «الدين» - ويقتدر شمول هذا «الدين» لجميع ما يكبح جُوح النفس الإنسانية ويحجزها عن أن تزيع عن الفطرة السوية العادلة، ويقتدر تغلغلها إلى أغوار النفس تغلغلاً يجعل صاحبها قادراً على ضبط الأهواء الجائشة، ومربداً لهذا الضبط، بقدر هذا الشمول وهذا التغلغل في بنية الإنسان، تكون قوة العواصم التي تصمم صاحبها من كل عيب قاذح في مسيرة ما قبل المنهج، ثم في مسيرة «المنهج» الذي ينشعب من شطره الثاني، وهو «شطر التطبيق».

وهذا الذي حدثت كل عنه، ليس خاصاً بأمة، بل هو شأن كل جيل من الناس وكل أمة من الأمم، كان له «لغة» وكان له «ثقافة»، وكان له بعد تمام ذلك «حضارة» مؤسسة على لغتها وثقافتها، فهذا «الأصل الأخلاقي» هو العامل الحاسم الذي يمكن لثقافة الأمة بمعناها الشامل، أن تبقى متماسكة مترابطة تزداد على الأيام تماسكاً وترابطاً، بقدر ما يكون في هذا «الأصل الأخلاقي» من الوضوح والشمول والتغلغل والسيطرة على نفوس أهلها جميعاً، سواء في ذلك النازلون في ميدان «ما قبل المنهج» أو في ميدان «المنهج» نفسه، وهم العلماء المفكرون والأدباء، والمتفوقون منهم؛ تلامذة كانوا، أو أشباه تلامذة من قارئ أو سامع أو كل مطلب للمعرفة. وكل اختلال يعرض فيضعف سيطرة هذا «الأصل الأخلاقي»، أو يؤدي إلى غموضه أو غيابه أو تناسيه أو قلة الاحتفال به، فهو إيدان بتفكك الثقافة وانهايار الحضارة إيداناً صارخاً لا ممدى عنه، مهما بلغت هذه الثقافة وهذه الحضارة، أو تظاهر الأمر أو في العيان، مبلتاً ساقماً من الغلبة والانتشار، ومهما كان لها من الألأء والتبرج والزيينة ما يفتي العقول ويسبى القلوب.

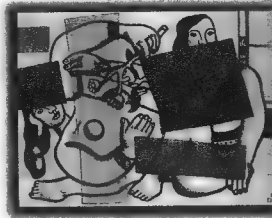
إلا بعد قرون من بدله في الشرق، أي في الفترة التي تفصل حقبتي الأزمتين الوثوريتين والعودة إلى الهدوء. نشأت هائل الخرافات، انتشار الإسلام بقوة السيف، وخرافة غزو إيبيريا، وانتالجهما من الأسباب نفسها، ففي إيبيريا كان الوعى الجماعى يحتشد بذكرى حروب أهلية لم تكن الأجيال التي جاءت بعدها توفق يسمح لها منهم أسباب اندلاعها. وبسبب عياب المنهجية في علم التاريخ، لم يكن فهم هذه الظاهرة العظيمة وتحليلها ممكناً إلا في العصور الحديثة، وحتى المعاصرة. وبسبب النقص في العدة المنهجية الضرورية لتبني الأفكار عانت هذه الأجيال، في تفسير أحداث الماضي، من مزاجية تلك الحقبة للبيئة بالتحويلات العميقة. أما المثقفون المسلمون في الشرق الذين تلقوا باللغة العربية، حسب مبادئ الإسلام، وتشربوا دينامية فكرته/ القوة، فإنهم لم يجدوا حلاً في حضارتها، هذه المنهجية من أجل مواطنهم للماضي، سوى تبسيط التاريخ بسبب غياب المنهجية.

لم يكن لدى كل المسلمين عند انطلاق دعوتهم خارج الجزيرة العربية سوى القرآن الكريم بفكرته/ القوة واللغة العربية. اللغة العربية الأدبية الخلاقة التي حلت محل أعظم لغتين في ذلك العصر هما اليونانية واللاتينية، واليونانية واللاتينية تحملان العلوم والفلسفة وسلطتهما، والعربية تحمل القرآن الكريم وفكرته/ القوة. يمكن نقل العلوم إلى لغة أخرى، ولكن يستحيل نقل الفكرة/ القوة. لأن نقلها يعنى الانحراف عن حضارتها، وهذا ما حصل فعلاً في مختلف المناطق التي انتشرت فيها الحضارة العربية الإسلامية.

كيف كان بإمكانهم أن يفسروا هذا الحدث العظيم، كتاب ولغة يحتاجان للعالم. أمر مستحيل. لم يجدوا حلاً سوى القوة. فتوحات عسكرية تبعها سيطرة الإسلام وحضارته.

ميزة هذا التفسير السطحي ينظر المؤرخ الإسباني، أنه أرضى النخبين مسبيين ومتتالفيين: المسيحيون رأوا في هذا التفسير حلاً لمعضلة ماضى مجمل، وحلاً لأمل مستقبل يحملهم به. اجتأوا بلادنا بالسلاح، وأعلمنا إلا تحريرها بالسلاح. أما المسلمون فقد وجدوا فيه حلاً لمعضلة ماضى عجزوا عن تفسير آليه تطوره، ولستقبل بدات بشارته لشعرهم بالحاجة إلى السلاح بعد أن بدات القوة/

للشقاء: ١



The Body and Social Theory

Second edition

• تقول الكنيسة: الجسد خطيئة
يقول العلم: الجسد آلة
تقول الإعلانات: الجسد مشروع تجاري
يقول الجسد: أنا مهرجان

ثقافة الجسد

■ تأسى قدر الاهتمام الأكاديمي بالجسد في السنوات الأخيرة، حيث برز علم اجتماع الجسد محالاً مستمراً للدراسة، وصدرت مجله جديدة عام ١٩٩٥ تسمى Body & Society. بل إنه اقترح وجوب أن يوظف الجسد مبدأ منظماً لعلم الاجتماع، في ضوء هذا الهدف، استحدثت برلين ترتر مصطلح «الاجتماع الجسدي»، ليصف كيف أن الجسد في الانظمة الاجتماعية الحديثة قد أصبح المجال الرئيس للنشاط السياسي والاجتماعي، (Turner, 1992: 12, 162).

طرا أيضاً تصاعد مكثف على اهتمام الجمهور بالاجسد. هكذا نجد أن الصحف والمجلات والتلفزيون تعج بمواد عن صورة الجسد يبدو فتياً، ومثيراً، وقاتلاً، في حين أصبحت ميزانية صناعنا (نقاص الوزن والحفاظ على الرشاقة تعد بملايين الدولارات، في المملكة المتحدة وحدها، تقدر قيمة تجارة اللياقة البدنية والسنواي الصحية بثمان مائة دولار سنوياً^١) من المهام أيضاً أن نلاحظ أن الاهتمام بالاجسد ليس أمراً جديداً، مثال ذلك أنه في أزمنة الحرب دأبت الحكومات على العناية بصحة مواطنيها ولتأقظهم الجسدية، على ذلك، فإن وضع الجسد ضمن الشكافة الجماهيرية المعاصرة إنما يعكس فردانية غير مسبوقة للجسد. لقد أصبح يتزايد عدد الناس الأكثر اهتماماً بصحة وشكل ومظهر أجسادهم بوصفها تعبيراً عن هوياتهم المرئية، وكما يلاحظ، بير بورديو (Bourdieu, 1984)، فإن هذه المظاهر تصبح بشكل خاص عند الطبقات الوسطى الحديثة، غير أنها تحاورت في السنوات الأخيرة هذه الحدود الضيقة.

الجسد في عصر الحداثة العالية

محتم على أية محاولة جادة لفهم هذا الاهتمام المتصاعد بالاجسد أن تتواءم مع الظروف التي شكلت سياق هذا التنازع، في هذا الخصوص، من المفيد أن نذكر بعض التطورات التي صاحبت ظهور الحداثة، وهي ظروف تعبرت بشكل متطرف في الحقيقة المعاصرة من الحداثة العالية. تشير الحداثة بوجه عام إلى التماثل وطعم الحياة الاجتماعية التي ظهرت في

صفحات من كتاب المؤلف بعنوان The Body and Social Theory.

تصدر ترجمته العربية قريباً عن دار العين للنشر - القاهرة
ترجمة منى البعير ونجيب الحمادى

أوريا ما بعد الإقطاع، والتي تصاعد تأثيرها على مستوى العالم في القرن العشرين يمكن على وجه التقريب فهم الحداثة على أنها «العالم الصناعي» رغم أنها تتكون من أبعاد مؤسساتية متعددة لكل منها مساراتها الخاصة (Giddens, 1990; Hall and Gieben, 1992). من ضمن آثار الحداثة الكثيرة إسهامها في إرضاع درجة تحكم الدول بوجه عام، والمثل الطبية بوجه خاص، في أجساد المواطنين، أيضاً، أفضت الحداثة إلى التقليل من نفوذ السلطات الدينية في تعريف ماهية الجسد وتثنيته (Turner, 1982). الحال أن علاقة الحداثة بالدين تأثرت مهمة على اهتمامنا المعاصر بالاجسد.

جادل منظرو الحداثة منذ زمن مديد بأن عهد الحداثة، وإن أسهم تدريجياً في سلب قدسية الحياة الاجتماعية، قد فشل في الاستعاضة عن اليقينيات الدينية ببينيات علمية من الطراز نفسه، ربما مكنتنا العلم من إحكام سيطرته على شؤون الحياة (رغم أنه الحق يشكل حاسم في هزيمة الموت)، لكنه فشل في طرح قيم توجبه حياتنا (Weber, 1919 - 1984). عوضاً عن ذلك، تمت خوصصة متنامية. لكن الحداثة، ما جعل عدداً يتزايد من الأفراد يواجهون بمفردهم مهمة تأسيس قيمهم والحفاظ عليها بغية إجابة معنى حياتهم اليومي.

استخدم أوتو شينجلز تعبير «الحداثة العالية»، لوصف التغييرات المتطرفة التي طرأت على التيارات الحديثة في القرن العشرين، في مواجهة نظريات ما بعد-حداثة بعضها، يقترح شينجلز أنه لا الحداثة ولا الدات تشكل اهتمامات سوسولوجية أثاركية (فوضوية)، تطل الاهتمامات الحداثية تشكل الحياة الاجتماعية، رغم أن مترسبات هذه الاهتمامات لم تتصاح بشكل كامل إلا الآن. في ضوء تفصح أطر دينية صورية شكلت وعززت في الغرب يقينيات وجودية وأنطولوجية تقيع خارج الفرد، وحسبان حضور الجسد المكثف في ثقافة المستهلك بوصفه حاملاً لقيمة رمزية، تمت نزوع عند الناس في حقبة الحداثة العالية نحو منتج قدر أكبر من الأهمية للجسد أداة لتشكيل الدات، لقد بدا في ذلك إيمانه بالسلطات البينية والسرديات السياسية الكبرى، ولم تعد تبنى المعنى المتجاوزة لتلصحن توفر له رؤية واضحة للعالم أو الهوية الذاتية، أن الجسد يؤمن أساماً صلباً لإعادة بناء معنى للعالم الحديث جديراً بالثقة الراش أنه يمكن اعتبار السبل المسرفة في تأمل الدات، التي تربط صرنا البشر بأجسادهم، إحدى علامات الحداثة العالية الفارقة. فضلاً على ذلك، فإن مناطق الجسد البرزخية أو

أصبحت ميزانية صناعة إنقاص الوزن والحفاظ على الرشاقة تعد بملايين الدولارات. في المملكة المتحدة وحدها، تقدر قيمة تجارة اللياقة البدنية والنوادي الصحية بمليار دولار سنويا



الحسد بوصفه مشروعا في القدر غير
السابق من الاهتمام الذي حظي به
التشكيل الشخصي لأجساد معافاة
(Schling, 2002a)، في وقت تزداد حدة
تعرض صحتنا لخاطر دغولية تحسنا
جهات على الاضطلاع بمسؤولية فردية
تداح أحيادنا عبر اتباع حميات رعاية-
دائية صارمة. هكذا تعرض امراض القلب
والسرطان وغيرها شكل متزايد على انها
أشياء يمكن للمرء تجنبها بتناول الأطعمة
الصحيحة، الإقلاع عن التدخين وممارسة
قهر كراف من الرياضة أيضا. تتطلب حمية
الرعاية، الدائية من الفرد تبني فكرة أن
المرض قد يتجنبه بمراقبة سلوكه
وتطوهره، كما يمكن تلاعبه وتغييره
عليه، بحيث يؤدي وطائعه كاملة، فيما
تكسر مثل هذه الحميات مفهوما للحسد
يرى فيه جزيرة آمان في معناه الذي تنهده
مخاطر جمة لا مناص منها (Beck, 1992)

لا تقتصر وظيفة حميات التخسيس،
على حمايتنا من الامراض، بل تقوم أيضا
جعلنا نسمع نكف، تبدو أحيادنا لنا
وللآخرين تدريجيا أصبحت الصحة أكثر
ارتباطا بالظهور وما اصطلاح «رؤخ حوامل»
(Goffman, 1996) على تسميته، تحول
الذات، يسهم عدد لا حصر له من الكتيبات
المساعدة للذات، الارشادات التحميل، ملا حق
الحميات، ولخطط التمرينات في قلبية تلك
الاحتياجات، بينما تتنافس السلع
الاستهلاكية على محاولة جعل أجساد
الناس تبدو جذابة وناشطة وقادرة على إثارة
متع حسية، وهي توفر برامج لتحسين
البشرة وتقوية العضلات بحيث تبهر
برسائل من الصمعة عبر جعل المرء يبدو
معافا وفي (Banner, 1983). الرهان أن
تأثير هذا المشروع الجسدي بالذات الأتم
حتى الذين يسرقون في التدخين وفي
شرب الخمر وفي تعاطي مخدرات أخرى
بالنكر في آثار سلوكهم هذا على صحتهم
وظهر أجسادهم، في سبيل دفع التوكيد
السياسي على، استعادة التنس،
والمسؤولية الصحية، والتوكيد
الاجتماعي على، الجسد العائلي، يدعو من
تسفيهه تلك العادات مثلا على الأعراف
الأخلاقية الجيد، على أن التأثير المائل
لها يستعصم ويرت كرافوسوره
(Crawford, 1987). ب، «الوعي القوي»
الجيد، ليس السبيل الوحيد الذي أصبح
الحسد، مشروعا يتم تشكيله وفق
هوية المرء الدائية.

مكنت التجارة الجميلية عددا
صغيرا، لكنه تعامل بسرعة مع الأفراد
من إعادة تشكيل أكثر تطرفا ومباشرة
لأجسادهم على نحو يسبق
مع مفهومهم للشفرة.



مزاعم قد تكون صحيحة، لكنها قابلة دائما
من حيث البعد للتعميل، وقد تنحلي عنها
كلية في وقت ما (Giddens, 1991: 3).
يؤثر هذا الموقف في مفهوم المرء الجاني
لهوية الدائية. مفهومه للذات كما تدرج
بطريقة تأملية عبر سيرة جسده الدائية
في الغروب اللغني، يعتبر الجسد توصيفا
كينا في حال صيرورة مشروعا يتوجب
العمل عليه والتجارب بوصفه جزءا من هوية
المرء الدائية. يسبقوننا إرجاع بداية
محاولات الفرد تشكيل جسده وقوليتيه إلى
المسيحية المبكرة بل حتى العهد القديم
(Brown, 1988; Foucault, 1988). بيد أن
المشاريع الجسدية تختلف من رفاة يمدت
في المجتمعات التقليدية من عكفا للجسد
البشري والنقش عليه وتعبيره، كونها تشمل
على تصور العكاسي ينشأ عن النماذج



في مشروع يصيب صميم الحياة الأسرية، يصبح إنجاب الأطفال بمقدور نساء لم يسبق لهن أن مارسن الجنس



فيسيل جراحة نقل الأعضاء والواقع
الافتراضي إنما تصاعدا في حدة هذه
الشكوك التي تساورنا حول الحسد. كونها
تهدد تقويض الحدود التي وجدت تقليديا
بين الأقسام وبين التقنية والجسد (Bell
and Kennedy, 2000). إلا أن لهذا الأمر
مترتبات واقعية، فكمما يفتح ترز، هي
مجتمع المستقبل، حيث تتباعد وتتشتت
عمليات زرع الأعضاء وفصلها، تصبح
الأجسام الافتراضية التي كانت تشغل
المعالمات التقليدية حول الهويات
والأجزاء مسائل تحظى بأهمية قانونية
وسياسية عظيمة. هل يمكن أن أكون
مسئولا عن أفعال جسدي لا يعد بشكل
أساسي جسدي، (Turner, 1992a: 37).
أيضا، تعد تلك التطورات زيادة حاد في
كتكتف ملكية الأجسام سبقت إثارته فيما
يتعلق بقضايا من قبيل الإحساس والأم
البديلة (Diprose, 1994).

المشاريع الجسدية

في زمن الشك هذا، لتسخن الفرية
بماهي الأجساد تدريجيا صيغة فروض،

سطوحه، هي التي ترمز إلى الدنيا في وقت
يحظى الحسد الحقن، التحليل، والمثير
جنسيا بقيمة غير مسبوقة.

الجسد المتحسس

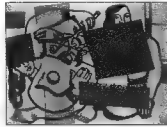
ليس في وسع هذه الملاحظات
الاستهلاكية سوى أن تحدد معالم عامة
للسياق الذي ظهر فيه الجسد قضية
اجتماعية وأكاديمية أساسية في الحمية
المعاصرة، على ذلك فإنه من ضمن كل
العوامل التي أسهمت في جعل الجسد
كينا مرئيا، بماحيطه لتطوّران يبدوان
مناقضين بجملة خاصة. لدينا الآن
السبل التي تمكن بدرجة غير مسبوقة من
التحكم في أحيادنا، غير أننا نعيش في
عصر التي يظلال شكوك قوية على درائتنا
بماهي الأجساد وكيفية التحكم فيها

نتيجة للتطورات التي طرأت في
مجالات تختلف باختلاف التناسل
البيولوجي، والهندسة الوراثية، والحرارة
تدريجيا ظاهرة بدائل وخيارات. لقد
أسهمت هذه التطورات في تنمية قدرات
تحتكمها كتيرون من على التحكم في
أجسادهم، وفي جعلهم عرضة لتحكم
آخرين. هذا لا يعني أننا سوف نمتلك
الموارد أو قدر الاهتمام الذي يمكننا من
إعادة بناء جسدية لأجسادنا. الحال أن
السبل التي يروم الناس التحكم عبرها في
أجسادهم تتخذ عادة أشكالا تقليدية، من
قبيل الحمية والحفاظ على اللياقة
البدنية. أيضا، من المرجح أن يكون
الاهتمام بالحمية الذي يبديه مديرو
الأعمال مختلفا كلية عن ذلك الذي يبديه
المشردون الذين لا مأوى لديهم يسبقون
عنده، على ذلك، فإننا نعيش في عصر
إعلامي تشيع فيه المعرفة بمثل هذه
التطورات، ومن المرجح أن الحرمان الذاتي
الذي يعانيه من تعوزهم المواد التي تمكن
التحكم في أجسادهم والعناية بها
سوف يتفاقم باستهلاكهم تلك المعرفة
بمساهلة. لم يعد الحسد يخضع للقيود
التي شكلت في عهد غير خصائصه، غير
أن هذا الوضع لم يقتصر على تشكيل
النساء من التحكم في أجسادهن، بل أثار
في نفوس الأفراد درجة عالية من التآمل
في ماهية الجسد، قدر ما أثار شكوكا حول
كيفية التحكم فيه. بقدر ما يشغل العلم
درجة التدخل في الجسد، بقدر ما يزعزع
ثقتنا فيما نعرف عنه، وتتجاوز قدرتنا على
إصدار أحكام أخلاقية حول المدي الذي
يتوجب عنده استناد للعلم بإعادة تشكيله.
الحال أننا لا نضمن أن التيسيط الذي
نجدل بأنه براءة درجة تحكمنا وقدرتنا

والأبوة والرجولة. شد الوجه، شملط الدهون وشبابا البصر، عمليات تجديد الألف والدقن، الجرد، بروتو في فائمة تطول للإجراءات والعمليات المتاحة للأغنياء الراغبين في إعادة تشكيل أجسادهم. منذ ستينيات القرن المصابت، أجريت في الولايات المتحدة أكثر من مليون عملية زرع ألداء لفساء رغبين في أجساد أكثر أبوة، وثمة عدد متزايد من الرجال تأسى بهى بحثا عن مظهر أكثر هشوة. عمليات تصحيح المظهر متوفرة أيضا للراغبين في أجساد رجولية أكثر اكتمالا. (Grant, 1992)

تثير الجراحة التجميلية بشكل حاد على نحو خاص مسألة ماهية الجسد، وعلى تمكين المرء من إخفاء شحمه ولحمه وعظمه. على هذا الإقصاء، تشير على صرحا للصحة والمخاطر محاللات عديدة خصوصا عن أناس أصبحوا غير إجراء عمليات متعددة ممسوسين بحسب تغيير مظهر أجسادهم وسدودها على نحو يتسق مع صورة مثالية للذات. ربما نلحظ على أفضل الأمثلة التي حظيت بتغطية إعلامية في المايح معنى البوب، مايكل جاكسون، على طرأت عليها تغييرات حاسمة.

أما بالنسبة لغير الراغبين أو غير القادرين على مواجهة مخاطر الجراحة، فثمة نشاط لزاد حدة وابعاد. كمال الأقسام، وهو نشاط كان يفضي على تحوم صناعة التماثيل الرومانية المنحرفة جنسيا. كمال الأجسام مثال توضيحي جيد على الجسد بوصفه مشروعا. لأن نوعية وحتى جسده حجم المصناعات الناجمين عن تلك العملية لتحديد مصاهيب بقلها بخصوص ما هو طبيعي نسبة لأجساد الذكور والإناث في وقت لدل الألات شكل مطرد بديلا للعمل اليدوي الذي كان يقوم به الرجال في المصانع، وتواصل المرأة بعدها دور الزوجة والأم الحدود، وقد عدها المجتمع لها، يبدون أن بناء وعرض أنصافه، تشكل غير طبيعي. أو محددة بدرجة عالية يكتسب الناس من الجهر بأحكام شخصية قوية تتعلق بمظاهرهم. (Fussell, 1991) وكما علفت أمراء في دراسة زورن لفساء هتتمثل كمال أجسادهم، عندما ينظر في المرأة إلى شخصها بدت لفساء، شخصا فارة مرة أولى الأبد عن الجود الذي الرمي المجتمع بالفتيات به لا يعد مهما بقدرى أن أقوم بما أريغب في القيام به، وإنتهى انشغري بالاعتزاز لقيامى به. (Rosen, 1983: 72).



استثمار الجسد للمرء وسيلة للتعبير عن النفس والشعور بالهبة وزيادة درجة التحكم في جسده. إذ شعر المرء أنه عاجز عن إحداث تأثير في مجتمعه تزاد درجة تركيزه، فإنه يستطيع على الأقل أن يحدث تأثيرا على حجم جسده وشكله ومظهره. قد يتم التحكم بخصوص هذه الفرضية في غياب معيار حاسم لتحديد الكيفية التي يتوجب وفقها معاملة الجسد. أو حتى لتحديد ماهيته، غير أنه لا يبرر التفاضل من مثاقب قد تنتشع بها الناس بسبب ظهور الجسد بوصفه مشروعا في المجتمع الحديث.

أيضا فإن لاستثمار الجسد حدوده. الحال أن الجهود التي يبذلها المرء على جسده ما لها أن تحقق. فالأجساد تصيب وتنشعب، واهمية الموت الحاسق تسوء مزعة بشكل خاص للفرد الحدائي الذي تشعله هوية ذاتية مؤسسة على الجسد. وفي نهاية المطاف، أي شيء أكثر إيهاء يشي بحدود انشغالنا بجسد حتى لا نلق صعبا. مثالي الرجولة أو الأنوثة، من حقيقة مرة صادها مصنف مشروعا ولحم يتزلزل، وموت مضمق؟

ثمة قيود تفرض على الجسد ليس فقط بمعنى أنه مفضى عليه أو يقضى عليه، بل أيضا بسبب مقاومته المستمرة لأن يتشكل وفق ميتشلتا. سيوسى أورياب (Orbach, 1988) وكيم شرنس (Chernin, 1983) كاتلين من ضمن عدة كتاب أشاروا إلى الصعوبات التي تواجهها في توصيل شكل الجسد عبر المجتمعات أيضا توضع أسس مارتزن (Martin, 1987) (كيف أن النساء غالبا ما يكتسمن أن أجسادهن قد غدت بطرق متعددة خارج نطاق السيطرة، فيما يستلزم أن محاولات تمثيل حجم وشكل الجسد محفوفة بالمخاطر (مثال ذلك، يشهد حدث متزايد على الأداة على المخاطر المرتبطة بالعمليات الجراحية والتجميل المتكررة). هذه مشكلة أخرى تتعلق بانحيازات الانحيازات للجسد تتعين على ثار هذا الانحياز المحتمل على إنسانا. يظل المرء على شكل جسده وزونه حين يكون في مقبيل العمر. وهناك استك تقيد بأن عمدا كيورا من الفتيات والفتيان من تتحارب أعصارهم التاسعة غير يراضى عن أجسادهم (Hall, 1992). لا غرو إذن أن انشغالنا المعاصر بالجسد قد ارتبط

Regulating Bodies (Turner, 1992a). إن تأثر علم الاجتماع الشبيد بالفرع البيكارياتي حاد به إلى تبني مويوت قديم في الفلسفة عبر قبول منوية العمل/الجسد التركيز على العقل بوصفه ممكن تقدر الإنسان كالنا اجتماعيا يهود هو التفسير قدرا لا يستهان به من القيمة، وهو يصف بدقة كيف نزع فلاح كبير من علم الاجتماع إلى علاقة الجسد بالعقل. غير أنه لا يفي حق مغاربات يعينها تنمائها علم الاجتماع في تناوله الجسدية موضوعا مستقلا ثمة قصور مهملة تعانى منه الرؤية التي تقدر أنه ناقصو، استعادة، الجسد بسهولة عبر إعادة النظر في (Williams and Bendelow, 1998). على أقل تقدير، ثمة حاجة إلى مدل جهود شافقة في الفصل والتطور قبل أن يستثنى لنا صياغة نظريات اجتماعية كلاسيكية شمولية في الجسد، في مقابل هاتين القارئتين، اقترح أن تحرى الدقة ليزرمان بوصف علم الاجتماع الكلاسيكي على أنه يعرض صغرية مزوجة للجسد. عوضا عن بكونه قد أغفل نهائيا، كمال الجسد الحاضر الخالف على علم الاجتماع. لقد كان بوصف غالبا على علم الاجتماع الكلاسيكي بمعنى أن هذا الفرع العرفي لافرا ما ركز بطريقة ثالثة على الجسد بوصفه مجالا نظرية للبحث. مثال ذلك، نادرا ما أخذ النظرية الاجتماعية لولوجية على حسبانها حقيقة أن لدينا أجسادا من لحم ودم يمكننا من تدفق ونشوق وليس وتبادل سوائل جسدية (Connell and Dowsett, 1992). على ذلك، فإن اشتغال علم الاجتماع الكلاسيكي ببني وقضايا الاجتماع وطبيعة الفعل البشري حتمت عليه التعامل مع جوانب مهمة من الجسدية البشرية.

تشكل متكرر، مثل اهتمام بدلا الاجتماع الكلاسيكي، الجسد مضمنا، على من أن يكون صريحا. فضلا عن ذلك، نزع إلى التركيز على جوانب مشتتة من الجسدية البشرية، مثال ذلك، ركر علم الاجتماع على فضائها من قبيل العمل والوعي دون ملاحظة أن هاتين القارئتين تفهمهما ذاتا جسدية. وكما جادل نوربرت إلياس (Elias, 1991) فإن قدرتنا المطلقة مألوفة والوعي متمسكة في الجسد، لا تأخذ الجسد في اعتبارها. بمعنى غاية في الأهمية، الشخص المعالج جسد هائل.

مارصاع مقلق في حدة الاصطرابات (Gorden, 1991; Grogan, 1999). بهذا المعنى يضع الجسد القويو بقدر ما يوفر التسهيلات إبان فترة حياته وليس فقط لأنه يموت. على ذلك، تسرى إشارة زادت برمان إلى علاقة الجسد بالموت بوصفه عام على انشغالنا بالجسد بوصفه مشروعا. وفق ما يجادل برمان، في حالة الموت وبعثه الرعاية، الدائنية، الانشغال الحدائي بالجسد، محاولة لتخطي حدود قيوده الخاصة التي تتم مواجهتها في الوقت الراهن. (Bauman, 1992a: 28). إن هذا التركيز البراجماتي محاولة لتأجيل مسائل وجودية تشغلنا تتعلق بنقد الجسد النهائي (الموت) والسبب التي يلزم لجعل الجسد مهما للهوية الدائنية، كما تتعلق بماعية الجسد. ثمة قيد آخر يرتبط بظهور الجسد بوصفه مشروعا يتعين في إمكان تسخير الصور الفردية للجسد المرغوب فيه في هذا الإصاحف اجتماعي راهن. في هذا الخصوص، تبدو الطريقة التي أصبح بها الجسد مشروعا عند بعض النساء الغرب إلى أن تكون انعكاسا لخصائص وتطلعات تكوينية منها أن تكون تغييرا عن الفردانية. مثال ذلك، قد نجادل بأن التمثيل وعرض الأزياء يشجع النساء على تغيير أجسادهن وفق تصور الذكور للجمال. وكما يلاحظ روبرت جرسر (Robert Gerber, 1992: 46)، لقد أصبحت المرأة فاحشة الخراء التي أجريت لها عمليات جراحة تجميلية نقطة مرجعية في المؤفة.

علم الاجتماع والجسد

لهذه الأسباب، ولأسباب أخرى، أصبح الجسد مسألة اجتماعية مهمة. غير أن الجسد لم يصبح مركزيا في الفكر الاجتماعي العام على أوروبا واستراليا إلا مؤخرا. بينما توجد عدة عارضة من الشرد في تناول هذا الموضوع في شمال أمريكا، نزع التفسيرات المعاصرة، توصول، الجسد المتأخر وغير المتكتم إلى عزوه إلى القارية الاجتماعية التي قنبها علم الاجتماع الكلاسيكي تعميديا في هذا الحال. يتبنى رريان ترز زمني، آخرون هذا الموقف في





حاولوا التغلب على المقاربة المزدوجة التي تساهم على الاجتماع تقليديا. مثال ذلك أن ارتفع جوهان فينستيل فوكو يصحاح الجسد على التوالي في قطب رحي على تحليلات نظام التفاعل، والأنساق البيئية. مارس هذان الكاتبان تأثيرا غايبا في القوة على التحليلات المعاصرة للجسد بوصفه ظاهرة مشكلة اجتماعيا. ولكن، عوضا عن التغلب بشكل كامل على أوجه قصور علم الاجتماع الكلاسيكي، يمكن اعتبار أن كثيرا من أعمالهما إعادة النشاز في صورة مقاربة للمقاربة المزدوجة التي نزع علم الاجتماع إلى تبنيها في موضوعه الجسد.



ماركسيا بالطبيعة الاجتماعية والتكاثر الاجتماعي واهتمام دوركايم بالوظائف الاجتماعية والمعرفية التي تقوم بها التمثلات الجماعية، والتصنيفات البدائية، وتركيز فيرير على أساليب الحياة الخاصة ومعاميل الشرف والعار التي تمهم في تحديد الربط الاجتماعية (Brubaker, 1985; Shilling, 1992). يستبان أن دفع تهيئة مقاربة لاجسدية كلية عن علم الاجتماع الكلاسيكي لا تكتفي بحال التصديق على طريقة في تناول موضوعه الجسد. في هذا الخصوص، من المهم أن نشكر بعض منظرين علم الاجتماع الأحدث عهدا الذين

فيرير (Weber, 1985 [1904-05], 1948) [1915] تبنى اهتماما بعقلنة الجسد، والملائج، التي يوفرها الفن والحب والشهوة الجنسية، وهو يعتبر إميل دوركايم (Durkheim, 1995 [1912]) الجسد مصدر وموضع تلك الظواهر البدنية التي أسهمت في تماسك الأفراد في كليات أخلاقيات الواقع أن حضور الجسد الصمعي في علم الاجتماع إنما نوضحه حقيقة أن كثيرا من الأعمال الرائجة في الجسد استطاعت أن تتركب بشكل منفتح إلى تركبة علم الاجتماع الكلاسيكي. أعمال بيير بورديو في الجسد، على سبيل المثال، إنما تطوّر ادخالا

على ذلك، في حين لم يتعامل علم الاجتماع الكلاسيكي نظريّة ملازمة مع كل مقاربات الجسدية البشرية، فإن هذا لا يبرر الحكم بأن علم الاجتماع تبني مقاربة لاجسدية كلية في تناول موضوعه. مثال ذلك، حتى كارل ماركس (Marx, 1954 [1887]) بمسألة استيعاب الجسد في التقنية الرأسمالية. أيضا كتب جورج سيمل (Simmel, 1950 [1907], 1990) عن اليول الحسدية التي تدفع الناس نحو بعضهم البعض، والوظائف الاجتماعية التي أسهمت في العلاقات الاجتماعية، كما تقصص آثار اقتصاد المال الصارة على تلك الوظائف. أعمال ماكس

أبعاد الجسد

دون أن نتنزل، إلى أصول هيرانية مرفوعة. هناك أيضا مستوى آخر أكثر عينية. لكه يظل يعقظ بقدر كاف من التجريد، يتبين في رد دمعت تفسيرية تكيفية يبعثها إلى سطح تفسير ألكر.

لرد البيولوجي في الطعنة الجسدية إلى الاجتماعي، ورد الاجتماعي فيها إلى البيولوجي. وهو يوجه تهمة الاختزال إلى تلك المحاولات، مؤكدا وجود علاقة ثابتة بين الجاهلين، ومحاذاة تبنيها كيم أن الجسد ظاهرة بيولوجية واجتماعية في آن. المقاربات اللطيفية لا ترى في الجسد إلا إبعاد البيولوجية. وهي تبني استعداده مستمرا لتفسير كل ظاهرة اجتماعية بالركون إلى تلك الأبعاد. أما المقاربات السوسيوبيولوجية فتحتل البيولوجي إلى الاجتماعي، حيث يتنزل الأخير عندها مرتبة محرك الأول.

وكما يقر مؤلف الكتاب، إذا كان جراح شطط المقاربات الطائفية للصعد التي تحتل الاجتماعي إلى البيولوجي يظل في حاجة إلى كبح، فإن النزعات التي تستبان في كثير من المقاربات الثقافية، والتقنية، والموسولوجية للصعد، وتروم اختزال البيولوجي إلى السوسيوبيولوجي، ليست أقل حاجة إليه.

تجمع المقاربات التي يتكرها المؤلف على أن الجسد ليس مهما إلا بقدر ما يقص عليه بأن يكون كذلك من قبل عوامل خارجية عنه. أكانت بيولوجية أم سوسيوبيولوجية. ليس لدى أشباح مثل هذه المقاربات إحساس بالجسد جريا مكملا للعاملية البشرية، ولتمة نزوع عندهم نفع تبنى رؤى اختراقية في الجسد. تنفق في فهم أهمية الجسدية البشرية لتشكل الأنظمة الاجتماعية. بعد أن خلط رؤية الجسد ظاهرة بيولوجية قبل اجتماعية لا يقل ضررا عن خلط اعتباره كيونة اجتماعية بعد - بيولوجية.

هذا الكتاب محاولة لاستعادة الجسد كيانا غائلا في المجتمع. تجمع في التعاضف عن العوامل الاجتماعية التي تسهم في تشكله. إنه يؤول نظرية اجتماعية تبين واحد من أهم استحقاقات الأسلية في دراسة ميكانيك الفلسفة والتاريخ وعلم النفس والأنثروبولوجيا. المقاربة التي يطرحها اعتمدت بالحدس الماهل. الجسد اللبني والشموع. الجسد الذي يباع ويشترى رقيقا أبيض وأسود، الذي لا يفرق بكرامته وقديسيتها إلا حين تلفظ روحه أنفاسها. هذا الاجتماع التطبيقي الذي يركن إليه البعض تنكيا لأبعاد التطوير، وإن ظل مهما، إنما يتعامل على رؤى الاختراقية والتهمير الحقيقى الذي يستهزئه، ولتمة نزوع اجتماعية لا يرى يمل هذه الرؤى. ولأن ثقافتنا العربية المعاصرة لا تكتف تولي أي اهتمام كاف بالتأثير السوسيوبيولوجي، وقد تغلبت عليها أفكار كثير من التأويلات. فإننا نعتبر ترجمة هذا الكتاب إلى العربية أقرب إلى الواجب الملقب على تركه منها إلى المنافع المثالية على فنها.

إن مصلح في محتويات هذا الكتاب، مؤلفه يعمل عنا هذا القبع في قصه الأول. بيد أن هناك قصيدة لادرواد جوليانو تكاد تلخص التوجه العام الذي يكرسه هذا الكتاب، وتبين تعددية أبعاد الطعنة السعيدة.

تقول الكتيبة: الجسد حطينة

يقول العلم: الجسد آلة

يقول الاعلانات: الجسد مشروع تجاري

يقول الحسد: أنا مهرجان

لتطهير الذي يحمل حمل الجند حشدا هائلا من المواضف إنما يترك الفهم، عوصا عن المتكهن منه. كذلك أن الإيمان في التفاصيل يورث الشواش. ويوجب من لم الحاجة إلى هدوء. ولأن العلم لا يمكن إلا برد الأكثر إلى الأقل كثرة، ولأنه غايب كل تطهير وميعار سلامته. من مائل كل منظر يتش عمله أن يتخاصم عن عرص سمع. الحقائق: وفق هذا، لمة حلز أن يتهاد أن عملية تطهير الهدر. الإبقاء على ما حقه الهدر. والأختزال. هنر ما حقه البقاء.

من كان لفكرة الإنسان على فهم العالم من حوله أن تتماهى لو أنه أهدر أكثر ما يتوجب هنر من تفاصيل. وما كان له أن يعرض قداما في فهم العالم لو أنه أبقي عليها. فما تاريخ الجسد الإنساني إلا محاولة مستمرة لوصد الثابت في المتحول. والاختباء بالجوهرى على حساب العارض.

يمكن معايرة النظرية بتحديد - التصنيفات الوافى - التي تحقق في تفسيرها. إذا عبرت مقاربة سوسيوبيولوجية في الجسد عن تفسير الأهمية التاريخية التي يعطى بها في الأنظمة الاجتماعية، أو فسلط في تبيان ماذا أصبح الجسد يشغل إلى هذا الحد الكثير من أوضاع الحداثة، فإن هذا إنما يثبت عزيمته ويشي منهدها من التفاصيل ما حقه الإبقاء.

أقترن توحيد تاريخ العصر، هذا الحلم الإنساني الذي أراد الله لأمر أن يتحقق، بمعاملات احتزالية. ففهم العشق الكبري تنهت بتقلصها. إلى تركيات هيرلة طابع المجتمع الحديث يميز هذه اللعنة. وهكذا تتلصص حياة الإنسان إلى وطيرته الاجتماعية. وتاريخ الشعوب، إلى عدد من الأعداد. تتلصص بدورها إلى تفسير متفرع، فيما تعذر الحياة الاجتماعية بأسرها إلى صراع سياسي. وهذا الأخير إلى مواجهة بين قطبين (كوكروني).

تتأخر الأنظمة الشمولية احتزالا مفهوما وجسديا للزعية في شخصية المستند. بحيث يصيب الحناك رمزا أرحم الوطى. ويتنكل مصاصب كل رأى منأوى فيما تعذر السرعات المعرفية الجنس البشرى إلى عرق دون سواء، وتتهلك الشمولية الكوكروية حقوق الأبحاث، وتكرس النزعات الدوجماطية فيها بعيمه العالم تنكر كل ما عداه.

هكذا يصادر بعض المتكبرين على أيديولوجيات ومفاهيم تنكر صريحا بعينها في فهم الوعى وهي تحديد معترضا. وتوجه بعض التيارات السياسية تهم عروى أو ريفه دون من تهمة إقحامهم الأيديولوجية بالظنور. دون تبرير الوعى عن الفاعل التي يقوم من التمكن من فهم العالم واستيعاب القضايا التي تشغل الأفراد. عمن اختارته في سرديّة كبرى. وقد يبلغ الاختزال درجة الملهامة بين الوعى الحقيقي واتصال مواقف دون سواها. لكن هذه ليست سوى أمثلة أخرى على حظر فعل الاختزال

لغة مستويات متعددة تتم عبرها عمليات الرد، تدرج في رتها من حيث قدر تجريدها، كما تنفق في إجماعها على تحديد القواسم المشتركة فيما يلعب من نواظر ومحاولة لتوطيق كل القواسم في إيجاز علمي الفهم. إلى قدر مستويات الرد، تجرير، تدفق، معارج تقليدية لعملية رد الواقع بأسره إلى حد أدنى من الجواهر. من أشهر هذه المتنازع النزمة العربية التي ترجع كل ما ليس بمادى إلى أصول مادية، ولغائية. التي ترجع كل مادى إلى أصول غير مادية، ولغائية. التي تتر وجود القول بوصفه جواهر ذهنية تتشكل موضوعة خارج المجال المادى وعبر قابلة للرد إليه.

على مستوى أقل تجريده، لمة دعوة إلى وحدة العلوم تتر أن مائل كل العلوم أن تتر،

٥٢ ملاحظات بصرية

السوفيتية وبدأت في تقييمها للاستخراج الاقتصادي بعد ذلك التاريخ وحتى عام ١٩٧٢.

وقد تذكرت عند قراءة هذا الخبر ما كنت قد كتبتة عن هذا الاكتشاف الذي تم وقت أن كنت رئيساً لهيئة المساحة الجيولوجية والمشروعات التعدينية والطريقة التي تم بها. أعيد نشره كما جاء في الكتيب الذي أصدرته الهيئة في سنة ١٩٧١ لأقدم به لنتائج الأعمال التي قامت بها الهيئة لتقييم هذا الخام منذ اكتشافه وحتى صدور الكتيب. وكنت قد طلبت من المرحوم الدكتور عاطف ثابت مدير مشروع التقييم أن يعد الكتيب لمعرض فيه للأعمال التي قامت بها فرق البحث الحقلية بالصحرَاء التي كانت تحت إشرافه، وكذلك تلك التي قامت بها فرق البحث العلمي بالقاهرة.

قصة «التنقالوم» في مصر

الوقت الحاضر: إذ إن النتائج الأولى قد ثبتت احتياطياً كبيراً من خام قد لا تؤدي دراسته الاقتصادية إلى ما يضيف كثيراً إلى احتياطي الثروة المصرية وإن سمح لنا بتغيير البرنامج المقترح في العقد المذكور إلى برنامج آخر تعلق فيه طرق الاستكشاف التمهيدية الحديثة والمركبة على بعض مناطق الصحراء التي تبدو وكأن بها علامات تعدين مأمولة. وقد قل السيد الوزير اقتراحاً هذا.

وهي مايو ١٩٦٩ سافرت على رأس وفد من أعضاء المساحة الجيولوجية لمناقشة الجانب الروسي في موضوع عقد الخبرة المشار إليه وتم توقيع العقد وفيه تحديد لبعض المناطق المأمولة لبدء العمل فيها بطرق الاستكشاف المعقدة هذه وقد كان اختيار هذه المناطق أمراً تعسفاً، مسئولية بالكامل لأن السلسلة الطبيعية والواجبة الاتباع في مثل هذه الأعمال هي ألا يتم الاستكشاف التمهيدية لأي منطقة في إقليم ما إلا بعد أن تتم الدراسات الأساسية العامة وترفع خرائط الإقليم الجيولوجية والجيوفيزيكية الجوفية ثم يحدد في ضوء هذه المعلومات الأساسية المناطق المأمولة والحدود المساحة لإجراء عمليات الاستكشاف التمهيدية العالي النقة والباهظ التكاليف عليها، ألا نغتر أن مثل هذه السلسلة الطبيعية الأعمال ستؤخر البحث العلمي المنظم من المعدادن طويلة، خاصة أن رفع

حجم العمليات المذكورة بهذا الكتيب، كما يمثل هذا الكشف فتحاً لآفاق جديدة لإمكانات التعدين بمصر، فهذه هي المرة الأولى التي تغطي فيها صخور القاعدة المصرية معادن فلزية ذات قيمة اقتصادية في تاريخ مصر الحديث. وإلى أعنفق أن تاريخ هذا الاكتشاف العظيم وتجربة العمل المتكامل التي أدى إليها لتحتاج إلى تسجيل، فهي صميم ١٩٦٨ وعقب أن توليت رئاسة مؤسسة التعدين كان عقد الخبرة السوفيتية المبرم مع المؤسسة على شكل الانتهاء مما دعا الجانب السوفيتي إلى أن يقدم للسيد وزير الصناعة اقتراحاً بتوقيع عقد جديد لاستكمال الكشف التمهيدية بالبلاد يتخصص عرضاً بالمعاونة في طرق الخريطة الجيولوجية المصرية التي كانت تفتقر الخبراء في أي بحث علمي منظم من معادن مصر. وكذلك على عرض باستكمال أبحاث فوسفات وادي النيل التي كان يعمل في الجزء الأكبر من ذلك انتهى بالعقد السابق مع الخبرة السوفيتية.

ولا قامت بمراسة هذا الاقتراح وأبقت أن العرض بالرغم من وجاهته لا يمثل ما كنت أتساءل من حيث بناء جهاز لكتشاف الجيولوجية للصحرَاء لا يتماشى والعصر، ولذلك اقترحت على السيد وزير الصناعة أن يترك لي ولزملائي من الخبراء الوطنيين عملية بناء الخريطة الجيولوجية وأن يؤجل النظر في استكمال دراسة فوسفات وادي النيل في

جاء في الأخبار أن شركة «تنقالوم مصر» التي كانت قد كونت في شهر ديسمبر سنة ٢٠٠٢ طبقاً لقانون الاستثمار رقم ٨ لسنة ١٩٩٧ منافسة بين شركة جيسلاند الأسترالية للتعدين وهيئة المساحة الجيولوجية والمشروعات التعدينية المصرية ستبدأ في نشاطها التعدين لاستخراج معدن التنقالوم وعدد من المعادن الأخرى المصاحبة من جبل أبو دياب والنويبع بسلسلة جبال الصحراء الشرقية المطلة على ساحل البحر الأحمر إلى الشمال من مدينة مرسى علم.

ويجوز هذا بعد أن انتهت شركة جيسلاند المنفذة للأعمال دراسة جدوى استخراج هذه المعادن التي كانت هيئة المساحة الجيولوجية والمشروعات التعدينية قد اكتشفتها في سنة ١٩٦٨ بالاشتراك مع الخبرة

البحر المتوسط. حيث وصف هذا الكتيب الذي أعده الدكتور عاطف ثابت على نتائج تقييم المرحلة الأولى لعمليات الاستكشاف التمهيدية على بعض مناطق الصحراء الشرقية حول منطقة المحلة والتي أدت (إلى كشف كبير عن خامات المعادن النادرة كالنتالوم والنيوبيوم والليثيوم والبريليوم وبعض الخامات المعدنية الأخرى المصاحبة كالفصدير والفلوريت وغير ذلك، وعندما تم المرحلة الثانية المقترحة للانتهاء من تنفيذها نهاية عام ١٩٧٣ فإن أغلب الظن أن مصر ستكون قد وصفت يدنيا على ثروة كبيرة من هذه المعادن التي يبدو أن بعضها منها يمثل جزءاً كبيراً من احتياطي هذه الخامات في العالم.



وعتبر هذا الكشف الكبير هريدا من عدة أوجه فقد جاء أولاً نتيجة جهد علمي منظم ومركب يطبق لأول مرة في عمليات الاستكشاف التمهيدية بمصر بأحد الطرق الحقلية والصلبية كما يمثل من الوجهة الأخرى نتيجة عمل فرق متكاملة ينظم فيها مختلف الإحصائيين لكي يعملوا في تنسيق كامل يماجون فيها عدة مئات الآلاف من القياسات والتحليل التي تتناولها الأيدي لعدة عزرات كما هو واضح من

بدأ مشروع استكشاف التنقالوم في سنة ١٩٦٩ وانتهى في أبريل سنة ١٩٧٢ وتكون من أربع معائنات حقلية قامت برفع الخرائط وفق الأبار (بمجموع ٤٤٣٣ مترًا طولياً) وحضر الأنفاق بإداخل الجبلين (بطول ١٧١٤ مترًا) والحدائق (بحجم ٧٠٠ متر مكعب) وجمعت أكثر من ٥٠٠٠ عينة كتشلية واسطوائية ومتالوجيئية تم تحليلها معديا وكيميائيا وطبعيا كما تم القيام بمسح جيوفيزيقي شمل قياسات جاذبية أرضية ومغناطيسية وكهربية وإشعاعية.

وعندما كنا نقوم بهذه الأعمال كان الامل يحدونا لكي يبين هيئة علمية متقدمة للبحث العلمي المنظم عن المعادن في مصر قادرة ليس فقط على استكشاف ثرواتها المعدنية، بل وتنميتها واستخدامها لصالح مصر ودون الحاجة لمشاركة أحد.. واليوم وبعد قراءة أربعين سنة على كتابة هذا التقديم الذي أنشروه بحدايره فيما يلي فقد تبدو الحال حتى أصبحت مصر نلا هيئة للمساحة الجيولوجية، فقد العيت كلية بقرار افترد بإصداره وزير لم يستشر أحداً من

اكتشاف خامات المعادن النادرة بالصحرَاء الشرقية يوليو سنة ١٩٧٢ القاهرة. الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

الخرائط الجيوفيزيائية الجوية التي تم تنظيم القيام بها بين بنود العقد الجديد المقترح متأخر كثيراً في ضوء ظروف الحرب التي تخوضها البلاد. كما أن عملية رفع الخرائط الجيولوجية الكاملة للجمهورية هي عملية طويلة المدى. وقد شعرت أن معرفتي بجيولوجية البلاد التي بنيتها في تصور ذهني قائم على المعلومات المتفرقة المعروفة عنها فيه ما يكفي للسند في تنفيذ عمليات الاستكشاف التعديني للعقدة على بعض المناطق التي تخيلت أنها ولابد معطية بعض الآمال. كما رسمت بالإضافة إلى ذلك خطة المساحة الجيولوجية على أساس استمرار العمل في موازاة التقدم بالأمال الأساسية اللازمة، فضمنت العقد بنوداً للتصوير الجوي لأجزاء كبيرة من سطح مصر التي لم تكن قد صورت جواً حتى ذلك التاريخ، وكذلك بنوداً للمسح الجيوفيزيائي الجوي لأجزاء من صحور القاعدة المصرية كما فمت بوضع برنامج لرفع الخرائط الجيولوجية الإقليمية لمصر

١٩٦٩

وفي نهاية عام ١٩٦٩ بدأ العمل في المناطق المختارة بالطرق الحديثة والمعقدة للاستكشاف التعديني، ولم يكن العمل يمثل هذه الطرق سهلاً في مصر، فالتجربة جديدة ونحتاج لتجاربها التي فرق متكاملة يناول العاملون فيها معارفهم الواحد للآخر في نظام وراثية متينين، وهذا طريق جديد تماماً لعالم تعمه الفردية المطلقة حتى إن أكثر نتائج الأعمال التي تمت بالهيئة لم تكن محفوظة لديها، بالإضافة إلى ذلك فإن التجربة تحتاج إلى خبرات جديدة لم تكن في متناولنا، فالجيولوجيون ذوو الخبرة تدرجوا على فروق أخرى من العلم وفي ظل نظام فردي مطلق، والجيولوجيون الجدد خارجون من الجامعة على مستوى متواضع جداً من العلم والمعرفة العامة. كما أن عمليات البحث هذه تحتاج إلى أدوات معملية متقدمة لم تكن لدينا أو إن كانت فقد رقت للاستفادة منها في أحجام صغيرة لا تتناسب أبداً وحجم العمل المنتظر، فقسم المعادن مثلاً لم يكن يعالج أكثر من خمسين عينة في الشهر، وكذلك الحال بقسم التحليل الطيفي، كما أن المعامل الكيميائية كانت تعمل في



«النيوبيوم»..

في أثناء عمليات المسح الجيولوجي لمنطقة وسط الصحراء الشرقية بواسطة فريق مشترك بين المساحة الجيولوجية المصرية ومجموعة الخبراء السوفيت عام ١٩٧٠، اكتشف وجود نوع فريد من الصخر اسمه Apo Granite يتميز بلونه الأبيض وبلوراته السكرية المظهر وسط صخور داكنة ويشعل مساحة لا تزيد على ٢٠٠ كم^٢، عند إجراء عمليات التحليل الطيفي Spectral Analysis لهذه الصخور اكتشف وجود معدن النيوبيوم ومعدن التنتالوم بنسب بلغت ٠,٨٪ وهي نسبة عالية نسبياً. في هذا الوقت كان السوفيت يهتمون بمعادن العناصر الأرضية النادرة في بلادهم لاستخدامها في الصناعة الإلكترونية والمعادن التي تصلح في أبحاث الفضاء. ومن هنا كان الاهتمام المصري بوجود هذين المعدنين.

اسمرت الدراسات البتروجرافية والمعدنية عن أن الصخر الذي يحتوي على هذين المعدنين المهمين مكون من معادن المسبار الأبيض (الأناسيت والبايوكلايز) وهي خامات أساسية في صناعة السيراميك مع نسبة عالية من معدن الكاسيتريت (كبريتيد القصدير) الذي ينتج منه القصدير. ولهذا الغرض تم حفر حفرة أفقية طوله ٢٠٠ متر يخترق جسم الخام وتم جمع عينات منه أوصلت إلى التتاليم الأولية التي أعلنت في حينه.

في ذلك الحين عام ١٩٧٠ أصدر الدكتور رشدي سعيد، رئيس الهيئة في ذلك الوقت كتاباً باللغة العربية شارحاً فيه أهمية هذا الكشف الجديد ومستقبله وأنه يمثل أكبر احتماليات لخام من هذا النوع ربما على مستوى العالم، إلا أن خروج السوفيت من مصر عام ١٩٧٢ ودخول البلاد في حرب أكتوبر ١٩٧٣ وترك الدكتور رشدي سعيد انتصبة بعد ذلك أدى إلى توقف كافة الجهود للسير في تنمية هذا الكشف، وبمجرد خروجه من مصر وخاصة أنه لم يكن لديه المساحة الجيولوجية في ذلك الوقت وحتى عام ١٩٨٤ لم يساهم واضحة للإقامة مشروعات مشتركة مع جهات خارجية متخصصة. في عام ١٩٩٢ عرضت الحكومة الإيطالية من خلال سراجم التعاون الدولي بها تقديم منحة تقديرية خاصة على وزير لإجراء استكشاف تفصيلي شمل: إجراء عمليات حفر من داخل النفق الممتد إلى عمقه ١٠٠٠٠ م، إلى أعلى النفق وأسفل النفق ثم على مسافات محددة إلى يمين ويسار النفق حتى نهاية تلك مغفر في بحث حقل مشترك بين جيولوجي الهيئة وجيولوجيين إيطاليين.

وعلى أثر هذه العمليات الحقلية تم جمع عينة تكنولوجية مركبة أرسلت إلى معامل شركة جيومونيتورج الإيطالية بجنوب إيطاليا لإجراء عمليات تركيز وفصل لعادن النيوبيوم والتنتالوم والقصدير. وقد تم على النطاق العملي فصل هذه المعادن بدرجة نقاء عالية وقدم عن ذلك تقرير تفصيلي مودع في وثائق هيئة المساحة الجيولوجية منذ ذلك التاريخ.

خلصت نتائج هذه الدراسة إلى ما يلي بافتراض إنتاج ٢٠٠ ألف فدان من الصخر الحاوي على هذه المعادن سنوياً،

١. إنتاج ٢٠٠ طنًا من معدن النيوبيوم ومثلها من معدن التنتالوم.
٢. إنتاج ١٨٠ طنًا من القصدير النقي (مصر تستورد قصديرًا بـ ٢٥٠ طنًا سنوياً).

أما بالنسبة للصخر الحاوي على هذه الخامات النادرة فقد أثبتت الدراسة العملية أنه من كمية ٢٠٠ ألف طن المشار إليها عليه يمكن الحصول على:

١. ١٠ ألف طن من الفسلبار عالي الجودة Ceram grade لصناعة السيراميك والحرق الصيني.
٢. ٢٠ ألف طن من الكواتز. السيلكا النقية، التي تصلح للإزجاج المتبادل. بعد تقديم هذا التقرير المتامل سمحت هيئة المساحة الجيولوجية عن طريق التعاون الدولي الإيطالي للحصول على منحة قدرها ١٠ ملايين دولار للإقامة مشروع رائد Pilot لتحقيق الاقتصاد في التناقل سائلة الذكر، إلا أن هيئة المساحة الجيولوجية لم تترك من الحصول على هذه المنحة، حيث تم تكرر أسعار النيوبيوم والتنتالوم وقد ارتفعت في السوق العالمية إلى ما هي عليه الآن وتوقف المشروع منذ عام ١٩٩٣ م.

في عام ٢٠٠٤ ما تكون ما يسمى (شركة الثروات المعدنية) تابعة لهيئة المساحة الجيولوجية تقدمت شركة جيسلاند للحصول على حق استغلال هذه المنطقة وأعلن عن قيام شركة مشتركة وفقاً لتقانون الاستثمار بين شركة الثروات المعدنية وهيئة الشركة المعدنية وليس من القانون ٨٦ لسنة ١٩٥٦ الخاص بالنامج والحاجر

معامل مناجم،

عمر عرابي كزار
خلف الله العشاء
ومن الناحية الأخرى بدأنا نبني معامل جديدة بالقاهرة تستطيع ان تحايه سيل العينات القادمة من الحقل. ولم يكن ذلك سهلاً فإيجاد المكان الحديد لتكسير وطحن وإعداد هذه العينات ثم معالجتها بالصلب ثم شراء أجهزة المعامل الجديدة وإصلاح ما تعمل منها وتعميم الفنيين المطلوبين لهذه العمليات وتدريبهم لم يتم إلا بشف الأنفس، ولكننا استطعنا في أقل من عام واحد أن نقلل معاملتنا من معامل متواضعة لا تتعالج إلا أنفاً واحداً من العينات التي معامل تتعالج عشرات الآلاف من العينات، وعلى سبيل المثال فقد تم خلال عام ١٩٧٠/٧٠ معالجة ٢١٢٩٩ عينة بالتحليل الطيفي لعبد ٢٤٨٦١ عنصرًا، وعدد ٥٢٤٠ عينة للتحليل المعدني بعدد ٣٢٨٩١ عنصرًا زيادة تزيد على عشرة أضعاف ما درجنا عليه في العام الذي سبقه فقط.



وفي يونيو ١٩٧١ كانت نتائج المحصول والتحليل العملي لعينات الحقل قد بدأت تأتي في كمية كافية لتبين أن إحدى المناطق التي اخترناها للقيام بأعمال الاستكشاف المعدني عليها تحتوي كمثاً اقتصادياً كبيراً من بعض المعادن النادرة التي يمكن بحق تسميتها معادن المستقبل، ليس هذا فقط، بل إن هذه المعادن موجودة بكميات تبشر بالإمكانات الهائلة مستقبل باهر في ميدان استغلالها، ولعلنا لا نبالغ هنا عندما نقول أن مصر توشك بهذا

العمل أن تصعد بها على شروء عظيمه لن يقل أثرها على مستقبلها عن أثر البترول في إمارات الخليج أو الكويت، فقاملة المعادن المكتشفة من النشرة والأهمية والقيمة الاستراتيجية ما لا يحثا إلى بيان

وإذا كان لهذه القصة من مغزى فهي أرض مصر بالرغم من قدمها وكثرة مرور الغامرين عليها ما عراها تحيرة تكاد تكون ثامة من كل شروء معدنية سهلة الاستخراج على سطحها، لازالت بكراً أمام إنجازات العلم الحديث وكفاءة النسان التكنولوجية وفكره الخلاق،

حطوط تقليدية تختلف كل الاختلاف عما ينتظرها وهي تتعالج تحاليل المعنارات وبغيرها من المعادن التي لم تدخل أبداً في فكرتها، وبدا العمل في أوله عسيراً لدرجة مزعجة، إلا أن التعاون الصادق الذي رأيته من الجانب السوفيتي وتحت القيادة الرشيدة لدكتور عاطف ثابت الذي أخذ على عاتقه مسئولية القيام بهذه الأبحاث حدث معظم هذه المشاكل وبدا العمل ينتظم في شهور وانتقلت بذلك المساحة الجيولوجية المصرية إلى جهاز متقدم للبحث الجيولوجي في طرف أقل من سنة واحدة

بداية العمل بمجموعة من الحينولوجيين والكيمساليين والجيوفيزيقيين المبتدئين اخترناهم في امتحان شفاى من بين مائة متقدم للإعلان عن وظائف ليس من بينهم أفضلهم علماً، ولكن من بين أفضلهم حباً للصخر، وتطلعا للعمل المنظم في طريق متكاملا لا يمر كل واحد فيه العمل الملوك البية على وجه التحديد فقط، بل ومكانته وسلسلة قيادته وطريقة تسجيل موارفه ومناواته عيناته، وعلى مدى اشهور الأولى وفي ظل هذا الجو المنظم وبكارة روح الفريق استطعنا أن نقلل أخطاءنا الجدد في أقل من عام واحد ليس فقط إلى شباب يتقنون أعمالهم التي بداواهم في أولى مجموع طبع من العاملين في فريق. وفيما يلي أسماء من تميزوا من هؤلاء

إخصاليون:
دكتور حس الحكيم
جيوغرافى ولیم كامل عوض
جيوغرافى محمد احمد شعبان
جيوولوجى محمد احمد الیدوی
جيوولوجى سعد عوض
جيوولوجى جبريال اسعد جبريال
جيوولوجى عبدالله عبدالنبی
مهندس بدیع مرخان
مهندس محمد عبدالعطف
جيوولوجى ابراهيم ابو لبلل
جيوولوجى ابراهيم حلف
جيوولوجى عادل رخاوى
جيوولوجى سيد شفيق غزار

كتبسة،
سيد سلم
حميد ابو لعل
مسافقون،
سيد محمد على
عمر احمد حامد
حسن دهب

كتاب الزوايسة



قصة التفريخ الثقافي

محمود محمد شاكر

إن جيلنا، جيل المدارس المفرغ، كان في خلال ذلك قد كبر، وانفلق عن فريقين: فريق قائم بما توجد به عليه أقلام الأساتذة الكبار من «تلخيص» وتجديد، وهو لا يزال إليهم مطعماً، وبهم متعلقاً، ثم لا يزيد، وفريق يسر الله له السبيل إلى معرفة المنبع، فرأى نفسه قادراً على أن يفترب من حيث اغترف أساتذته. لقد اطلع على أصول ما كانوا يلخصونه، وما كانوا «يجددون» من كتباً بلغته أو بلغاته على الأصح، وأحس أيضاً أن «الأصل» الذي يقرؤه بلغته، مضيء، حي، مكثف، عميق الدلالة، وأن تلخيص الأساتذة وتجديدهم كاب لونه خادمة حياته، متغلغل، قريب المتناول.

ومع هذا الذي أحس به، فإنه من حيث لا يدري يشعر بتفوق هؤلاء الأساتذة للملخصين الجديدين عليه، ولكنه لا يستطيع أن يجد تمسيراً لهذا التوق. مع أن تفسيره يسير هير، وذلك أن علاني الأساتذة نفاقة أمتهم كانت علائق لم تترق كل التمزيق، ويفضل هذه العلائق استطاعوا أن يعطوا تلخيصهم نفعة من سر أنفسهم يمتازون بها، وأن يكونوا أقدر منهم على «التجديد»، لأن ما عندهم كان يمكنهم من الاختيار. ثم من نبي ما هو غث أو سافط، ومن إخفاء «السطو» إخفاء فيه زو من المعرفة. أما هم، فقد فرغوا تقريباً بكاد يكون تاماً من أصول ثقافتهم التي ينتمون إليها «بالوراثة»، ولذلك فهم يحسون في أنفسهم ما يشبه العجز، إذا ما قاربوا بين أنفسهم وبين هؤلاء الأساتذة.

وهذا هو الموقف الصعب الذي كان فيه جيلنا يومئذ، ثم استمرت عليه الأجيال بعدنا، وهي تشعر شعوراً واضحاً بتفوق هذا الجيل من الأساتذة الكبار «الملخصين» و«المجديدين» مع أن الأمر، كما قلت، قائم في الحقيقة على «السطو» البين أو الخفي، على أعمال ناس آخرين يكتبون في لغاتهم بالسننهم، ويعبرون عن أنفسهم وعن حضارتهم وعن ثقافتهم، لا عن أنفسهم أو عن حضارتنا أو عن ثقافتنا نحن!

و «التنتاليوم»

مما يعد هروياً من التزامات واشراطات هذا القانون. وعلى مدى ثلاث سنوات من التعاقد مع هذه الشركة لم تقم هذه الشركة بأعمال ذات قيمة بالموقع إلا أنه بدأت مؤخراً أعمال حفر آبار جديدة بالمنطقة وتجهيز عدد من الطرق التي تربط موقع الخام بشاطئ البحر الأحمر كما افاد المسئول من هذه الشركة ومن خلال تقارير دورية تقدم لشركة الثروة المعدنية وإلى هيئة الثروة المعدنية



وقد أثبتت القضية مؤخراً في الإعلام المصري ونود أن نوضح مجموعة من النقاط بشأنه

١. أن منطقة أبو دياب تقع بالصحراء الشرقية - شمال مرسى علم وليس منطقة أبو ضباب التي ذكر أنها في سيناء ولم ما ورد بالتحقيق أن هذه المنطقة لم يسمح عنها أحد، فهذا مخالف للحقيقة كما أوردنا سابقاً، فالمنطقة وغيرها معروفة منذ ما قبل عام ١٩٧٠ كما أوضح استاذنا الدكتور رشدي سعيد الذي كان له الفضل في ذلك الوقت للتبني لأهمية هذا المعدن ورفيقه المسمى نيوبيوم.

٢. الشركة الأسترالية جيسلاند هي شريك متعاقد وفقاً لقانون الاستثمار بين هيئة الثروة المعدنية والشركة المصرية للثروات المعدنية ومنحت هيئة الثروة المعدنية هذه الشركة المشتركة حق استغلال خامات أبو دياب منذ عام ٢٠٠٤ دون وجه حق على أن تتولى شركة جيسلاند الإنفاق على الأبحاث والدراسات وعمليات الاستخراج والتسويق واقتسام العائد.

(أ) رأى شخصي، هذه الشركة الثلاثية والتي صدر قرار بتشكيلها طبقاً لقانون الاستثمار لم تسمع، في إطار القنوات الشرعية، حق استغلال هذه الخامات والتي هي أصلاً طبقاً للقانون ٨١ لسنة ١٩٥٦ الخاص بالمناجم والحاجز وطبقاً للسلطة تعتبر من أملاك الدولة لا يجوز منح حق استغلالها إلا في إطار القانون وطبقاً لمصوصه أو تطبيق المادة ٥٠ منه إذا ما أريد الحصول على تيسيرات غير واردة بالقانون وهذه المادة تستلزم أن يصدر عقد الاستغلال بقانون حماية أموال الدولة

٣. يعيب الترخيص لهذه الشركة الثلاثية ما يلي:

(أ) أن الدولة أفتت على هذا الموقع والخام من أموالها بالإضافة إلى المنحة التي حصلت عليها مما زاد في قيمة المنطقة. الأمر الذي يحتم طبقاً للقانون الإعلان عن استثمارها بمزاد أو حسب نظام الاتفاقيات التي تصدر بقانون ههدد الخامات في الأصل ملك الدولة ومن أموالها العامة

(ب) أن تشكيل هذه الشركة الثلاثية لا يعطى الشركة من الحصول على عقد استغلال طبقاً للقانون وهو ما اعتقد أنه لم يحدث حتى الآن.

(ج) صرحت هيئة الثروة المعدنية لهذه الشركة المشتركة والمنشأة طبقاً للقانون رقم ٨ الخاص بالاستثمار بالعمل دون سند من القانون الواجب التطبيق، الأمر الذي يستلزم المراجعة

٤. مناطق السبب والتحاس الممنوحة للشركة الثلاثية أجرت عليها هيئة المساحة الجيولوجية أيضاً إحياء عديدة في قترات سابقة وليس كما ذكر بالقالة المنشورة أن هذه الشركة سوف تبدأ حيث انتهى الفراغ، فهي ذلك انتقاص لمهد استمرار أكثر من نصف قرن على الأقل.

٥. ما تم إجراؤه في منطقة أبو دياب حتى الآن ويعد توقف دام سنوات هو إجراء عمليات حفر استكشاف وفتح بعض الطرق الرابطة للخام بالبحر وما عدا ذلك فليس هناك أي مرافق أو معدات تتناسب مع ما تدعيه الشركة التي تم إنشاؤها من أقلام ما يعني أن الإنتاج قد لا يبدأ قبل بضع سنوات.

٦. المطلوب من شركة جيسلاند قبل التحويل باستكشاف خام لم تجر عنه دراسة جدوى اقتصادية والحلوة للنيونك للافتراض كما ادعت أن تعد دراسة جدوى اقتصادية مقبولة عالمياً يتحدد على أثرها كمية الخام المتاح وطريقة وجوده وكميته استخراج وتكاليف عملية الاستخراج وتحقيق ومراجعة هذه النتائج بواسطة شركات عالمية محايدة قبل التورط في قروض وحتى لا تتكرر مأساة أبو طرطرون.

أحمد عاطف دردير

رئيس هيئة المساحة الجيولوجية الأسبق

المقدمة

منها مؤلفه هذه الرواية، وهو ما ساعدت تخصصه في التراث والتاريخ، ومنصب مدير مركز الحاسوب في مكتبة الإسكندرية، فألوهودى العمل الأخيرة لروايته يمس بصورة مباشرة جدول عقيدة «التاريخ» واستبعد الجدول العامى على تاريخ الكنيستين على الزعماء، المسيح، والذي راج ضحيته كثيرون من العموم والقساوسة. متحمدا عدة من الأساقفة، يشترى إلى بعضها حالا، كما يتم التعامل مع الرواية فيها وأبديا، لادينيها وتاريخها، مع المؤامرات العنصرية العنصرية التي لا ينكرها، ويبرهن صدقية التوقعات التي أوضحت أنه اختبرها بالرجوع إلى المصادر الأصلية ذات الصلة بالموضوع.

يتخصص المؤلف غلب الترجمة
ويتجنى المترجم غلب الرواية، والأخير
راغب مغمري يرضى هيبة، كما تكتفينا بل
من المؤلفات (الرقوق) من اكتشافها بل
عشر سنوات قبلها بل بالمراسل الأربعة
الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة
حلب في صندوق حاكم العراق العلياق.
وهي مكتوبة بالسريانية، يحكم فيها
سيرة ما عاينه في حياته من أحوال وما
كان شاهدًا عليه من أحوال، بما يعين
دور المؤلف - المترجم - يقتصر فقط على
الترجمة العربية إلى العربية للرقوق، ولم
يتدخل بحسب ما يؤيد في مقدمته
إلا ترجمة أسماء بعض الأسماء القديمة
إلى معانيها، وأغلبها على تحويل تواريخ
قبطية إلى ما يقابلها من أيام وشهور
وسنوات على النحو الذي يأتي معروفة
به اليوم.

وزيادة إلى الإيهام، فإن المؤلف المزمع يتدخل بعلانيات مفرقة في الحواشي لشرح ما يعمض على القارئ في النص الأصلي، من ذلك مثلا كتابته في الرق السابع: «إن هذا هو المكتوب قطع في القرن الرابع الميلادي» وكثير دوافع متداخلة، وعلى الحواف وبايد مضطرة في الزايف هيبا في الفراع الجعيد بالكتابات صليانية كثيرة متناقضة المحم.

وأن يكتب في حاشية أخرى هذا الموضوع من المخطوطة فيه اضطراب ملحوظ في رسم الكلمات، وأن يشرح أن بوسعنا مترجما بعض الكلمات التي ترد في الرقوق نون كلمة «متنبح» التي تأتي متوشح، وأن بعض النصوص العلية التي تدبر فيها بوسعنا معالجة

عزادیل

يوسف زيدان

القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٨.

استخدموا، كما نرى، ما يحزننا أنه بحث عن اسم «هيبيا» هذا في المراجع القديمة والحديثة فلم يجدوا، وإن تأكد بصيرة محاسنهم من صقع الواقع التي أوردوا في كتابهم، فلهذا ما يعضن إلى الواقع الأوردة مصححين من الناحية التاريخية، أما ما يخص المآل منها وما يتعلّق بآرائه الشخصية وإبداياته وسماحه وبأنه فلا يمكن التحقق من صوابيتها لأنها رويته دون غيره.

ويؤيد القدر من الإيهام، فإن على الرافق أن يتعامل معها على مستويين، مستوى والتفكير الشك في محتواها بعدما استوفى المترجم - المآل شخصيته منه، ومستوى سردى لابدين من قبوله كما رواه لنا صاحب الرقوع بوضحة سرية ذاتية.

والحقبة أو الفترة الفنية الصليبية للمؤلف تتبدى في هذا المزج البديع بين السرد، بلفظ جميلة وأسلوب لا يخلو من شجون وحرقة.

يبدى المؤلف تعاطفا واضحا مع المستوطنين، فهو أتباع مسطور، القصص بطلي الشهيدين من بلدة جمرانيق، وهي بلدة في الشام صارت تعرف اليوم بمصر، مصرع، من رفضون الفكرة القائلة بأنها هي المسيح، فهو براهيم مولود من بشر، ولا يشير لا يقول، إنه يقول. مسطور صاحبها «هيبا»، كيف نقول أن السيد العذراء «ولدت ربا»، وسجد طفل عمره شهر إلى الجوس سبحانه، له المسيح، معجزة رايانية، إنسان ظهر لنا الله من خلال، وحل في بطنه يشارة الخلاص، علامة العهد الجديد اللاسباسة.

وكانت آراء نسطور تلك هي التي أتى عزله من الأسقفية وتوفي بقرار من مجمع القدس الذي انعقد في مدينة أنطسوس، بروما، وشهده الامبراطور الروماني نفسه في ١٣ سبتمبر من عام ٤٥١ ميلادية. وهي السنة المشهورة لخراب حرم فيها وعزل الأسقف الميحل، نسطور، وأمرت ان كل الديانة، بحسب ما يقول هيبيا - وسئل عزله من اسقفية ولفيه - تنصرا لتكريسة الاسكندرية برئاسة الانبياء، كيرلس في مواجهة كنيسة نطاكية، متأسيا بما عمله قبله الامبراطور مسقطين، الذي عرف في التاريخ كنيسة مسقطين، الا انه كان

الإيمان ونسحق ونسبح ونسبح ونسبح إلى
إسراء إلى الأسقف أريوس، فقلوه إن المسيح
إنسان لا إله، وإن ذلك الواحد لا شريك له
في الوهية بل في التسوية، بل في التسوية عام،
وفي ذلك في الجمع المكونة التي
عقد في مدينة نيقية، الواقعة اليوم على
حدود تركيا، والتي صارت تعرف باسم
أريوس، عام ٣٢٥ ميلادية
بما جرى من الإمبراطور
قسطنطين، يرى تسوية، كما لتبليط،
يقول تسوية مخاطبا هيبا. أليس هو
المخلص الرئيسي لكل ما جرى، وأعطى
الملك شيعان السلطة التامة التي
سلطه سكرته الناس، فيقولون الرب في
سلاسل وتمزقون في بيدهم فيقولون
وتنهب ربحهم بداد، فيقولهم أهواؤهم
فيخاطبون فيقولون رب في العائلة سعي
ملاك حمله التافهة.

وزير، تسيطر، فإن قسطنطين
بعدما فرغ من تثبيت سلطته بالحرب
ضد قدامى رفاقه العسكريين، أراد الظفر
بالولاية الدينية على رعاياه، فدعا كل
رؤس الكنائس للمجمع المسكوني وأدار
جلساته وتدخل في الحوار اللاهوتي ثم
أمر على القساوسة والأساقفة القراءات.



ويرغم أنه وصف الخلاف بين الاسقف اوريوس، واسقف الإسكندرية في زمانه إسكندر، حول طبيعة المسيح بأنه نازع وسوقي واحتمل توضيح، فإنه انتصر لاسقف الإسكندرية ليضمن قمع مصر وحصول المنب النصور.

وتحتشد الرواية بضرورة العديد من التلاعب التي جرت في الإسكندرية والأهل التي لاهاها الوثنيون واليهود على أيدي الملححيين، حيث صارت المسيحية هي ديانة الامبراطورية الرومانية الرسمية وغالبية العائش في الإسكندرية.

ولعل مشهد سحل «هيباتيا» أستاذة الرياضيات المشهورة والجميلة أيضا في شوارع المدينة، ثم حرقها بعد أن تمزقت أعصاؤها وانسلخ جلدُها عن لحمها، وكذلك قتل أسقف المدينة (جورج كيرام) الذي عذبه نذرة جماعة «جورج

الألام، بالسواطير هي الحي الشرقي عام ٣٦١ ميلادية، أبغ الدلائل على الوحشية التي تعاملت بها كنيسة الإسكندرية مع مخالفيها.

أما قتل هيباتيا، فقد جرى في أعقاب خطبة حماسية للأسقف كيرلس ارتجت لها الجموع التي احتشدت لسماعها وأثارها ما قاله عن تطهير المدينة من الوثنيين واليهود كي لا يبقى فيها غير شعب الرب.
كتب هيبيا، في رقوقه..

«سحبها بطرس من شعرها إلى وسط الشارع وحوله أتباعه من جند الرب يملئون. حاولت هيبثيان أن تقوم فرفضها أحدهم في جنبها، فتكومت وتلقوا على الصراخ. أعادها بطرس إلى تمدها على الأرض بجذبة قوية من يده الممسكة بشعرها الطويل. الحذبة القوية انتزعت صلات من شعرها فربحها، وأمسك شعرها بكلتا قبضتيه وسحبها خلفه، ومن خلفه أخذ جنود الرب يهيمون متناهة

ويهللون له وهو يجر ذنبيته..
 وفيها حاولت ، وكأنيما ، إغداذه بأن
 ألفت تحسبها فوقها لتحميها ، ألفت
 فيها الأذن حرفتها من هيباتها ، وألفتها
 نقوة على جانب الطريق ، أصطدم رأسها
 بالحرفيف وانسحق وجهها فتلطم نالدم
 ، واتراث ، حاولت الركن من تحمي فضرها
 أحدهم على رأسها بقصبة عتية
 باطرافها مسامير فشررتها المرأة
 وسقطت من فورها على ظهرها والدم
 يتسرح من أعضائها عليها بملحة توبها .

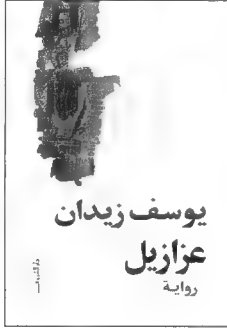
أما هيبياتيا، فقد صرخت بجوار من بعيد، «اسحلوا هذه العاهلة، فانطلقت الأريدة تنزع عوارها كما حتى صوفت العارضة تماماً على أتوا بغير خشن وفورته حول مصممها وأخذوا يجرؤنها في شوارع الإسكندرية، ثم أمسكت الجصوع بمرصاد البحروراءوا يجرؤونها بغير لحمها قطعة قطعة حتى إذا بلغ خبيثها من هرط الأثم عان السماء، وحين سكتت صرخاتها، ألقوا فوق السماء كبيرة من قلم الخشب ثم اسحلوا لها.

ما يسرده هيبا، في رقوقه من وقائع
تتجاهلها بعض الكتب التي تؤرخ
للكنيسة، وتذكرها بعضها بتأويل
مختلف، فالأسقف ثيو هيلوس، أسقف
الاسكندرية (١٨٥٨-١٩٢٤) لما في حوز من

«عزازيل»، رواية تشير تساؤلات فلسفية ودينية وتكشف الصراع بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكية في القرن الخامس الميلادي



قيمة الأولى



يوسف زيدان عزازيل رواية

مكتبة

العلم والفلسفة، وانتشرت المسيحية في عهده حيث بنى عددا من الكنائس لتلبي حاجة المؤمنين في المدينة، وأنشأ عددا كبيرا من الأديرة، واستولى على المعابد المصرية ومنها معبد السيرابيوم العظيم بالإسكندرية وحولها إلى معابد مسيحية. وهي أعمال من وجهة نظر هؤلاء المؤرخين، عظيمة وتستحق الثناء

وأما ابن أخيه، كيرلس الأول، فهو دارس للعلوم الطبيعية والفلسفية والتلاوة، وقد ارتقى كرسى البابوية في العام ٤١٢ ميلادية. وفي أيامه طورت بدعة مسطور أسقف القسطنطينية، والتي مؤداها أن للسيد المسيح أقنومين أحدهما إنساني والآخر إلهي، وأن السيدة الصغراء ليست والدة الإله بل والدة المسيح، وحض البابا كيرلس هذه البدعة وأثبت الإيمان الأرثوذكسي الصحيح وهو أن للسيد المسيح اقنوما واحدا إلهيا אחד بطبيعة الإنسانية اتحادا دون اختلاط أو امتزاج أو استحالته، وأن السيدة العذراء تدعى بحق والدة الإله.

وفي الوقت الذي يظهر فيه «هيبا»، الأسقف كيرلس شخصاً متصلياً متشدداً قاصياً رافضاً لأي وجهة نظر مخالفة، يراه مؤرخو الكنيسة واحداً من الأبناء الكبار الذين شيدوا مجد الكنيسة ومعها من الفترات والهرات، وحين تنطبق إلى خلافه مع مسطور تؤكد على أنه تحاور معه مرات وأرسل له عشرات الرسائل كي يتوب عن ضلاله ويتوب إلى رشده إلا أنه أبى، فما كان من كيرلس الطيب إلا العودة إلى الإمبراطور لحسم الأمر، ومن ثم هلم يكن لكيرلس ذنب في عزل مسطور وبقية وفاته في منامه، ولم يكن في الأمر شبهة مؤامرة أو تحزب أو استبداد!

في الوقت الذي يتهم فيه مسطور، صراحةً، كيرلس، بالفساد والرشوة، ويحسب ما أخبر «هيبا»، فقد دفع كيرلس، وشاؤى كثيرة، وقد هدأ للجنة القضائية التي أرسلها الإمبراطور للنحيق فيما جرى لهيباتيا. ويبدو مؤرخو الكنيسة أشكال الاضطهاد والعدايات التي لاقاها المسيحيون على أيدي الرومان دون أن تشير بالقدر نفسه إلى الإهانة إلى

الصيد الذي يملكه سعبا للرقق بالصرب من جزيرة، «الفتنير»، بنبيل أسوان، وقد اعتاد الأب أن يقتسم حصاد يومه من الأسماك مع الكهنة الحاضرين المتحشنين بمعيد الإله «خنوم»، منذ سنين متحشرين على اندثار أديانتهم مع انتشار عقيدة المسيح، حين برز فجأة مجموعة من عوام المسيحيين الذين كانوا يخبثلون بين الصحور وقد أخرجوا من بين طيات ملايسهم الرثة سكاكين صلبة انهاروا بها طعنا على الصياد الفقير، هروا نحو كاشباح مخيفه وسحبه من قاربه وحرره على الصخور ليقتلوه طعنا بالسكاكين، كان الأب يصرخ تحت معاناتهم وكانوا هم يصرخون متلهلين وهم يرددون في نشوة، المجد ليسوع المسيح والموت لأعداء الرب.

رأى الطفل ذلك كله من مكمنه هبتي هي ذاكرته إلى الأبد، وما زاد إيلاعه هو حياة الأم، التي عرف بعدها أنها أوتت بأبى لدى قاتليه وتزوجت من أحدهم، وهي مأساة تذكرنا بتلك التي عاناها بطل شكسبير الأسطوري هاملت.

عاش الصبي في كنف ممة، وحين بلغ الثامنة عشرة، اختار له المم خدمة الكنيسة ومهمة التدأوى، وما ليخفف من نغمة الشقية بمصم المامه أنه سنى حياته المبكرة.

في الإسكندرية سيلقى «هيبا»، مع أوكتافيا، وهي امرأة من الوثنيين كانت تقسم بمنزل أحد التحار الصقليين الأثرياء، تولاه رعايته واتخذها له نعد ما عاتته في حياتها، وأما هي فقد هامت بـ «هيبا»، عشقا، إذ كانت تنتظره وفقا لنوبة عرافة عجور عند البحر، وأما هو فقد استمتع معها «بالخطية»، واكتشف رجولته للمرة الأولى، وفي لحظة المكاشفة حين قالت له أن رهبان الإسكندرية يقتلون الناس ببركات الأسقف، ثيوفيلوس، الهومس وخليسته كيرلس، الأسد هوسا، استترف لها أن راقب مسيحي فصرخت في وجهه بعد أن تبذلت قسماتها وانقلب عشقها إلى كراهية هادرة، أخرج من بيتي يا حقيقى، أخرج يا سافل.

يظهر «عزازيل»، في كثير من مواضع الرواية، وعزازيل، هو إليس أو الشيطان الذي يوعز إليه بارتكاب الخطايا ويجعل في عينيه المعاصي يتبدى في مجادلات «هيبا»، القلقة من نفسها، ومعجدة في حياته أشخاص يصادفهم في مسيرة هيباتيا المليئة بالعدايات والماس، وستلاحظ أن رحلة «هيبا»، إلى اليقين لم تصل لذا إلى متاهلها، يقبى دائما في دوائر الشك والتفلق والريبة حتى حط الجسد رحاله.

وجالينوس وغيرهما في فن العلاج والتداوى يحفظه عن ظهرك قلت، وأنهى حياته في صومعة بدير على أطراف مدينة حلب التي ارتحل إليها بعد سنوات فها، في أورشليم، تنفيذاً لتخصبة القص، مسطور، الذي التقاه لأول مرة في هذه المدينة المقدسة حين جاءها حاجا بصحبة القس سيودور المفسر وهو من أجلاء أبناء الكنيسة الأنطاكية.



ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى ذلك، من حياة هيبا قبل ارتحاله إلى الإسكندرية، فنشأته الأولى تفسر حالات الشك والتفلق وانتهى التي عاها وعانيتها في حياته. كان «هيبا»، في التاسعة من عمره حين رأى بعينه هذا الحدث المروع ذبح أبيه على أيدي جماعة من عوام المسيحيين. كان الطفل بصحبة والده في قارب

اصطفاه المسيحيين لثوثنين واليهود وأصحاب التعبدات الأخرى.

وفي كثير من المواضيع بالرواية يصف «هيبا»، أساقفة كنيسة الإسكندرية بالقسوة والغلظة وصيق الأقف.

أما «هيبا»، نفسه فقد عانى اضطرابا نفسيا وروحيا شديدا، وشهد من الأهوال في حياته ما زاد نفسه حيرة وهز إيمانه وزرع عقيدته، وهي حيرة لازمت حتى نهاية حياته.

جاء «هيبا»، وهو الاسم الكنسى الذي احتاره صاحب الرقوق لتعصبه عتب خروجه من الإسكندرية وهو كما نلاحظ نصف اسم الأساقفة الوثنية التي سحلتها المسيحيون في شوارع المدينة والتي هام بها هيبا - من بلدة في جنوب تعليمه الأولى والكنسى في نجع حمادى وأخيم، قبل أن يرتحل إلى الإسكندرية المقر البابوى للأرثوذكسية والتي كانت مقصدا لكل طالب علم وياحت في شئون الديانة. وكان هدفه أن يواصل دراسته للعلب الذي نغ فيه، فقرأ مكتبته أبقراط

كتاب الزاوية



ماذا فعل الأساتذة الكبار؟

محمود محمد شاكر

ألتفت اليوم إلى ما أشفت منه قديماً من فعل الأساتذة الكبار! لقد ذهبوا بعد أن تركوا، من حيث أرادوا أو لم يريدوا. حياة أدبية وثقافية قد فسدت فساداً وبيلاً على مدى نصف قرن، وتجددت الأساليب وتنوعت، وصار «السطو» على أعمال الناس أمراً مألوفاً غير مستنكر. يعيش في الناس طليقاً عليه طيلسان «البحث العلمي» و«عالية الثقافة» و«الثقافة الإنسانية»، وإن لم يكن محصوله إلا ترديداً لقضايا غريبة، صاغها غريباً صياغة مطابقة لمناهجهم ومبادئهم ونظراتهم في كل قضية، واختلط الحال بالثال، قل ذلك في الأدب والفلسفة والتاريخ والفن أو ما شئت، فإنه صادق صدقاً لا يتخلف، فالأدب منا مصور بلم عبير، والفيلسوف منا مفكر بمقل سواء، والمؤرخ منا ناقد للأحداث ينظر غريب عن تاريخه، والفنان منا نابض قلبه بنبض أجنبي عن تراث فنه.

وأما الثروة والاستغناء، فحدث ولا حرج، فالصبي الكبير يهزأ مزهواً بالخلييل وسيبويه وفلان وفلان، ولو بعث أحدهم من مرقده، ثم نظر إليه نظرة دون أن يتكلم، لأجبهه العرق، ولصار لسانه مضطرباً لا تتلجلج بين فكيه، من الهيبة وحدها، لا من علمه الذي يستغف به ويهزأ. والله المستعان على كل بلية، وهو المستول أن يكشفها، وهو كاشفها بمشيئته، رحمة بأمة مسكينة، هؤلاء ذنوبها كانوا، وأشباه لهم سبقوا، وغفرائك اللهم.

اصحاب إيمان، أهل ذنوبية لا محبة دينية.

ومن حيرته هذه النوعية من الأسئلة التي تيرهن على غياب اليقين أو تنويشه، يتساءل «هييا»، من الذي كان موجوداً قبل وجود الإنسان على الأرض، الله، الملائكة، الشيطان، ماذا كانوا جميعاً يفعلون قبل وجودنا واشفائنا بهم؟

ويقال: ما الأرثوذكسية، أهى ما يقررونه هي الإنسكزية أم ما يعتقدهونه هي أنطاكية، هل هي إيمان الآباء، أو أولئك الأتقياء المقدسين، أم هي الاعتقادات الوثنية التي فلتك أهلها بأبأه أولين، صاروا مع الأيام أتقياء ومقدسين؟

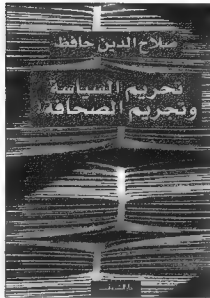
ولا يفوت عزراييل، أن يشاكمه في حالات مثل تلك، أنت قل في «هييا»، مما هيك، وتعرف أنك مستقد، ممرتا، مثلما فقت من قبل ما كان لك، حلم النبوع في الطب، الأمل في إدراك سر المداينة، الفرام بأونكتافيا، الوضع بكتافيا، الأطلعتان بالطفلة، الإيمان بالخرافات، وأما ممرتا، فهي فتاة في العشرين من عمرها شغفها، مييا، وقت أن كان رهايا راض منحة أن لك محطوط في مداينة المسبح... فقص إيجيل متى الرسول مكتوب: من يتزوج مطلقة فهو يزني.. فتر عليه، ممرتا: وما الذي كان بيننا في الكوح بالأمس، ألم تكن زنى؟

وقد أدرك «هييا»، في أخريات أيامه مقاصبه روحه وعشمه الخلقة، يقول محاطيا نفسه، ألم أر شيئاً أبداً من داخله، أنا أطوف دوماً بطواهر الأبياء ولا أغوص فيها (...). كل ما في منكبس، عمادي، رهييتي، إيماناي، أعماراي، معارفي الطيبة، محبتي لمرتا، أنا التباس في التماس، والانتباس نقبض الإيمان، مثلما أنيس نقبض الله.

أما الذريعة التي يقدمها المؤلف لقنوايه المحتلين من أبناء الكنيسة - وهي ذاتها دعة الوافق يدفع به أذى من سيخلطون حتماً بين الراوي وبينه أن الراهب «هييا» نفسه ليس نموذجاً لصفاء الإيمان وبقاء العقيدة، فسيرتبه التي تحكيها رفاقته المسترسة، تكشف عن إنسان موغل في الإثم مرعب بالخطايا، ومن ثم فإن أقواله وأفعاله وترهاته وطنوبه وأراءه ومعتقداته وضلاله، هي من طابع شخص اختار الدنيا بما فيها، وليس راهبا هجرها وودع زخارفها، وهي حجة - وحيلة - مقنعة كما ترى. ■

تحرير السياسة وتجرير الصحافة

صلاح الدين حافظ



■ بين الصحافة والسياسة علاقة مركبة فيها تناقض وتلاق، تداخل وتبادل، صداقة وعداوة، استغلال واستغلال مصاد...

هكذا يبدو الأمر من فوق السطح، لكنه يتضح بشكل مغاير إذا غصنا في الأعماق، حيث التداخل بين الصحافة والسياسة أقوى وأعمق، وحيث التلاقي يتصاعد إلى درجة التحاليف، وحيث يتقاسم الاثنان الغنى والفقر بدرجة من الدرجات.

الصحافة في جوهرها تشتمل بالسياسة، والسياسة من ناحيتها تمارس الصحافة، والمعنى أن الصحفيين سياسيون بالضرورة، والسياسيين صحفيون بحكم العمل.

ريما تكون هذه هي الصورة البيراق للصحافة والسياسة في بلاد بعيدة، أصبحنا نسميها بلادا ديموقراطية، تنفص بحرية فتتقدم، تحترم الإنسان وتقدره فيبدع، وتعرف أن السياسة عمل يومي، مشلما أن الصحافة تنفص طليعي.. وضروري.

أما في بلادنا فالوضع مختلف، بل هو مناقص، لأن العمل بالسياسة مقصور على نخبة تقيظ، تدبر الحكم وتضع القرار، وتحتكر السلطة وتدعي الحكمة، ثم تستغل فتتري وتقسد وتسيئ، دون خوف من محاسبة أو مساءلة، ولأن الاشتغال بالصحافة مخاطرة غير مأمونة العواقب، تورد صاحبها موارد التهلكة، إن أخذ الأمور بعديا وصديق وأمانة ولذلك رأينا كيف استعبدت السلطة السياسية الصحافة، واحتكرتها سلاحا من أسلحة الدفاع عن نفوذها وهيبتها وسلطانها، وكيف استأمنت الصحافة إلى حد التلذذ بالتبعية للسلطة السياسية.

والعمل في البلاط الحاكم بكل الثماني بالطبع ليست هذه قاعدة عامة، فثمة استثناءات عديدة، ووجهود شريفة لتقنين العلاقة بين الصحافة والحرية والسلطة السياسية، وهي جهود يشهد بها تاريخ الصحافة في بلادنا كل اعتراف، حتى لو أدى صراع الإدارة إلى تعثر هذه الجهود في فترات مختلفة لأسباب مختلفة. وبالطبع أيضا فإن العلاقة المركبة للصحافة ليست مقصورة على السلطة السياسية، ولكن طبيعة المهنة ورسالتها

تحرير السياسة وتجرير الصحافة

صلاح الدين حافظ

القاهرة - دار الشروق ٢٠٠٨

ورغم أن الشعب المصري والشعوب العربية عامة، ما زالت في مؤخره دول العلم من حيث الاستفادة الحقيقية والاستغلال الأمثل لاختراعات ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال، إلا أن الموج الهادر من حولنا قد أجبر نظمنا الحاكمة وشعوبنا المحكومة على الإنصات والاستماع، ثم فتح السواقي لثورة ما يجري خارج الحدود المقامة والحدود التي كانت حتى الأمس القريب مغلقة، فإذا ما يجري من ثورة علمية تكنولوجية معلوماتية يعوق الخيال..

ولم يعد الأمر مجرد أقمار صناعية سابعة في الفضاء ترصد وتنقل وتصور وتحلل، ولم يعد مجرد فضائيات تلمزميومية تغفل الأحداث والحروب على الطبيعة من أرض المعارك مباشرة، ولم يعد مجرد الاستماع إلى أخبار العالم من الفضاء إلى إقصاء بسرعة فائقة، إنما الأمر تجاوز ذلك في اتجاهين مؤثرين.

الاتجاه الأول، هو هذا التقدم التقني الهائل في تطوير وسائل الاتصال الحديث، مثل الكمبيوتر والتلفزيون المحمول وشبكة المعلومات الدولية والإنترنت وسهولة استخدامها في نشر الأخبار والأفكار.. وطبقا للإحصاءات الدولية المنشورة، فإن منتصف عام ٢٠٠٦ على سبيل المثال، شهد استخدام أكثر من مليار من سكان العالم للإنترنت، وشهد استخدام ملياري خط تليفون محمول، وأصبح لثلاث سكان الأرض يمارسون التواصل بفضل هذا المحصول كل شهيد ٣٧ مليون صفحة خاصة على الإنترنت من المدونات، ويتم إنشاء صفحة واحدة على الإنترنت كل ثانية..

فيذا أضفنا هذه المستحدثات التكنولوجية، فوق التقليدية، إلى شبكات التليفزيون والإذاعة والصنم وكالات الأنباء التقليدية، التي تستمد الأخبار الصناعية، لتبين لنا مدى اتساع دوائر الاتصال بين البشر عامة في هذا الكون، بما يسر كل قواعد الرقابة والتقييد، ويمنع الصدود والسمود، ويتجاوز حتى التحريم والتجريم، ويعيد رسم قسمة القوي، فيمكن اتجاهنا من فرض النظم القوي للقيود على الشعوب لحملية الاستبداد والفساد، إلى فرض منجزات هذه التكنولوجيا المعلوماتية الجديدة للقيود على استبداد النظم الحاكمة وصناد..

أما الاتجاه الثاني، فيتمثل في هذا التداخل

وربما هذا ما يصير ذلك الصراع التاريخي، بين سلطة حاكمة تعمل على إقصاء الشعب عن ممارسة السياسة بحرية، والاستمتاع بصحافة حرة، وفي سبيل ذلك تفرض القيود وتقيم السدود. فتدبر العمل بالسياسة وتحرم الاشتغال بالصحافة، باسم القانون والنظام، وبين حركات سياسية متفردة ترفض احتكار السلطة وتقاوم الاستبداد والفساد، ومعها صحافة تؤمن بأن رسالتها الحقيقية هي محاربة الاستبداد ومقاومة الفساد وخدمة الشعب، قبل خدمة الحاكم، حتى لو فرض عليها الحرير والتجريم..

وقد أصبح الصراع يحري ضد الاستبداد والفساد في هذا العالم، وليس في بلادنا فقط، لأسباب عديدة، أهمها بالطبع ذلك الشوق الإنساني العال للحرية والتطور والتقدم بكل معانيه واتجاهاته السياسية والثقافية والإعلامية والاقتصادية والاجتماعية. ولقد جاءت ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال الحديثة، لتضع المعززة في هذا الجبال باعتبارها الثورة التي قلبت الأوضاع وغيرت المفاهيم، وقدمت للبشرية أسلوكيا جديدة للتواصل والتعارف والاتصاف، وتبادل المعارف والخبرات والثقافات..

السامية، تدق جندور علاقة الصحافة بالجمعيت بمختلف فئاته وتياراته وطبقاته، تجاوزا حتى احتكار النخبة الحاكمة للسلطة السياسية..

وتقدر نزوع الصحافة للتحرير والاستقلال، بقدر صداعها مع هذه السلطة السياسية، بقدر ارتباطها الوثيق بالجمعيت متعدد تياراته وتوجهاته المتطلعة دائما للتحرير والتقدم عبر التطور الديموقراطي السليم، ومن خلال التنفص بحرية، وهو حق من حقوق الإنسان الطبيعية.

وقد أدى صعود الصحافة لاحتكار السلطة السياسية الحاكمة، إلى ازدهار الاستبداد والفساد، وأدى بالمقابل ارتباط الصحافة الأخرى بالجمعيت إلى صعود المئحة الديموقراطية، سواء في الممارسة السياسية أو في العمل الصحفي.

ومن حسن حظ مصر تحديد، أنها دائمة الارتعاش الحيوي والتنوع الطبيعي للحرية، بفضل خصوصيتها الحيوية العالية، إذ يقدر ما فيها من تركيز للسلطة عند القمة، واحتكار للرأي عبر الصحافة بشكل أساسي، فإن فيها عبر القاعدة اتساع عرضها من تنوع العمل السياسي وحرية الرأي والصحافة، بما يمثل قوة من وجهتنا لتناقض إن شئت، وبما يمثل حيوية متفردة إن أردت..

يقدر نزوع الصحافة للتحرر والاستقلال، يقدر حدة صدامها مع هذه السلطة السياسية، يقدر ارتباطها الوثيق بالاجتماع بتعدد تياراته وتوجهاته



أعم وأوسع من الطعن في موظف معين بالذات، وأن الشخص الذي يرشح نفسه للنيابة عن البلاد، يتعرض عن علم لأن يرى كل أعماله هدفاً للطعن والانتقاد، وأن المناقشات العمومية، مهما بلغت من الشدة في نقد أعمال وأراء الأحزاب السياسية يكون في مصلحة الأمة..

الله، الله هذا هو الحكم التاريخي الصادر عن قضاء مصر العظيم، محمناً للرائي الخالف، ومذاهباً عن حرية الرأي والنقد والتعبير، فالتنقد مهما اشتدت حدته، لا يجب أن يخص للعقاب، وأن يواجه بالتحريم والتجريم..

فهل يأتري ألدت حكوماتنا المتتالية، بهذا الحكم التاريخي، الصادر عن قمة القضاء المصري محكمة النفس، أم عارست عكسه في معاقبة خصوصها السياسيين ومطاردة الكتاب والأصحفيين، ليس فقط ما حاكم الحبس السالبة للحرية، ولكن ايضاً بالإنعانة والإذلال والعصر والسحل والتشاك والأعراض علانية، مجرد أنهم عبروا عن آرائهم بصراحة؟



على مدى شهر واحد، ظلت هورتا مرفوعة على شاشات التلفزيونات ومصحفات الصحف في المغرب، ليس فقط من باب عرض ما يجري على الساحة المصرية من تطورات سياسية وحراك شعبي صاهبه احقتان، وان احتقال افقر حراكا، فهداما بين فئات اجتماعية تدرت على الأوضاع السياسية والاجتماعية الفائلة والمعددة، ولكن ايضاً من باب التشفي في أوضاع متدهورة لا كبير واهم دولة عربية، وربما شامتة فيها!

فقد جاء قرار الرئيس محمد حسني مبارك بتعديل المادة ٧٦ من الدستور بهدف تعديل طريقة انتخاب رئيس الجمهورية من نظام الاستفتاء التسمي العام، إلى نظام الانتخاب المباشر من بين أكثر من مرشح، ليثبت باب الحراك السياسي في اتحاليين متعاضرين...

اتجاه أزد استغلال هذه الفرصة لإطلاق العنان لحراك سياسي يهدف إلى توسيع التعديل الدستوري متجاوزاً المادة ٧٦ إلى مواد أخرى، تحقيقاً إصلاحاً فارقاً إلى دستوراً مستويلاً حقيقياً، واتجاه آخر أراد تحويل تعديل المادة ٧٦ إلى مجرد تعديل إجرائي وشكلي، يرسخ التمسك بالحراكات العنيفة ويمنع تداولها ويفرض شروطاً تعجيزية على المرشح لمنصب،

حقولياً أو صحفياً مناهضاً للفساد. وهنا لا نكاد دولة في العالم تخلو منه، ومهما كانت حدة الاختلاف أو الخلاف الذي ينشأ بين المؤسسات وأجهزة الدولة هنا أو هناك، فإن الاختلاف يعتبر شيئاً صحياً وعلامة من العلامات الجوهرية على الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي، حيث تسهم حرية الرأي والتعبير وحرية الصحافة وحركة المجتمع المدني في كشف مواطن الفساد وتقديم حلول بديلة أو طرح رؤى أفضل لعلاج الأزمات.

ومن المؤشرات المهمة التي تحدد مستوى تقدم ديموقراطية أي دولة، هو كيفية التعامل مع خصوصها السياسيين، وطريقة إدارتها لهذه الخصومة والمساءلة المتاحة لحرية الرأي والتعبير. والقبول بالحدثة في نقد الخصوم السياسيين والتي قد تصل إلى الطعن فيهم، ليس منحة يقدمها هذا الحكم على هذه الخصوص، بل هو حق طبيعي للشعوب في أي دولة، وفي تنمحه بدورها للصحفيين والنشطاء لاستخدامه لصالح الشعوب، ويسنوي هنا وضع كل الدول وكل الشعوب متقدمة أو نامية، ديموقراطية أو مستبدية، علمانية أو دينية.

وطبقاً لحكم محكمة النقض الشهير في ١٧/١/١٩٦٢، فإن التمسك علانية في جميع البلاد الدستورية أن الطعن في الخصوم السياسيين يجوز قبوله بشكل

والحكوميين، شاعت سلبياتها في العالم كله، بفضل الصحف والإعلام التقليدي وفوق التقليدي، وكانت النتيجة هي السوء بعينه..

فهاهي حكومة تمارس أشد أنواع العنف مع معارضيه من المظاهرين في الشوارع المصري، الذين أبدوا رأياً مخالفاً في شئون سياسية محددة، في وقت اشتدت فيه الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية، وتعددت صور الفساد، وانسمت مساحات الفقر والبطالة. وتضاعف الاحتقان السياسي مسبباً تعطيل قنوات التواصل بين الحاكم والحكوم، وانقطاع حبال الحوار سواء السياسي أو الصحفي، برغم كثرة الحديث الملحن عن التواصل والحوار.. لكن عنف الناس الذي ووجهت به التحركات في الشارع المصري، الحادية للديموقراطية والمطالبة بإطلاق حرية الصحافة، خلق أوضاعاً جديدة، تبيّن، أن استمرت، بتصعيد الاحتقان وصولاً للصدام الشامل، حيث امتحت الحكومة بقوانين عديدة أهمها بالطبع قانون الطوارئ، لفرض التزميم والتحريم على المعارضين، واحتفى المعارضون بالشوارع أملاً في تحرك شعبي أوسع، والنتيجة هي الصدام الذي انشعل بين الطرفين وتوتر في الأوضاع والعلاقات أكثر مما كان....

وطبقاً لتوصيت الشبكية المصرية لحقوق الإنسان، فإن الأمر بالغ الخطورة، فإن تكون معارضا سياسيا أو ناشطا

والتشاك الهائل، الذي حدث بين الشعوب والحضارات والثقافات المختلفة، بمعدل هذا الاتصال التكنولوجي التقليدي وفوق التقليدي، وهو تدخل ليس مقصوداً على تبادل المعلومات والأطلاع على تطور الأحداث والاستفادة بالمعارف الحديثة فقط، ولكنه واصل إلى التشاك السياسي الاجتماعي الثقافي بمعناه العميق..

فصكرة الحرية لم تعد حلاً، والديموقراطية لم تعد سراً بعيداً، والتقدم لم يعد حكراً، فقد انتشرت عدوى الحرية وفيرس الديمقراطية بين الشعوب، وبالتالي أصبح الاستبداد مداناً والفساد مطاردة والتحرير والتجريم مكروهين على مستوى الحضارة البشرية الحديثة، حتى لو ظلت عشرات الحكومات تمارس الجرم الشهود وترتكب هذا الإثم صباح مساء..

وهكذا لم يعد السياسة في المجتمعات الحديثة، محرومة على العمل الصحفي، لكنها بفضل منجزات ثورة المعلومات والانصاف أصبحت مرتبطة بالعمل الصحفي والإعلامي مباشرة، ذلك أن القرارات السياسية الصادرة من السلطة الحاكمة، تشكل محور الاهتمام للعصف ووسائل الإعلام، كالأهم لا يستغنى عن الآخر. إذ يقدر هيمنة السلطة الحاكمة على القرار، بفرض السماع نفوذ الصحافة في الإعلام ويمتدتها على الرأي العام، الذي هو السند الحقيقي لثباتية السلطة الحاكمة والصحافة والإعلام وللأسف فإن بعض دول الحكم في بلادنا، لم تستوعب بعد هذه العلاقة الثنائية، القائمة على الارتباط والتمازج والتواضع، ولا يزال يتصرف بمنطق الزمى القديم، معتبراً أن الصحافة ووسائل الإعلام مجرد سلاح من أسلحة الجند والتأييد والمباينة، وهو منطق يصطدم بالضرورة، إلا مع تيار الحرية والاستقلال والإصلاح الديموقراطي في الداخل، وتنادي مع الوجهة العادلة والخالصة والسليمة بل والمتضاعفة لحطة بعد لحظة..

والخطورة أن يستمر هذا البعض المتخلف على حاله من التخلط العفلي والعرجي والسياسي في أبسط صورة، محتجباً بوهم فدية المصنوب ومتحسناً بفرض قوانين التحريم والتجريم، الأمر الذي يرفع وتيرة العداء الحثي، أكثر مما هو مرصع!

وتيرة الصدام ارتفعت في مصر المحروسة على مدى عامي ٢٠٠٥ و ٢٠٠٦، سياسياً وصحفياً، وعكست وجهها سلبياً في أوجه تعامل السلطة الحاكمة مع فئات معينة من الشعب، وأظهرت صورة سيئة من صور العلاقة بين الحكام

عودة إلى: رجاء وأدونيس

جمال حسن

واستحلال المحرمات، وصلاتهم
مختلطة عن صلاة المسلمين،
ويستمدون عقائدهم من الوثنيات
القديمة والفلاسفة الجوس
والأفلاطونية الحديثة... وهاجس
أدونيس الطائفي له صلة أو علاقة
بمواقف الطائفة في فترة الحروب
الصليبية الأولى، وفترة الاستعمار
الهندي. مما حدا بابن تيمية إلى
محاربتهم في عهد الصليبيين وكتابة
رسالتين عنهم.

انتهى الاقتباس. ونمسك عن
الباقى لنستمتع الكاتب وحاوره حواراً
هادئاً ونقول له: لقد جافاه الحظ ولم يوفق فيما
كتب وادعى، وإن التعرض لملته في هذه
الطوائف النافذة بعد إسهاماً مشيهاً
في توعية الناعة القومية إزاء الهجمة
الإمبريالية الشرسة على وطننا
العربي.

١. لم يؤسس محمد بن نصير هذه
الطائفة وهي أقدم منه ومن أبيه
ووجد، بل في فترة من الفترات نسبت
إليه وعلى كل حال هو إنسان عربي
صميم من بني نسير. إذن، فهو ليس
شعوبياً، وكان أحد تلامذة الإمام
الحسن العسكري. ولم يدع النبوة
والمراسلة.

٢. أما الأفكار الطائفة فيها الكثير
من العلو، واستحلال المحرمات، وأن
صلاهم مختلفة عن صلاة المسلمين
فإننا نسأل الكاتب: من أين استقى هذه
المعلومات؟

أما أسلوبهم فلأنهم يرون أن
للإنسانية ديناً كلياً واحداً هو الإسلام
في العصر العربي. في الوقت الذي يرى
فيه غيرهم أن الإسلام منقطع الجذور
عن تاريخ الدين والحضارة. ناسين أن
القرآن يقول: «ولا تجدوا أهل الكتاب
إلا يأتوني من أحسن إلا الدين ظلموا
منهم وقلوا آمنا بالذي أنزل إلينا»
وأنزل إليكم وألهمنا ولكم واحد ونحن
له مسلمون. (سورة ٢٩ آية ٤٦) ويقول
تعالى: «أما الرسول بل أنزل إلي من
ربه وللمؤمن كل من بالله وللاكتة
وكتبه ورسله لا تفرق بين أحد من رسله،

.... رئيس التحرير المحترم

إن مجلعتكم «وجهات نظر» قراها المحترمين في هذه المحافظة بالذات.
وإن من لا يستطيع شراءها يستعيرها من صديق أيسر حالاً، وقد دُشِلَ كلُّ
من أعرف منهم، وفوجئوا بما قرأوا للأستاذ حلمي محمد القاعود، إذ
(ما هكذا تورط يا سعد الإبل).

لقد كتبت هذا التعقيب القصير، لا غيرة على العلويين فإننا لست وكيلهم
القانوني، ومستوى الفكرى والأدبى والأخلاقي ليس هناك. لكن لأجلو
بعض الحقائق، وأؤكد لو أن الحيف وقع على غيرهم، لعلنا ما فعلته الآن،
إذ يكفي ما فعله ويغفل منا نظامنا العربي المتهاافت.
ومن باب حرصى على مجلعتكم الوفيرة، وسمعة الأديب الكبير المرحوم
رجاء النقاش أتمنى أن ينشر هذا التعقيب في أقرب عدد ممكن من المجلة.
وإنى لأزعم أن ذلك سيسهم في تثبيت مصداقيتها التي كانت لها هنا على
الدوام.
وتشكروا منى أفضل تحية وأكرم سلام.

بما يجب أن ينقده به، فقد شبهه
الكاتب لطيف (أدونيساً) آخر من
اختراعه.

أدونيس يا صاحبي أخطر بكثير
مما ذكرت. لكن ليس لأنه (فينيقي) ولا
لأنه (علوي نصيري) وإن هجومك عليه
ذكرنى بهجوم عبدالصبور شاهين على
نصر حامد أبو زيد.

(...)
نحن البعثيون القدامى (جبل
التأسيس) نرى أن الفينيقيين
والكنعانيين والأراميين، والبابليين
والآشوريين وسواهم من الشعوب
القديمة، في الشرق الأدنى والأنباط
والتدمريين في الداخل السوري،
والحميريين والسبئيين في اليمن
والمرعنة في وادي النيل، هم جميعاً
تراث المنطقة، ورفض على أدبنا أن
يؤسس في مصر حزب يسمى نفسه
الحزب المرعوني، ومن أهدافه قطع
الصلة مع تاريخه وحاضره العربي، كما
رفضنا ورفض أن ينشأ في سوريا أو
في غير سوريا حزب إقليمي يسهم في
زعزعة كياننا القومي العربي بدوره
الحضاري، ولا كنا جزءاً من النظام
العربي الحالي الهش الذي لا صلة له

■ قرأت في عدد أبريل ٢٠٠٨م مقالة
للأستاذ حلمي محمد القاعود بعنوان
(رجاء وأدونيس جدلية الضرورية
والشعوبية). مقبلاً عليها برغبة أكيدة
للسببين اثنين. أولهما أنها منشورة في
مجلة «وجهات نظر»، هذه المجلة التي
احترمتها لستواها الفكرى وتوجهها
السليم، وإنى أواظب على قراءتها منذ
المنشأ شيناً جديداً يعزز لى رأسي
بأدونيس. ولكننى - للأسف - صدمت
بالسببين.

وسبق أن أقول لماذا، أقول إنى
أعارض أدونيس. وهو من جيلى، وابن
منطقتى، منذ زمن طويل، لكن لغير
الأسباب التى ذكرها الكاتب. ههنا
كان أدونيس ينتمى إلى (الحزب
السورى القومي) كنت أتمنى إلى جيل
التأسيس في حزب البعث العربي. وكنا
نهتم. نحن البعثيين. (الحزب القومي
السورى) بالاقليمية الضيقة. لأننا كنا
نعى أننا لو اتهمناه بالشعوبية
للأسباب التى أثارها الكاتب لكأننا
حجبنا داحصة، فالبعثيون الذين
جعلوا الكائنات غاية (الحزب العودة إلى
أماجداهم، هم أحد شعوب المنطقة
القدامى الذين كال من تراثهم آثار
حضارية تراثها المنطقة مع حضارات
شعوبها الأخرى. ولا نسمح للسوريين
القميين أن يستأثروا بهم.
حضرناهم أحد أهم روافد الحضارة
العربية. نحن البعثيون. وما
أضل أحد من حقن أن يزايد على فكر
البعث العربى الملتصقة القومية.
والمرحوم الكاتب النقة رجاء النقاش
كان صديقاً حميماً للكثير من شبابنا
الأوائل (أراجو إلا بعيداً الأخ الكاتب
إلى محامكات السياسة المتأخرة فإن
له حقاً حديثاً يطول).

وبدل أن أقرأ لرجاء النقاش قرأت
لحلمى محمد القاعود ما يشوه فكر
النقاش ولا ييسى إلى أدونيس،
وعندما يقرأ أدونيس هذه المقالة
سوف يسر. فيما أظن. لأنه لم ينقد



نحن أدري يا أخى الكاتب أين هو أدونيس من الثقافة والفكر والشعر والسياسة بما لا تلامسه أنت أبداً، فهو قد قفز بعيداً فوق قوميته السورية وعلاوته وكل ما وصمته به



(سورة ٢١ آية ٢٨) ويقول تعالى:، لتذنر
قوماً ما أنذر أبائهم فهم غافلون، (سورة
٣١ آية ٦) على اعتبار (ما) اسم موصول.
ويؤمنون أن ليس من أمة إلا وجاءها
بهيبة بالدين نفسه والرسالة نفسها،
وإن من أمة إلا خلا فيها نذير، (سورة
٢٥ آية ٢٤).

«وما أرسلنا من رسول إلا بلسان
قويم» (سورة ١٤ آية ٤).
أما استحضار المحرمات فتقول لأخ
الكاتب إن كان هناك من فئة طهرية بين
المسلمين، فهم تلك الفئة (ولا تشمل
العصر الحاضر، فهم كثيرهم وقعا
ضحايا العصر الأمريكي بأخلاقياته،
إلا من عصم ربي).

فهم ناجون كلية من افقة المواط أو
العلاقة المثلية ويعتبرونه من السلوك
الموجب لدخول جهنم. ولم تسجل على
مدى انتشارهم عندهم حالة لواط
مرفوعة. وقد كانوا يمارسون عملية عزل
اجتماعي كامل على المرأة المشبوهة
بسلوكها، وإلى الأذكار وأنا صغير قبل
المرسة الابتدائية، أن امرأة عوزاً كانت
تمشي في قريبتنا فإدانة من مكان لم
يكن غفلنا الصغير يستوبه ولا يسأل
من أين هو. وكانت تلك المرأة تمنع من
المشاركة بالخبز على التتور (عجن، ورق،
بشمال دار) وغيرها. ولم يكن يسمح لها
بالمشاركة في الأعمال الخيرية (أي نقل
الحطب، أو نقل الماء من العين) لإقامة
والتزام طعم للفقراء والهجرة في النشور
والأعياد الدينية وسواها. وأذكر أنني
سألت أمي ثم لا أتمكن من لفظة
بشاركتكم قالوا تقول: (يا بني.. لعننا
الله، روحها خبيثة، محكى عليها) لكن
لم تطعموها ما دامت هكذا؟ فكانت
الأم تجيب، يا بني الحسنة جائزة على
البهيمة فكيف بهذه الفقيرة المقطوعة
دينها على جنبها. الله يحاسبها. المهم
نحن لا نسبح لها بتدينس التي (تستحل)
فما راك، بهذه الطائفة التي (تستحل
المحرمات).



واليك، يا أخى العزيز، شيئاً من
تاريخ هذه الطائفة التي رسميتها
بالتعاون مع الأجنبي،
أولاً: هم الذين قاموا بالصليبيين

سوريا إلى إكبات، تأصل في منطقتنا
مصلحاً (وحدوى وانضالي) وحدوى
لن رفض الدولة المزعومة، وانضالي لن
رضى بها وانضوى تحت لوائها. وإن
أهلى وبني قومي الأقرين كانوا
معروفين من (الوطنيين الوجدويين)
والشاعر الكبير نديم محمد كان من
علاء الذين شكلوا فريقاً متشعباً
لقاومة تلك الدولة وشرح أهدافها
للشعب. وكانت تقوم معارك بالبرصاص
بين الفريقين.

أما الموقف من إسرائيل والاستعمار
الحديث فلا أظن أن الكاتب يهوننا
لتخوض فيه، فصير العربية مثلاً به
كما هو غيرها مبتلى، ولا أحاشي أحداً
ومهما يكن فإن سوريا لم تقم علاقات
لها مع إسرائيل حتى الآن.

وأما تهمة الشعبوية والمجوسية
فذلك بضعاً داخل لتقدمها ولم يعد
أحد يتعامل بها.

لقد تهاشيت - على ما يبدو - أن
تذكر لأدونيس مؤلف «فرطاعة، الشهير،
ألك ستديين مع أدونيس المرحوم
لطعي الخولي رئيس تحرير مجلة
«الطليعة» والرحوم إدوارد سعيد
الطليعيني المعروف، فسمنهم من
حضر مؤتمر غبرناطة ومن
حضر اجتماع كوينها السرى مع من
زعم أنهم مثقفون يهود.

نحن أدري يا أخى الكاتب أين هو
أدونيس من الثقافة والفكر والشعر
والسياسة (...). فهو قد قفز بعيداً فوق
قوميته السورية وعلاوته وكل ما
وصمته به. والحقيقة أقول لك أسفاً
أنك أسأت إلى طهرية رجا ألتقاش دون
أن تدرى، وكذلك إلى مجلة «وجهات
نظر، التي هي في مستوى رفيع في نظر
الكثيرين من قرائها المقبلين عليها بكل
احترام من سوريا.

أما صلاتهم. (...). فإني أقول لك،
إذا كنت شغوياً على الإسلام وعبادته
فكلك نفسك وتصل زق قراهم التي
ملتت جوامع بعد أن زال عنهم الخوف
وانذر واستمع إلى صلاتهم، واحضر
صلواتهم على الجنائن، حيث يشام
معظمها على قبر المتوفى قبل دفنه
ويحضرها ويسمعهم كل أصدقاء دوى
المت من سنة ومسيحيين
وغيرهم. وأنا ضامن بأنك ستراجع
نفسك. ■

ضمت جغرافياً من تلكك على حدود
لبنان الشمالي إلى النهر الكبير
الشمالي في شمالي الساحل السوري.
ومن منطقة الغاب في جوار العاصي
إلى البحر الأبيض المتوسط، وجهادياً
كان بين مقاتليه المجاهدين سنة
وعلويون وعرب وأكراد وسواهم. وإن
الثورة امتدت من أواخر كانون أيار
١٩١٨م حتى أواخر عام ١٩٢١م ما بعد
تخلي فيصل الأول ونهايته لتسلم
عرش العراق. وإن الشيخ كان شاعراً
وقد أرخ كل معركة مع الفرنسيين
بفصيدة مطولة ومفصلة. ثم يذكر
علاوته في واحدة منها. بل ذكر أنه
عربي ومسلم، ويجاهد دفاعاً عن
العربية والإسلام.

وأذكر أيضاً أنه على الترتيق

في ولايتي طرابلس وأنطاكية لأن سكان
هاتين المنطقتين كانوا آنذاك من هذه
الطائفة.

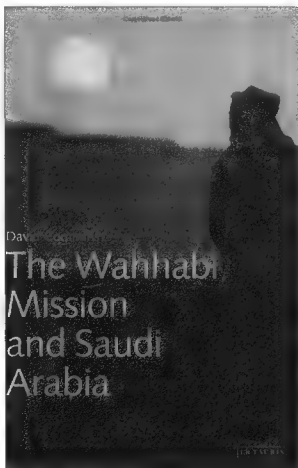
ثانياً: هم الذين قاموا بالفاتح
١٥١٦م دفاعاً عن مدينتهم حلب وما
جاورها

ثالثاً: تقول إن الفرنسيين قاموا
لهم دولة، وتنسى ما عدا ذلك. تنسى -
أو لعلك لا تعلم وفي ذلك عذر، أن
أول رصاصه أطلقت في وجه
الفرنسيين كانت من بارودة شيخ علوي
مشهور ومكرمة كدراه منذ فجر
الاستقلال إلى اليوم هو الجاهد
الكبير الشيخ صالح العلي الذي نظم
ثورة مسلحة في منطقة جبليّة تملو
حوالي ألف متر عن سطح البحر.

أدونيس يا صاحبي أخطر
بكثير مما ذكرت. لكن ليس لأنه (فينيقي)
ولا لأنه (علوي نصيري) وإن هجومك عليه
ذكرني بهجوم عبد الصبور شاهين
على نصر حامد أبو زيد

الوهابية.. رؤية غربية

بشير موسى نافع



منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر/ أيلول ٢٠٠١، تضاعف عدد الأعمال المنشورة حول الحركة الوهابية والعربية السعودية. ولكن هذا الكتاب منى على جهد بحثي مهم، كتب بلغة واضحة، وهو عمل أكاديمي من الطراز الأول. يعيد ضمناً عن أعمال الإثارة التي أغرقت حقل دراسات الإسلام والشرق الأوسط مؤخرًا وهذا عمل بالغ الطموح. يحاول تغطية التاريخ السياسي والعسكري للحركة السعودية - الوهابية منذ منتصف القرن الثامن عشر إلى الوقت الحاضر. بعض من التاريخ الذي يستعرضه كومنز استعرض مراراً من قبل، بينما يعتبر البعض الآخر جديداً ويملأ إضافة هامة. بعض جوانب التحليل الذي يقدمه يقف على قواعد صلبة، والبعض الآخر ليس بالصورة كذلك.

يبدأ تاريخ الحركة التي تعرف الآن على نطاق واسع باسم «الحركة الوهابية» مع العالم الإسلامي، الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٢ - ١٧٩٣). ولد الشيخ لأسرة من العلماء في مدينة العيينة النجدية، شمالي الجزيرة العربية، وقد تلقى تعليمه في حلقات علماء مدينته، كما في المدينة المنورة والبصرة. ويبدو أن نزعتَه الإصلاحية المبكرة قد وجدت معارضة من والده، الذي كان ابداً قاضياً حنبلياً في مدينة حريملاء، ولكن ما إن تولى الوالد، حتى صدق الشيخ بدعوته. إن الأفكار الأساسية التي استندت إليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وضعت في كتاب التوحيد، الذي كتبه بعد العودة من رحلته إلى المدينة والبصرة يؤكد محمد بن عبد الوهاب في كتابه على أن عقيدة التوحيد، مركز الإيمان الإسلامي. لا تقتصر على الاعتقاد بأن الله هو الخالق، بل أيضاً أن الله هو الحاكم والمسيطر. فكل ما كان مثلاً، لم يتركوا رغبة الله وخلقه للكون. ولكنهم رفضوا الأنظمة لحاكمية الله وتشرعيه. ويقول الشيخ، أنه عندما تكون عبادة المسلمين موجهة إلى الله وحده، عندما لا يشركون به أية جهة أخرى، عندما تنتظم حياتهم على أساس أوامر الله ونواهيه، يكونون مسلمين بحق المتوسل بالشيوخ والأولياء، وحتى

عد من المحاولات العثمانية العسكرية الفاشلة، نجحت الحملة التي أرسلها، محمد علي، والي مصر العثماني، في استعادة السيطرة على الحجاز، والتقدم نحو نجد، ومن ثم تدمير المدرسة وتقويض مصادر الحياة فيها في ١٨١٨. ولكن الحملة كانت مكلفة ودموية، وأخذت أكثر من سبع سنوات لتحقيق أهدافها، مشيرة إلى صعوبة استمرار السيطرة المصرية - العثمانية في الجزيرة العربية، وتجدد على وجه الخصوص.

الوصف الذي يقدمه كومنز لنجد باعتبارها «بقعة بعيدة ومنسية من الجزيرة العربية»، ولجتمعتها العلماني باعتبارها «سطحاً»، يعم حقنة من العلماء الجاديين، هو ربما وصف مبالغ فيه، إضافة إلى باحثين آخرين. أوضحت الأعمال التي نشرتها مضاي الرشيد أن محمد بن عبد الوهاب نشأ في بيئة زراعية، مستقرة من نجد، وليس في البادية، وأن بيئته كانت وثيقة الصلة، تجارياً وثقافياً، بالمراكز الحربية - الإسلامية المجاورة. سواء في الحجاز أو العراق وسورية. وتظهر كتابات العلماء النجديين المعارضين لأفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنها لا تقل في مستواها العلمي عن تلك التي وضعها علماء البلاد العثمانية وشمال إفريقيا. المدن النجدية في القرن الثامن عشر، بالطبع، لا يمكن مقارنتها بمدمشق أو القاهرة، ولكن بساطة الحياة الحضرية في نجد آنذاك لم تكن السبب وراء انطلاق دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. المشكلة، أنه بدلاً من القيام باستقصاء بحثي كاف لقراءة وتحليل الجذور الفكرية لرؤية الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فإن كومنز يستعير القول، التي سبق أن قدمها أحمد دلائل، حول أن «المبادئ التي قال بها ابن عبد الوهاب لا تحمل سوى القليل من المشترك مع الحركات الإصلاحية الإسلامية في القرن الثامن عشر، بل إن التصورات القائل بأن هناك دفعة إصلاحية إسلامية مشتركة في تلك الحقبة لا يستند إلى أسس راسخة». الحقيقة أن هذه القول لا تساعد على فهم التاريخ بالغ التعقيد لتطور التيار الإسلامي السلمي، الذي تعود التيارات الإسلامية إليه. كما تقف حاجزاً أمام محاولة تفسير بقاء واستمرار الدعوة الوهابية. من ناحية، الاستقبال الذي لم يكن سلبياً دائماً لها خلال القرنين الثامن.

تاريخها الذي بدأ بعد الهجرة إلى الدرعية وعقد ميثاق. ليس مكتوباً على الأرجح، للدعم والتحالف المتبادل بين الشيخ وأهمل الدرعية محمد بن سعود في ١٧٤٤. هذا الميثاق هو أساس الحركة السعودية - الوهابية والارتباط الوثيق والطويل بين الدولة السعودية من جهة وميراث محمد بن عبد الوهاب والعلماء الذي نبهوا دعوته من جهة أخرى. ومن منتصف القرن الثامن عشر، التحمت قوة السيف السعودي بقوة التعاليم التي حملها أتباع الشيخ ولأمه، حقيقة توسع الحكم السعودي وانتشار الدعوة في جهات الجزيرة العربية المختلفة. بين ١٨٠٣ - ١٨٠٤، سيطرت القوات السعودية على مكة والمدينة، لتشكل تحدياً دينياً وسياسياً لسلطة الدولة العثمانية. وبعد

بالإنبياء، هو شرك تحطيم القبور والأحجار والأشجار، أو أي شيء آخر دى صلة بالرسول، صلى الله عليه وسلم. أو بالصائفة أو الأولياء، هو شرك. والاعتقاد بالسحر أو التعويذات أو أية قوة أخرى مع الله، هو شرك.



في حقبة هيمنة الطرق والتشاهة والتقاليد الشعبية الموصوفة على المجتمعات الإسلامية. أثارت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب معارضة قوية، حتى في أوساط العلماء. وبالرغم من الدعم الذي تلقاه في مطلع دعوته من أمير حريملاء، إلا أن الدعوة لم تبدأ في

The Wahhabi Mission and Saudi Arabia
الدعوة الوهابية والعربية (السعودية)
David Commins
London: I B Tauris, 2006. 276 pp

تهتم «وجهات نظر» بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكُتّاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك، وتقدم قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ❦

التوراة جاءت من جزيرة العرب



العربية، على الموضوعه لأنها، وعلى نحو عام، لم تقع ضمن النقد العلمي حيث غلب الطابع الإداري أو السياسي على الموضوعي. ولكن كمال الصليبي عاد إلى موضوعه، مرة ثانية في كتابه الفذ حقاً «حروب داود»، وثالثة في كتاب «خفايا التوراة»، ثم أثبت اسماً كاملاً مع الموضوع في مؤلف «البحث عن يسوع».

ثم عاد مرة رابعة إلى الموضوع مجدداً في كتاب صدر بالإنجليزية عنوانه «تاريخية بني إسرائيل»، تستصدر ترجمته العربية قريباً عن (دار قدس).

ولكن صاحب الموضوع لم يتوقف عن إثارة فضائعه تلك علانية كلما سحت له المناسبة ضمن إطار علمي. هذه قبيلة تعرف أنه كتب مجموعة من المقالات باللغة الإنجليزية في بعض الدوريات اللاهوتية المتخصصة، إضافة إلى مقالات في دوريات ليست متخصصة بالدراسات الكتابية، وهي التي تحولها دفقا هذا الكتاب الجديد الصادر أخيراً، بالفتنتين العربية والإنجليزية.

«عودة إلى التوراة جاءت من جزيرة الصليب» The Arab Bible revisited، يحوى مجموعة من المقالات كتبها كمال الصليبي في الدورية التي تصدرها كلية اللاهوت لشرق الأدنى، ببيروت، إضافة إلى محاضرة ألقاها في سمث كوليدج بالولايات المتحدة الأمريكية ومقال نشرته جريدة «أبحاث» التي تصدرها الجامعة الأمريكية ببيروت، وآخر نشر في كتاب صدر بالإنجليزية أشار المؤلف إليه.

المحت الأول، المحاضرة، «ملاحظات لعوية وعبرانية حول التوراة العربية»، تعد من وجهة نظر فيلولوجية، إسهماً طليخياً في إدراك العلاقة التطبيقية بين العربية ولغة العهد القديم، المسمى خطأً «العبرية» دراسة طليخية لآلة لم يسبق لنا الاطلاع على عمل فيه. وفي هذا المجال المحاضرة يوسع كمال الصليبي العلاقة، المقطعية، بين اللغتين وأن علم الباحث العلمى العبرى باللغة العربية وصرفها وإعرايها يساعد في كل كثير من «ملاحظات»، لغة التوراة، والتي استعصت على فهم أجيال عديدة من علماء الكتاب (Biblical scholars). وقد ألقى كمال الصليبي محاضرة هذه أمام جمهور كبير من العلماء والطلاب، ولم يظهر بعدها أى اعتراض على ما طرحه أو نقد لآرائه التي ساءلت الفهم التقليدى

ما كتب، مع الاحترام لأهل العلم، لم يترك إلى مستوى علمي مسئول، ما أجبره في قضي، على تجاهل ردود العمل تلك. لكن بعض أهل الاختصاص الغربيين وجدوا أنفسهم مضطرين للتلطع عن موضوعاتهم التقليدية ومحاولة التثشير بأراء كمال الصليبي، وعندما لم يتمكنوا من دمجها علمياً فروا لتجاهلها، وهو الأسلوب اليهود الذى يتبعه بعض الحدة.

لكن كمال الصليبي لم يكن العالم الوحيد الذى طرح لتلك الموضوعه حيث سبقه إلى ذلك بعض الروحالة الأوروبيين الذين عبروا عن جزيرة العرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ولا تحظوا كثرة الأسماء غير عربية البنية، أى، التكناسية والأرامية، وإذ أبدى بعضهم ملاحظاته على المسألة، ربما غير متحررين على المضى قدماً فيها، ضمة من طرح الموضوعه بصريح العبارة متسلاً عن امكانيه أن، العهد القديم، هو تسجيل لتجربة بني إسرائيل، وليس اليهود، في فلسطين وجزيرة العرب أيضاً، ويمكن للراغب في التأكد من المسألة العودة إلى تلك الألفاظ القديمة التي أشرنا إليها في كتاباتنا عن الموضوع. سوف لن تعود إلى ردود الفعل

وصاحب أهم ثلاثة كتب عن الموضوع آخرها «داود ويسوع» يسى التاريخ والتراث الشرقى، رجب في كتاباته بأراء من خارج الاختصاص حيث رأى فيها مساعداً مهماً ليحته

كما أدنا على علم بأن أحد أهم الكتب عن جمور الحضارة الإغريقية، إن لم يكن أهمها فعلاً، وهو مؤلف «أثينا السوداء» كتيه البريطاني التروتسكى مارتى برنزال، التخصص باللغة الصينية وليس بالحضارة الإغريقية أو المصرية القديمة وغيرها من حضارات الشرق العربى، مع ذلك، ورغم أن التخصصين بالمدى، جن، جنوبهم، من ذلك المؤلف، الضخم، إلا أنه ثبت مرجحاً أساسياً عن

المادة والأمر ذاته ينطبق على كتاب جديد سيصدر عن الإلياذة يقول مؤلفه الأثالى إنها تحدثت عن غزوات آشور ولا علاقة لها بالإغريق، ومع أن الكتاب لم يصدر بعد، إلا أن الحملة عليه ذهبت بعيداً وتحوّلت إلى تهجم شخصي، وبالنسبة، المؤلف الأثالى ليس مؤرخاً وإنما شاعر مرموق في بلاده وفى أوروبا، الأمر ذاته حدث مع كمال الصليبي عندما طرغ موضوعه للمرة الأولى، ويصرف النظر عن «الطراب والمدم» اللذين نالهما في العالم العربى، فإن كل

عودة إلى «التوراة جاءت من جزيرة الصليب» أو «تاريخية بني إسرائيل» أو «هيكل داود»... فى عسير كمال الصليبي

ترجمة صحر الحاج حسين. زياد مى ببيروت: شركة قدس للنشر والتوزيع ٢٠٠٨

إن اقتراح كمال الصليبي في منتصف ثمانينيات القرن المنصرم ضرورة عد، العهد القديم، لتسجيل لتجربة بني إسرائيل التاريخية والبنية في جنوب غربى جزيرة العرب وليس في بلاد الشام أو فلسطين. لم يكن عملاً علمياً سهلاً، فطرحة هذا كان يحمل تحدياً غير مسبوق لآراء علمية ومعلمية دينية ترسخت في التراث السائد قروناً طويلة، وكون العالم الليباني صاحب الموضوعه متخصصاً في التاريخ المعاصر وليس في العلوم الكتابية، أضاف، على ما شبه لبعض، معضلة أخرى، وسلاًحاً، ثقافياً، لناقديه، وعلى نحو خاص، د، علماء التوراة، أو د، علماء الكتاب، القدس... فمن النادر أن، بجزر، عالم على المخاطرة بسمعة العلمية والمعرفة، على الخوف في موضوع شائك كهذا، معروف حتى لأهل الاختصاص باسم عى الألفاى، أو، عى العفارى، ذلك أن أى حركة علمية تكون، فائلة، علمياً

كمال الصليبي، العالم الكبير المعتبر به عالمياً في مجال تخصصه في مجال تاريخ العرب ولبثان الحديث، على نحو خاص، من العرب الفيلسفين جدا الذين اخترقوا لائحة أسماء المراجع العلمية الأساس في مجاله، وسجلت (دائرة المعارف البريطانية/ إنسيكلوبيديا بريتانكا) كتبه مرجحاً أولاً عن تاريخ العرب، مع ذلك لم يترد في طرق باب «العلوم التوراتية» عندما طرغ موضوعه الشهيرة التوراة جاءت من جزيرة العرب.

لكن لم قرر هذا الأستاذ المتمتع بمكانة مرموقة في «حلقه المؤرخين، المعاصرين المخاطرة في موضوع قال مستندوه أنه ليس من اختصاصه» في الواقع، كمال الصليبي ليس العالم الوحيد الذى يقدر حوص غمار محال علمى لا يقع ضمن مجال تخصصه المباشر، ولحق علم، حتى من أساتذة كبار، أنهم يرجحون بأن تدخل علمى من خارج المجال التخصصى لعله يعينهم على فك رموز استعصت عليهم وعلى زملائهم قديموا مسلمين المتخصص في تاريخ فلسطين القديم

مجموعة من النصوص والمفردات والمصطلحات التوراتية

المبحث الثاني يتناول بالتحليل الحدث الوارد ذكره في سفر التكوين (١٤) الذي يشير إلى حروب أبرام/إبراهيم، الذي تعدد التوراة من الآباء الأولين بهذا، وقد اهتم العلماء بالكتاب، بهذا القطع تحديداً لأنه ينقل، في ظههم، نشاطاً عالمياً خارج حدود أرض الميعاد، كمال الصليبي، فراء النص بلفظه الأصلية من دون مفاهيم مسبقة، فاكشف أنه يشير إلى ثلاث حلفاء قبلية محلية لا علاقة لها ببلاد ما بين النهرين ولا بشمال سورية، وإنما رواية إلى صراع محلي، بالتحديد في عسير، وفي منطقة جيزان الصليبي، وكما همل في كتاباته السابقة، وعلى عكس ما يدعي ناقده، فإنه لم يعتمد على بحثه على اللغة فحسب، وإنما استعان أيضاً بالجغرافية والطبوغرافية، مركزاً على خيال علمي حسب لا تقديده قيود لاعلمية



المبحث الثالث والرابع يتعامل مع موضوعين محتلفين ولكن الشخصية المشتركة فيما هو دأب من يسي، مؤسس ملكية بيت إسرائيل على ما لديه بعض أسفار العهد القديم، في المبحث الثالث، مسألة جويليات وداد، يناقش كمال الصليبي النصين المختلفين المتعلقين بمسألة داود وجويليات، ويكتشف تناقضات بينهما تجعل من الأمور غير المقبولة علمياً تجاهلها، حيث ثبت ثلاثاً (المحرر) بالانصوص، وهو حدث يتفق عليه كل علماء الكتاب، المهم في الأمر أن تحليل كمال الصليبي لبعض النصوص ذات العلاقة وإعادة قراءتها خارج تلاعب (المحرر) ثبت، من وجهة نظره أنه لا يوجد شخص اسمه جويليات وأن الرواية من صراع داود بن يسي جويليات البطشيطوني وصغرته قصة مثققة تماماً.

المبحث الرابع يتعامل مع وهو موضوع جغرافي الإحصاء الذي أمر بإجرائه، على ما يرد في سفر صموئيل الثاني (٢٤: ٨-٥) على نحو خاص، ومن خلال تتبع جغرافية تحرك الرجال الملقين بإنجازة يرى المؤلف أن العبرانيين لا يمكن أن يتطابق فلسطين، ولكن صغر، وعسير فقط.

وخصص المؤلف المبحثين الأخيرين، الخامس (المصدر، من أورشليم) والسادس (مسألة أورشليم) مسألة لم أشر على أي إشارة إليها من قبل في كافة المراجع ذات العلاقة التي اطلعت عليها. فكمال الصليبي يلمت

الانتهاء في هدين المبحثين إلى مسائل على جانب كبير من الأهمية أهمها:

• النصوص التوراتية ذات العلاقة تحدث عن وجود ما ياقل عن (٢٦) بوابية (شعر) لشفر لأورشليم، وهنا يلمت الكتاب بالنظر إلى حقيقة أنه ما من مدينة مهما بلغت مساحتها، تمتلك، حتى في عصرنا الحالي، كل هذه، «البوابات»، أما بلاد عسير، وفي المنطقة ذات العلاقة بأورشليم، فتحوى ما يزيد على (٣٥) معبراً.

• في بلاد عسير، ثمة معابر أو شعوب أو شعاب جبلية يعبرها المسافرين بين مناطق الصراة. ومع وجود اسم عريس أصيل لهذه الشعاب، أي: شفر، ذكر، بلاطح، اسمها نصبة المرح في بلاد عسير هو (الشعر/ الشعار). وهو الاسم التكماني، التوراتي ذاته. وهذا من غير الممكن أن يكون محض صدفة.

• هذا كله يقود إلى النقطة الأساس القائلة لا وهي موضوع «أورشليم، نصها». فالتوراة أشارت في العديد من النصوص إلى «أورشليم، على أنها منطقة حيث ورد الحديث عن المدينة في أورشليم، ملاحظاً هذا الأمر المهم، قام كمال الصليبي بتحليل النصوص مقترحاً شروحات وتاويلات لغوية وطبوغرافية وجغرافية، ليصل إلى استنتاج أن الاسم «أورشليم»، لم يكن يطلق فقط على مدينة وإنما على إقليم أيضاً. أما المدينة فهي، ودوماً برأي المؤلف، إما (الشريم) بمسقط النماص أو القري التواء (أوي) (السلام) قرب تنومة. أما «أورشليم» الإقليم فقد حددتها المؤلف بأنها المنطقة المعروفة باسم (سراة رجال الحجر)، وبجميعها في بلاد عسير، ولأن «أورشليم»، كانت الإقليم يطول نحو (١٣٠) كيلومتراً، فقد كان من الطبيعي أن تكون محيطاً أو مكاناً من الجهة هذه الثغور أو الشعاب.

جديد كمال الصليبي زحمة علمية ممتعة في التاريخ واللغة والجغرافية والتفكير المنطقي السليم، المسألة المهمة لنا ولقارئنا، في قننا، ليست صحة الموضوع أو خطاها، وإنما القدرة على تجاوز الذات والتحرر من القيود الموضوعة على البحث والتفكير واختراق أسوار الحرمات الخبثية خلف الحقائق، كما ناسم ما كان، ومن هذا المنطلق فإن كتاب كمال الصليبي هذا، وما سبقه من المؤلفين، وجب دعها علامة بارزة في عوالم البحث التاريخي والفيلولوجي العلمي الرصين، تلهم الصائر المهتم وتحضه على البحث والتفكير، والتأمل في ما صور لنا أنه مسلمات غير قابلة للنقاش.

زياد مني

أجمل قصص الحب

رجاء التناش
القاهرة، كتاب اليوم، ٢٠٠٨، ٢٢٢ صفحة



• قصة حب جمعها الناقد الراحل من الشرق والغرب، لشعراء وكثبات وقادة عسكريين وسياسيين وفنانين، وحديثين وتوبيق الحكيم مثلاً الذي اشتهر عنه زهرقة عن النساء، فقد كان فناناً حريصاً على حريته واستقلاله وزينته في العزلة والتأمل، وهو ما كان يجعله نازحاً من التوجه المصري، العربية في الظهور العام وفي الصفات والمزاجات والحيات الاجتماعية، إلا أنه سقط في قصص النوازل سنة ١٩٤٢، وكان عصره ذلك لا ينفذ بول هو أنه لم يتزوج من حب، إلا أنه بعد التجربة التي الحكمة الإلهية التي جعلت من الزواج سكا ومودة بين الزوجين وما هو عروة بين حزام الشاعر الذي عاش في حيز الإسلام وتوفي سنة ٦٥٠ أحب عروة أبنية عنه فغراه، وعندما طلبها للزواج طلب منه تعاضد ناقة مورا لها ليخرج من الزواج بها، فهو يعلم بما هو عليه من الفقر والاعاقة.. وقام الأب تزويجها من «آخر أكثر من وفرة» على تلبية مطالب الحب، وعند ذلك صاغ أمل عروته، حب، فحرص مرضاً حار الأطباء في صممه وعلاجه، وأبنته في المرض بعد ثمرته قصيرة بالوقت، وسجن علمت غفراء موت حببها توجعت فوراً إلى قبره وظلت تنسحب حتى ماتت في الأخرى إلى جواره وبقي من عروته شعره الذي يصمه رجاء النفاش بأنه ما، وأبنته الشعر العربي وأبنته، ومنها ما يقول مصوراً أحلامه عن حبيبته وحرصه الشديد عليها.

فياليت محباًنا جميعاً ولينا
أد نحن متنا ضمتا كعنان
ويا ليت أننا المعرف في ربي ربي
خبايا نزعنا الهم مؤلغان
هواله ما حدثت سرور صاحبنا
أخالي ولا فاهت به الشفا
وتروى الشاعرة رضاء بعضاً ما
عائته عن صفته في قننا له لقاء
ساختا مع حببها، وجن قسيدة القصيدة مجلة المحلة الأدبية التي كانت تصدر في المصنف الأول من القرن الماضي، القليلت الدنيا على الشاعر وحرصت لوصول اجتماعية جديدة، وكان مما قالته في وصف الحب الجديد
استنى فيها رقيق المني
ولخلنا لن تطوي أو توثت
فلم وكيف من أمت ها
أنا من ذكرها موت

أما العقاد الذي عرف بأنه عبو المرأة فقد كانت له ثلاث تحارب، كبرى على الأقل في الحب، فقد أحب الأدبية المعروفة، زيادة، وكان حيناً رومياً عبر عنه في بعض الرسائل والقصائد، ثم جاء حبه الثاني عتيماً وانتهى نهاية حزينته، ومن قصة الحب التي عبر عنها في روايته الوحيدة «سارة»، وهو بلع الخمسين من عمره، بدأت قصة حب مع الفنانة مديحة يسرى (عنومة خليل)، وقد فضت أحلام السينما على هذا الحب فشعر العقاد بتعاسة شديدة وأقرر ألا يسمح للحب بأن يسلب إلى قلبه إلى الأبد.

ولعل قصة حب الشاعر أحمد راسي لأد كشوة من أشهر قصص الحب المعاصرة وقد استمر حبها حتى موت اللقاء الأول بينهما في ١٩٢٤ في وقتها في ١٩٢٥، وكانت محبته ١٢٧ قصيدة صدرت تحت كوكب الشعر وهي تعرف بأنها الصنية بكل حرف فيها.

المستشرقون الألمان

رمضان السيد

بيروت دار المدار، ٢٠٠٨، ٩٦، صفحة



كانت ألف ليلة وليلة التي ترجمها الفرنسي أنطوان جالان (١٦٦٦، ١٧١٥)، هي بداية معرفة الأوروبيين غير اللاهوتيين بالعالم الثقافي الإسلامي، فقد سحرت حكاياتها مجموعات كبيرة من القاصين خصوصاً في القرن الثامن عشر، فعصر الرومانسية الأوروبية، وقد عرف هذا القرن تبايناً شافياً بين كثيرين هما الفكر الرومانسي وتيار التاريخانية الأكاديمية.

وكان الشاعر الألماني الكبير جوتة، وهو جد كار لورمانسين، قد أثر بسحر الشرق واشغل بتجلياته وهداه، وكنت، الفيوان الغربي المشرق، بين المختار. يؤكد المؤلف بعد استعراض لتبدييات الأبنية في مجال الاستشراق والتي استفادت من كتابات فرنسية وهولندية سابقة، أن الاستشراق الألماني مثل مشكلة الباحثين العرب والمسلمين، إلى غير القسط يسبب إشكاليات الاستشراق بعامة، وإنما أيضاً بسبب لغته، وكان هذا الاستشراق اللاهوتي في أحد أزمته، خصوصاً في التاريخ، والأنثروبولوجيا، واللسان، والوساطة، ودراسات الشرق الأوسط، ولتأثر بالاحتمالات الألمانية عنون كرسيا تعريباً تمت بالدراسات الإسلامية والعربية.

ويشير المؤلف إلى حدوث تطورات مهمة. الأول، هو ازدهار دراسات الإسلام المعاصرة ولهم واستيعاب طائفة الأصولية الإسلامية، وازدهار الدراسات الأدبية المعنية بالمتأثرات الأدبية العربي والفارسي والتركي، الفنية لأدب الرواية الحديث والمعاصر لدى العرب والإيرانيين والأمراء والشعوب الإسلامية الأخرى والثاني هو قيام معاهد وكراسي لدراسة الدين الإسلامي في كليات اللاهوت أو في مراكز الدراسات الإسلامية المسيحية.

أما بدايات العلاقة مع طريق الترجمة بين العرب والأفلا، فقد تمتثلت في قيام أحد شباب المستشرقين بترجمة الجزء الثاني من كتاب جورج ريدان تاريخ الهند القديمة إلى اللغة عام ١٩١٣ وعرف المصطلح أشياء كثيرة من أعمال المستشرقين إلا أن غير العلاقات الشخصية والرحلات والزيارات المتتالية بهذا المنهج يتابع المؤلف التأثرات المتبادلة بين الباحثين الألمان والعرب، وصولاً إلى الجهود المعاصرة على الحامدين

الافتتاحيات في الاسلام

حسن عبدالله
بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٧، ١٤٧ صفحة



منذ البدء، عرف تاريخ المسلمين الأحداث والقتل لأصنام سياسية وأصنام ليدخلوا إلى عالمهم ولم ينع أي من العلماء الراشدين من محاولات الافتتاح، فها هنا جميعاً بيد أعينهم، حتى أومر الصديق، بلخ المؤلف إلى قتله على يد المتأخرين من أهل المدينة، بأن وصعوا له سماً في الطعام، فأتى عليه بعد سنة. إلى ذلك يعود المؤلف، حوادث الافتتاح التي أوتت حياة العلماء الراشدين وعهد في الصحابة والتابعين، أما الطوائف عمر إلى ذلك بعد المؤلف، حوادث الافتتاح العصر واليهود، وقد أومر قلوبهم فتواتب إلى الله واليهود، وقد قتله أبو لؤلؤة الجوسي بعد أن طعمه ست قطعاً، ويذكر المؤلف إلى أن عملية اغتيال عمر تمت بمؤامرة من حركة سرية يقودها الهرمزان ملك الخويزستان الذي جره به إلى المدينة أسيراً، وقد عهوا إلى أبو لؤلؤة منتمين إلى الافتتاح، ويتحدثون عن كتب الأحياء، أما عثمان بن عفان فقد قتل في

مؤامرة متكاملة الاساع بعد أن فتحه الامويين إلى ما حدره منه عمر قبل وفاته في قتال له ابن وليه هذا الأمر فلا يرضى بين أمية على رفاق الناس، لكن عثمان لم يعزل، وعلى من شاركوا في مقتل عثمان انزل كالت بينهم وبينه خصوصية شخصية، أي أنهم لم يكونوا ينصرون لعكرة أو قضية، ومن هؤلاء محمد بن أبي بكر وعمر بن ياسر وغيرهما، وقد عاب الثائرون على عثمان أنه استعمل اقرباءه، فكان في الشام معاوية بن أبي سفيان وفي البصرة سعيد ابن العاص وفي مصر عبدالله بن أبي السرح، وكان بعض من ولاته مصدر شكوى المسلمين في هذه الولايات.

وأما علي بن أبي طالب فكان صريح الفتنة الكبرى بين الهاشميين والأمويين، ومن هذه الفتنة الكبرى ولد الحوارج الذين دبوا أمر الخليل على، حتى قتله عبد الرحمن بن ملجم وهو في طريقه إلى المسجد ليصل إلى الناس. وقد عرف تاريخ المسلمين صوراً شتى للافتتاحات والقتل يوردها المؤلف، منها اغتيال الحسين بن علي والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله وعمر بن أبي بكر ومروان بن الحكم والبراء بن خازم ابن الوليد وعمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين وكثيرين غيرهم.

جذور الأصولية الإسلامية في مصر المعاصرة

أحمد صالح الملا
القاهرة دار الفكر والوثائق القومية، ٢٠٠٨، ١٤٢ صفحة



محور هذه الدراسة هو إسهامات الشيخ محمد رشيد رضا ومجلته، المنار، في تكريس بيار الفكر الأصولي، بعيداً عن التوفيقية التي جعلها الإمام محمد عبده من خلال دوره في حركة الإصلاح الإسلامي وصورته لتوافقها مع الحياة الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. صدرت مجلة المنار في العترة من ١٨٩٨ وحتى ١٩٣٨، واختتمت بوفاته الشيخ رشيد رضا والهدش أن هذا التيار السلفي الجديد خرج من أعناق حركة التجديد الإسلامي التي حمل أواها جمال الدين الأدهاني ومحمد عبده من بعده، وكان لهذا التيار فكره السياسي والاجتماعي الخاص، يمتد في مناقشته للعديد من القضايا المهمة، وخصوصاً تلك التي

تتناول علاقة الدين بالدولة والديمقراطية والخلافة وتعليم المرأة وحجائها، والتعليم الفني وصقلته بالتعليم الحديث، وكذلك رؤية هذا التيار لتجليات الخلافة، وما أنتجته من فكر في مجالات مختلفة. ولكن رأى الكاتب أن فكر رشيد رضا ومدرسة المنار كان رد فعل دفاعي لتوجه التهديد العربي، ومن ثمة فقد حملت هذه المدرسة عبء الدفاع عن أسس المجتمع التقليدي في مواجهة المخاطر التي تمثلها، من وجهة نظرهما، هذه التيارات الوافدة.

ويشير المؤلف بين استنتاجاته إلى هشاشة المحتوى التوفيقي لعكر المنار، فقد قبلت المنار الجوانب العملية والتقنية لحدادة باعتبارها وسائل قوة تفيد المسلمين في صراعهم مع الغرب، لكنها من ناحية ثانية رفضت الأفكار والقيم التي طرحها العالم الغربي الذي أنتج هذه التقنيات. من هذا المنطلق، رفضت المنار فكرة سيادة الأمة التي يقوم عليها جوهر الديمقراطية، فيما قبلت فكرة الديمقراطية ذاتها، ورفضت الدولة المدنية الحديثة كما جسدها مصطلح كامل في تركيا، والهدت من الخلافة كمكرة ونظام، وبقيت نظرتها لمرآة تدور في الإطار الموضوعي الكلاسيكي الذي يرى المرة موضوعاً للجنس حسب، وبقيتها في مرتبة أدنى من الرجل، وفي التعليم، قاومت أشكال التعليم الحديث في مقابل دفاعها عن التعليم المدني في التقليدي.

وفي تفسيره للإشكالات التي واجهها الإصلاح الإسلامي الحديث، يرى المؤلف أن أهم هذه الإشكالات هي ضعف القاعدة الاجتماعية للقائمين عليه، فهي بالأساس قاعدة، قبل برجوازية، ولذا حكم على هذا الإصلاح أن يظل من محصلته الخاصة إصلاحاً متروكاً وضامياً، وعاجزاً عن بناء تصورات جديدة لبنين تتسم بمحاصل المجتمع البرجوازي الحديث.

شوة الصورة

بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، ١٧٤ صفحة



تتضمن البحوث التي يضمها هذا الكتاب بطور وسائل الاتصال والتوسع دائرة التأثير

المباشر للإعلام وخطافه في صياغة أسلوب حياتنا اليومية، وببناي الصنيع المختلفة للوسائل الإعلامية، ومدى القدرة الفاعلة في ممارسة الرقابة والتلاطحة.

والجيرة البارزة في هذه البحوث تكمن في أنها تكشف، عبر مقاربات منهجية، المستور عن واقع الصحافة العراقية في زمن الاحتلال الأمريكي، ودور وسائل الإعلام في الانتخابات، وحروب المعلومات الإعلامية، ودور الفضائيات، في تحقيق الوعي لقيم المجتمع المدني، مع رصد التقادير لتغييرين الواقع في المنطقة العربية، إضافة إلى العناية بإشكالات علوم الإعلام والاتصال والتعكساتها على واقع البحوث العربية.

وتل الأهمية للتحليل التي تستوجب الإشارة إليها هنا هي أن هذه البحوث تتنوع من حيث طرق البحث، لكنها تتنوع في وحدة الهدف، أي قدرة التأثر والتواصل، ومسؤولية المهنة والأخلاق، في مجتمع عربي يعيش أزمات داخلية وخارجية، تدفعه إلى التساؤل والبحث عن الحقيقة، فقد بات نقل العلوية والشاهد وواقع الحوان والنصوص التحصيلية، وتسويق الخبر والترويج الإعلامي، وسوي ذلك من وسائل التماثل والتمثيل، علماً وفناً، وتقنيات متطورة، إضافة إلى ما للسلطة من أثر فاعل في صناعة هذا القطاع الحيوي.

الشرق في الغرب

حنا عودي
ترجمة محمد الخولي
بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٨، ٥٧٤ صفحة



على مدى فترات من التاريخ الأوروبي، كان ينظر إلى الشرق على أنه كيان سامك، أو متخلف، بمعنى أن مؤسسته لا تتم بحصائص تحول دول التحديث. كانت هذه هي الافتراضات التي انطلق منها مراكز وفير في دولة أياها الأمريكية، والتي تعومها كثير من الذين ادعيتهم المعجزة الأوروبية، والطابع الفريد للعرب.

بيد أن حاله سعودي يشهد هذه الافتراضات، لتبدأ من المهم الذي ينص بأن معالمة العرب الخاصة هي التي أفاقت لها، وليس، لهم، أن يأخذ بأسباب التحديث، أما العوامل التي يتأثر بها أحد من تطور الشرق، ومن ذلك مثلاً دور الأسرة

واشكال المعاملة، فقد لقيت بمعالجة واسعة النطاق. وهذه الفكرة الأوروبية شملت في تفسير أسجلات الحادثة التي أجراها الشرق، كما أنها تسمى تفسير تاريخ العرب. من هنا يبدأ كتاب الشرق في الغرب، في تحقيق التوازن، ومن ثم فهو يشكل تحولاً أساسياً في نظرتنا إلى التاريخ والمجتمع في العرب والشرق على السواء. وجمال غودي: أحد أشهر أساتذة الأنثروبولوجيا الاجتماعية في جامعة كامبريدج ودال جوائز وتقديرات عالمية كثيرة، وفشر عشرات المؤلفات.

الصراع في الشرق الأوسط من هيرتزل إلى شارون
لنسيون: طاهر شائ
القاهرة: مكتبة الشرق الدولية، ٢٠٠٨

٢٣٠ صفحة



قلقت إسرائيل الأسرى المصريين العرب بدم بارد ووحشية شائعة. أمرت بحفر قبرهم بأيديهم واطلقت الرصاص على رؤوسهم، طرقت سيجارة الصم وخمسائلة فلسطيني في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ يمثلون الغالبية العظمى من أصحاب البنادق، واستولت على منازلهم وأسكنت فيها المهاجرين اليهود القادمين من شرق أحياء العالم، والذين أعطتهم حق الهجرة والإقامة والاستيطان في الوقت الذي حرمت فيه اللاجئين الفلسطينيين من العودة إلى منازلهم وممتلكاتهم.

وقد أعلن دافيد بن غوريون أن يهودا قامت بأدم والآخر وأن يهودا ستقوم بأدم وأمان وعقب بكل هذه الاستثمار، فاشاً. وتزاول من الصهاينة، التفتت الإسرائيلية التي كتلت بالصليبيين، ولقام حادراً حديثاً لترويضهم وإخضاعهم للمشروع الصهيوني. ورفضت إسرائيل تقديم أية تنازلات للعرب، حتى يتحقق السلام في الشرق الأوسط.

وفرست احتلالها الطويل. لأكثر من أربعين عاماً على الأراضي العربية، وصرفت لاقولون الدولي وقرارات الأمم المتحدة جميعها عرض الحائط. ولا تزال ترفض يد العرب التي تعرض عليها لإقامة العلاقات معها في حالة انسحابها من هذه الأراضي وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة في أراضي الضفة والقطاع بإصابتها القدس وحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين حلاً عادلاً.

قامت بمصادرة أراضي العرب ونساء المستوطنات الفلسطينية فيها. واستولت على مصادر المياه وحرم الفلسطينيين منها. وعاملتهم وحشية بالغة وأعلنت فيهم القتل والتعذيب والاتصال وعدم المنازل واتخاذ القرارات، الأمر الذي يعرض للتساؤل عن أسباب هذه الكراهية وهي الدولة الوحيدة في العالم التي تصدر قانوناً يبيع التعذيب لتمامه ضد العرب. وقد قامت بتسليم جيشها بأحدث الأسلحة التقليدية والأسلحة الدمار الشامل ليكون أقوى جيوش المنطقة. وتكون دوله إسرائيل الوحيدة التي تملك السلاح النووي فيها. ووجدت إسرائيل في الدول الكبرى حلفاء يدعمونها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

ومع ذلك تطالب بحدود أمية على حساب الدول والنفس العربي. والواقع أن إسرائيل قد اتخذت منذ قيامها وعلى مدى تاريخها سياسة عنوانية لا هودة فيها تجاه العرب. وافلتت كل الأصاى التي بذلت من أجل تحقيق السلام في الشرق الأوسط. وهذه ظاهرة تستطلب الدراسة الموضوعية وخاصة لحالة التصرف على أسباب هذه الظاهرة المؤدية. وكما كانت إسرائيل قد اشتت تكون دولة لليهود. تحقيق الهيبت تعذيب لشرح ميسوني له أهدافه ووسائله. فإن دراسة هذه الأسباب تقتضي استعراض أسس الديانة اليهودية وعقلانها، وإلقاء نظرة سريعة على التراث الديني والتاريخي لليهود، بحث ثم ظروف نشأة الحركة الصهيونية وأهداف المشروع الصهيوني ووسائل تنسيده، وخاصة المهاجرين الإزها.

أن ترحل
الطاهر بجلاون
ترجمة من الفرنسية بسام حجار
المركز الثقافي العربي - أقدار البيضاء، ٢٠٠٧، ٢١٧ صفحة



مجد ومع الكساد الاقتصادي وبياده هذه السكان والمعلمين منهم يحاول كثير من الشباب الهجرة إلى العرب والتي يسمونها بتجلاون، هوس الهجرة، والتي هي غير متاحة قانونياً. هناك بلدان العديد من الشباب إلى ركوب أخطار كثيرة في نوى بحياتهم للعثور على حياة أفضل. يعتقد بعضهم أن فرص العمل وجمع المال متاحة وسهلة. لكن الواقع غير ذلك. هذا ما يرضه بنجلون في قصته، أن ترحل.

هذه القصة عمل مهم في أدب المهجر الحديث، حيث يتوغل الكاتب في تحليل واقعي وشيق إلى كل ما خلا ما يحدث في بلادنا، حيث يزداد السطخ على الحكومات التي يبدو أنها عاجزة عن القيام بفعاليتها ولكنها متمسكة شدة بالبحث في الخطى التي اتخذها ما يحدث في المغرب حيث تزداد أحداث الرواية إلى ما يتعرض له المهاجر في بلاد الغرب من مطاردة قوابع الأمن وصعوبة وجود أعمال الأجر الذي يلجأ معه البعض للفساد وللأجور المخدرات أو قبول أعمال تفتافي والمطروح المخرج من الهجرة هذا بينما يتحده البعض إلى مجالات التطرف الإسلامي القصة مكتوبة بأسلوب سهل ومباشر. على لسان بطل الرواية، عارل، يقول: لقد درست الحقوق في بلد مجهول الحقوق. متظاهراً بفرض احترام القانون، بينما يقول ممثل التيار الإسلامي، أذا أعلم ذلك لكثيرين من الترابك الهوسوس بعكرة الزحل ومطاردة البلاد. هذا سهل ولكنه محفوف بالمخاطر. أوروبا لا تريدنا. الإسلام يخطئنا. التمييز العنصري هو السائد فيها. مشكلتنا تتطلب حلولاً متنا هنا الآن... بينما يصف الكاتب حالة المغرب فيقول: هوذا المغرب فيه من كل دجون كالمسوين يعضون لأنهم اختاروا الاستقامة. هؤلاء يأتي على تكريمهم بينما هم يستحقون التأييد، لأن استقامتهم هي التي تقي اليك. كما أنها الآخرون وهم كثرة في كل موضع واحتياج في جميع الفوارق. لأن الفساد هو بلادة العزيرة هو الهواء الذي نستنشق. في الفساد ينحس من صامتاً، هو على وجوهنا. وفي رؤوسنا. وهو كامس في فلولنا.

مستقبل التعليم العربي
محسن حصر
القاهرة: دار المصرية للنشئة، ٢٠٠٨، ٢١٨ صفحة



أما الكثرة التي يرى أنها مؤلثة محدده بالتعليم العربي فهي العولة. ناليتها المباشرة الكاسحة وإساليبها الناعمة معاً، مما يحضرها في تشكك الاستثمارات العربية وتزعزع الثقافة الوجيهة من مضمونها. ومن قلة يؤكده على أهمية التزام التعليم في سياساته ومبادئه ومنهجية قصية الهوية كإلزامية مطلقة.

ليكون. بحسب ما يشير الدكتور حامد عمره في تقديمه. تعليمها للهوية وتعليمها للهوية. أو بحسب تعبير المؤلف نفسه. تعنى التربية على الهوية تأسيس الوعي كدياية. وتمكين الهوية كدياية. وسحلول الإمكانات إلى قدرات ومكسات. والنسب بالقبليات وسبل التمثل عليها

ولذا، فإن المؤلف في القسم الأول من الكتاب يعالج مختلف مفاهيم الهوية ومكوناتها، واستجابات التربية لتحولاتها إزاء ضغوط العولة، ويلاحظ المؤلف أن العولة أبغضت هويات قديمة وفشوية وعشائرية وأشيء ومذهبية كانت نوات وراء حكم الدولة العولة. وهو ما أدى إلى تصغير حروب القوياس. وفي البلدان والجمهورية التونسية القديمة. وفي إفريقيا بين الهوتو والتوتسي. وكذلك في السودان والعراق والحران. وفيما يتعلق بالوضع العربي، فإن شمة الناق على تارم واقع الهوية العربية وخاصة في ظل: لامة الفكرة القومية أو الهوية الحامية حيث أعترضت رؤوساً للتربية في ظل الإحباطات المستمرة منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ (..)، في الإحباط عززته جهود الدولة المصرية في تسخير نفسها، وإصعاف الشرعية الميالة على حقيقتها

ويصعب الهوية سؤال مستتب كما هو سؤال ماصوي. وفي حدة الهوية العربية القومية، وفي جبهة والتمتاض على المستقبل يكون بتحقيق المشروع السياسي الوجودي الذي يسعى إلى إيجاد الدول المتخاطبة مع الرقعة الجغرافية للامة.

وحين يناقش المؤلف في القسم الثاني أزمة الجامعات العربية، فانه يبدأ بدورية الفيلسوف التشكيكي جاك دريدا الداعية إلى ضرورة أن تستمع الجامعة بحرية غير مشروطة. تتجاوز من حالها، سلطان الدولة ومضوق العولة وتشركا العلاقة متعددة المستويات ومؤسسات التمويل الدولي. يستعمل المؤلف، رسالة قبل أي شيء، في حق وهي الإطار يعود المؤلف إلى عديد من التقارير الدولية التي ترصد حال الجامعات وكيفية النهوض بها وتحسين استقلالها، مشيراً إلى ضرورة الانتصاح على كل التيارات ومراكز العلم، فالحرص على الهوية ليس مرادفاً للتلفوع والحصار. ويصدر المؤلف فصلاً خاصاً بعنوان الأخلاق التنشئة للمعلم، وهي طاهرة عالية متمايزة. إذ تتعدد مسؤوليات المعلم، وتتداخل فيها المياساة والس والاعطاب والإدارة والعصول وإمكانات التعليم وضعت الرواب وضبط السلوك الأخلاقي وغيرها، وهو ما يؤدي إلى عدم الضغوط السلبية للآخرات التنشئة للمعلم ومياد السببية وتراجع دوره

الحاصية المتوابع التلفزيونية سواء الصانعة أو الاصلية. كما أن افواير بعض الدول اتاحت إنشاء قنوات تلفزيونية خاصة.

وفي منطقة مستقلة والمسا بالعصارات كمنطقتنا فإن القنوات التلفزيونية المختلفة تصبح قنوات اسمية وليس للحالات بل طرفا أصليا في بعضها بناء على سياسة القناة أو توجه القائمين عليها. ويقدم كتاب التلفزيون العربي اليوم تحليلًا لبناء المتحول والاختيارات المختلفة داخل محطات التلفزيون فيما يخص البرامج الترفيهية والأخبار معًا.

ويحاول الكتاب فحص التأثيرات المختلفة التي يمارسها ملاك القنوات والمستثمرين والصنوبرين وشركات الإنتاج والمحتوى والتأثير على الحملات الرقابة ومقاومتها على بعضهم البعض وعلى ما يقدم على كفاءة سواء للاستهلاك المحلي أو للتصدير للخارج.

ويرى الكتاب أن قناة الجزيرة مع أنها صاحبة الاسم الأشهر، إلا أنها ليست إلا لاعباً واحداً في مجال شبكة الأذاعات، حيث تبقى الشبكات التي تتحكم في القرارات غير واضحة.

وتقوم الكاتبة نغوس صقر بالبحث في كيفية تأثير المنافسة على علاقات القوة بين المجموعات المختلفة الفاعلة في قطاع التلفزيون وبينهم وبين المشاهدين.

كما تمقص تأثير القبول الاجتماعي لبرامج مثل مسابقات الغناء، صغار الكوميدي أو سوبر ستار ودرجة التشجيع أو التقليل التي تتسبب فيها لبناء وتطوير قوائم محلية للبرامج.

والسؤال الأهم في الكتاب، بل يعني التناهي من منح تراخيص خاصة للقنوات التلفزيونية أن هناك تحولاً جزئياً نحو تواصل أكثر مصداقية وصرامة بين الحكومات والشعوب.

Case of Exploding Mangoes A (قضية المانجو المتفجرة)

Mohammed Hanif
Knopf, 2008 336PP, \$24.00



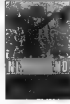
في السابع عشر من أغسطس عام ١٩٨٨، الطيارة باك ١٠١ التي تحمل الديكتاتور الباكستاني، صغار صياء الحق، على منطها وبعد كبرير من الحيش، تسقط محطتها ليموت كل ركابها.

محمد حنيف يغوص في القصة

Nixonland

(أرض تيكونسون)

Rick Perlstein
Scribner: 896pp, 2008



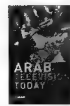
لقد كانت الاعوام بين ولاية الرئيس الأمريكي ليندون جونسون عام ١٩٦١ وبين ولاية تيكونسون من أكثر الفترات في تاريخ الولايات المتحدة فوضى. كانت الحرب الفيتنامية مشتعلة وتبدل بناها نهاية زعم عدم شعبي. وانتشرت في تلك الفترة الاصطرابات الداخلية المحلية العنيفة والاعتقالات والاضطرابات الاجتماعية والشائعات إلى أغلبية صامتة الخجولتين متساكنين سياسيين يستعملون بالعارك القاتلة وإن كانا قد انهيا تلك المعارك شكل مخجل. ويقدم الكاتب في كتابه أرض تيكونسون، عرضاً لأحداث يوليو ميلو ميلو الكشوريين على عكس كتابه السابق قبل العاصمة Before the storm الذي كان أكثر تأثيراً لأنه أتى بمعلومات جديدة وغير متوقعة مثل تحليله أن النواح الساحق للمحافظين داخل أمريكا في الوقت الحالي يعود إلى الهيمنة المزعومة للمرشح الجمهوري بارى جولد واتر عام جونسون عام ١٩٦٤. ومع ذلك فالكتاب مشوق وعلمي ما لم يستجد.

ومع أن لبرستين كاتب بارع إلا أنه محاييد جداً كمرشح فهو يتنازع في توصيل الحبيب الصادر من الجهتين بشكل متع. فهو لا يتنازع مع سفيرة تيكونسون ولا مع سداقة الليبراليين مثل صمد نيو بورك جون لينداسي. سيعبر في هذا الكتاب في عام الانتخابات أن العثرة الحالية أكثر دبرية ودعة من تلك الاوقات ولكن يبقى لنا صدى من تلك الامام التي سببت الانقسامات لايزال حاصراً حتى الآن.

Arab Television Today

(التلفزيون العربي اليوم)

Naomi Sakr
AUC Press
262pp, 2008



تزداد في العالم العربي عبر السنوات

الحسين الذي كان إحدى المتناح التي تم حافلها لعقد كامل من العقوبات الدولية. وقد قامت الختانية بإجراء مقابلات مع ضاء من مختلف الاعمار والقطاعات لبيان مدى تأثير العقوبات الاقتصادية على العلاقات داخل العائلة. العنف التوعى. المتوابعات المنزلية والعادات العمل والتوظيف. وتبين الكاتبة أن العقوبات الاقتصادية قد سميت عبر تقييد فرص المرأة على المشاركة في التعليم والقوة العاملة في تعزيز النظرة المحافظة للأدوار المتوقعة بكل النوعين كما ترى الكاتبة أن العرف قد صمد من الانتقالات الطائفية مضاعفا المشكلة الأصلية. وتستخدم الكاتبة الأساليب الجينية العلمية وفهراتها المبرزة على الصعيد النظري في تقسيم ورسم الإمكانيات المستقبلية للنساء في العراق.

Cell Block Five

(عشيرة خمسة)

Fadhi Al-Azzawi
AUC Press: 108pp, 2008



فائل عزاي شاعر وروائي عراقي وقد اصدر عام ١٩٧٢ رواية بعنوان، عشير خمسة، كان قد كتبها في العام السابق ولكنه لم يقدر على نشرها داخل العراق. والرواية تتأثر من النقاد الأولى للكتابات التي انتشرت فيما بعد من تجربة المصح في العراق وقد استوحى الكاتب روايته من تجربته الذاتية. يمثل الكتاب عبر محمود سعيد شاب لا يزال يتم الغاء القبض عليه بالخطأ من أحد المقاهي. تبدأ الرواية مع تحويله للسجن لمدة ثلاثة أيام من القبض عليه وهناك يعرف أنه أخذ بالخطأ مكان شخص آخر يحمل اسم والده محمود سعيد. يشتبه عزيز برمولانه في عربة الترحيلات التي نقلته إلى

المصح محبس معهم في العتير الذي طلبوا التوجه إليه وهو العتير رقم خمسة، حيث يتنظرون الآخرون من غير توجهم سياسي. ومع أن عزيز لم يتهم رسمياً ماى تهمة إلا أنه يجبر على التأقلم على السجن لعشرات طويلة وخلال فترة سجنه يعود المسجونين السياسيين ومصادقة ويخبرونه بالحلم بمديته تحمل اسمه. أما مشرف السجن فيشجعه على التفكير في أي جريمة مسجلة يمكنه الاعتراف بالقتلها كي يتم اتهامه رسمياً وبالتالي الحكم عليه، ثم اطلاق سراحه.

Gendering the Middle East

(نقطة على الشرق الأوسط)

Deniz Kandiyoti ed
AUC Press
177pp, 2008



فتحت الدراسات الهتمسة بالوع مجالات جديدة لإعادة فحص العلوم الاجتماعية والإنسانية وشجعت على نقد وإعادة تقييم التفسيرات التي وصفت لاختلاف المجتمعات، ولكن الأمر ليس بنفس القدر من الشيوع عند الحديث عن الدراسات المتعلقة بمنطقة الشرق الأوسط. يرى الكتاب أن الكتاب والباحثين العاملين في المنطقة قد سيطر على أبحاثهم ومنهجهم لفترة طويلة. الاهتمام بدراسة دور الإسلام أو تحدى الصور النمطية التي تسبب فيها تراث الاستشراق ويشجع بالتالي أن كانوا قد استجابوا للتصديقات وعثرها مؤثرات النوع مكون في الثقافة والوعي ويحتل كتاب تنوع الشرق الأوسط عملاً رائداً في فحصه لدى نجاح دراسات النوع في إثراء وتحدي وجهات النظر الراسخة حول الثقافة والجنس واللاتنوع الأنثى في الشرق الأوسط. وقد قام بالبحوث المختلفة في الكتاب كاتبات متخصصات في مجالات التاريخ والعلم تطور الإنسان وعلم الاجتماع السياسي والعلاقات الدولية والنفذ الأدنى لبيان كيف يمكن للتركيز على النوع أن يعدل من وجهة نظرنا إلى العلوم المختلفة وفهمنا لمنطقته.

Women in Iraq

(النساء في العراق)

Yasmin Hussein Al-Jawaberi
AUC Press
228pp, 2008



مند العزو الأمريكي للعراق وسقوط نظام صدام حسين، دخل العراق كاتبا مجال متحدر العنف والتخويف ضد النساء. ولكن حقيقة الأمر كما توضح الكاتبة ناسمين حسين الجواهرى أن ما حدث ليس محاييد وإنما هو نجاح طبيعي للندهور في العلاقات بين

Women in Iraq

(النساء في العراق)

Yasmin Hussein Al-Jawaberi
AUC Press
228pp, 2008



مند العزو الأمريكي للعراق وسقوط نظام صدام حسين، دخل العراق كاتبا مجال متحدر العنف والتخويف ضد النساء. ولكن حقيقة الأمر كما توضح الكاتبة ناسمين حسين الجواهرى أن ما حدث ليس محاييد وإنما هو نجاح طبيعي للندهور في العلاقات بين

يشترك، جيمس براغ، خبرته الحياتية عن الأشياء مع القراء، وهو موضوع قد يكون مرغبا للبعث وخياليا للبعث الآخر، ولكن «براغ» يرى أن هناك تفسيراً لكل ما ليس له تفسير في الحياة. براغ يتحدث الجميع حول كيف ستكون حياتهم أفضل إذا فهموا عالم الأرواح، بتفاصيل دقيقة ومعلومات مفصلة يقدم «براغ» وصفاً لعالم ما وراء الحياة، عالم الأشياء.

The Whole Truth

(الحقيقة كاملة)

David Baldacci

Grand Central Publishing, 2008, 416PP, \$26.99



«ديك بيلداسي، إله الحرب، وتاجر السلاح، والمدير الناجح لشركة سلاح من أكبر الشركات في العالم، بارغ في صنع الحرب، يستمتع التلاعب في أي صراع، وجلب الحرب. يدبر جهازاً يتطلع أجهزة المخابرات العالمية.

«شوا» رجل بامض فريد، يحصل أجنحة مختلفة، يعمل لصالح وكالة استخبارات دولية، ويصوب العالم من أجل السلام.

كايتي جونز، الصحفية النشطة التي تفعل أي شيء من أجل مهنتها، التي تحصل على فرصة عمرها بمقابلة الناجي الوحيد من مذبحة عطية.

في عالم كبير، هل من فرصة لتقابلهم، هل سيتقابل مصيرهم يوماً ما؟ هل الذي يمكن أن يتغير في العالم إن تقابل هؤلاء الأشخاص؟ وما الإشارات التي سيسمح لهم باللقاء؟

هذا ما نعرفه في الحقيقة الكاملة.

The Back of the Napkin

(ظهر التديل)

Dan Roon

Portfolio, 2008, 288PP, \$24.95



«دان روم» المستشار الإداري، طلب منه

Love the One You're With

(حب من أنت معه)

Emily Giffin

St. Martin's Press, 2008, 352PP, \$24.95



كيف تعرف أنك وجدت حب حياتك؟ وهل تستطيع فعلاً أن تحب من أنت معه، في حين أنك لا تستطيع لسيان حبك القديم.

في هذه الرواية تطرح «إيميليس جيفين» صاحبة الرواية الأكثر مبيعاً شيء، مقترض، وشيء أرق، ودليل على الطفل، أسئلة عديدة عن الحب الحالي ولسان الماضي.

كان صام الفيلين واندس الأول في زواجهما ممتازاً، لم يكن هناك شك في مدى تغافلهما في تلك العلاقة، وكان كل منهما يرى أجمل ما في الآخر ولكن يوماً ما، أيلين رأت حببها السابق ليو التي لم تكن قد سمعت عنه لثمان سنوات، حببها السابق الذي كان تركها معذرة بدون إقرار ولا تفسير، حببها السابق الذي لم تستطع أبداً نسيانه.

يُضجر ظهور ليو في حياة أيلين مشاعرها، تبدأ في سؤال نفسها، هل هي تعيش الآن مع الشخص المقرر لها العيش معه؟

Ghosts Among Us

(الأشباح بيننا)

James Van Praagh

HarperOne, 2008, 224PP, \$24.95



الجميع يحبون هصص الأشياء الجيدة، ربما بسبب افتتان الإنسان بالظواهر فوق الطبيعية، وربما لأن كلا منا في وقت ما من حياته، قد مر بتجربة لا يمكنه تفسيرها.

منذ سنوات طفولته، «جيمس براغ» كان على دراية بأبعاد لا نعرفها، وهو أمضى عمره ليشرحها للآخرين الذين لا يستطيعون رؤيتها، هذه الكتاب يأخذنا في رحلة في عالم روحاني سيطر الضوء على واحدة من أكبر الغزأ الكون، ماذا يحدث بعد أن نموت؟

ليبلغوا فيها خبرتهم إلى أن تلاميذهم والجمهور الذي لا يعمل عادة من السؤال الكثر دائماً، عن الحكمة التي يريد الأستاذ تقديمها إلى العالم في محاضراته. «راندلي بارش» أستاذ علوم الكمبيوتر بكارنيج ميلون طلب منه تقديم مثل تلك المحاضرة، لم يكن عليه أن يتخيل أن هذه محاضراته الأخيرة، فهو بالفعل يعلم أنها كذلك، حيث كان قد اكتشف نقصي السرطان في جسمه، وكان يعلم بقرب أجله، ولكن محاضراته التي ألقاها لم تكن عن الموت، وإنما كانت عن الحياة، المحاضرة بعنوان «تحقيق أحلام طفولتك»، وكانت عن كيفية تخطي عقبات الحياة، كيفية تحقيق أحلام الآخرين، الاستمتاع بكل لحظة في الحياة، لأن الوقت هو الشيء الوحيد الذي نملكه.

في هذا الكتاب، يجمع راندلي بارش، ما قاله في محاضراته الأخيرة من الإلهام، ودعاية، وخبرة، وتحفيز.

The Post-American World

(ما بعد العالم الأمريكي)

Fareed Zakaria

W. W. Norton, 2008, 288PP, \$25.95



هذا ليس كتاباً عن بداية زوال القوة الأمريكية، ولكنه عن زيادة قوة الآخرين، فريد زكاري، كاتب النيويورك، المروف بعد كتابه الأكثر مبيعاً «مستقبل الحرية»، رأى بهذا الكتاب لينتاش علماً جديداً ما عادت الولايات المتحدة تسيطر على الاقتصاد، وتحكم في جغرافيته السياسية، أو حتى تؤثر على الثقافات المختلفة، عالم صعد فيه العديد من الدول مثل الصين والهند والبرازيل وروسيا، ليبدؤوا إعادة تشكيل العالم من جديد.

الآن، أطول العمارات، وأكبر السدود، وأكثر الأفلام مبيعاً، وأكثر الهواتف المحمولة تقدماً، والعديد غيرها، قد صنع وطور خارج الولايات المتحدة.

هذا التقدم الاقتصادي يراه زكاري نائجا من الثقة السياسية والعكرامة الوطنية والوسط في الخائات الموقلة، لذا يقدم زكاري ما كان الكتاب إجابات لأسئلة مثل، كيف يجب أن تفهم الولايات المتحدة هذا المناخ العالمي الذي أصبح سريع التغير؟ وما المعنى الحقيقي لأن تعيش وتعيش عصر العولمة؟

ويحقق في أسباب وقوع الطائر، هل كان السبب عطفاً ميكانيكياً أم كان حادث مدبر، وهل لحدادته علاقة بإطاحة محمد ضياء الحق بدو القطار على يوتو. في هذه القصة الطيار الصغير «علي الشجيري»، الذي توفي في اليلد في ظروف ظهرت كحالة انتحار، ولكنه كان متأكداً أنه قتل من قبل الجسراً، ضياء الحق، ليقرر أن ينتقم من راحته.

The Revolution

(الثورة)

Ron Paul

Grand Central Publishing, 2008, 192PP, \$21.00



في هذا الكتاب، رون بول عضو الكونجرس الأمريكي، والمرشح للرئاسة، يفضح الحقائق وراء كل شيء، يهدد الولايات المتحدة، بدءاً من الأسباب الحقيقية وراء انخفاض الدولار الأمريكي، إلى كلفة التضخم، ومن الإرهاب إلى فقدان الأمريكيين لحريرتهم المدنية.

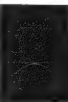
يرى بول أن الشعب الأمريكي قد كذب عليه بشأن مواضيع عدة، فاضراباً لثريد، والتضخم يرتفع، وحروب أخرى ليس لها سبب يعد لها، وهو ما يراه بول ليس ما كان يتسمه الألباء المؤسسون للدوليات المتحدة، فهم وضعا الدستور الذي يحدد في رأي بول أن يتحول إلى وثيقة تاريخية، له على الرغم من تجاهل الإعلام له في حملته للرئاسة إلا أن بول قد جذب حوله الشباب واصبح له مؤيرون عدة، وهي الظاهرة التي أحدثت العديد من الحلول السياسية.

The Last Lecture

(المحاضرة الأخيرة)

Randy Pausch

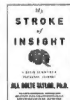
Hyperion, 2008, 224PP, \$21.95



العديد من الأساتذة يقدمون محاضرة بعنوان «المحاضرة الأخيرة»، حيث يطلب منهم أن يخبروها أم محاضرتهم الأخيرة،

أما الأكثر موضوعات الشخصية المثيرة للجدل والتقصية في كتاب والتر فكانت اعترافها بإقامة علاقة مع السيناتور الأمريكي من أصل إفريقي، أودارد برونك وهي العلاقة التي تلقت عنها والتر كبري لا تؤثر على مستقبلها المهني خاصة أن السيناتور كان متزوج وكان ذلك في زمن لا تفرق فيه الجماهير الأمريكية الحياتي الزوجية بين المشاهير، على الصعيد المهني ترسم والتر صورة شديدة التشويق لعالم التلفزيون في عصره الذهبي بما في ذلك المفاوضات حول العقود والتصاريات بين الشركات المختلفة والتنمية حول المشاهير التي استضافتهم وحول زملائها من العاملين في محطات التلفزيون. رأي الكثيرون أن الكتاب يتسرق القارئ في حالة حسد أقل لباربرا والتر وتعاطف أكبر معها ولكنها لم تسلم كما هي العادة من كل ما يخصها من انتقادات الكثيرة ووجدتها لكشفها علاقاتها مع برونك.

My Stroke of Insight: A Brain Scientist's Personal Journey
نوبة تأمل: الرحلة الشخصية لعائلة دماغ
Jill Bolte Taylor
Viking: 192pp, \$24.95, 2008

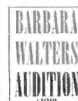


من المتعارف عليه في عالم الطب أن الخ لا زال من المناطق المجهولة وأن جميع الدراسات حول تصل الأعصاب من عدد الاستشجات المنطقية أكبر من عدد المعلومات المؤكدة. إلا فإنه عندما يتاح لعائلة متخصصة في أمراض الخ أن تصاب بأحد تلك الأمراض ثم تشفى بما يكفي لتكتب عن التجربة فإنها تكتب النتائج يستحق القراءة بلا شك. هذا ما حدث مع جيل بولت تايلور التي أصيبت في ١٩٩٦ بانفجار في أحد شرايين الخ نتج عنه تدهور كبير في قدراتها على الفهم والكلام والذاكرة والتذكر في مدة قصيرة جدا بلغت أربع ساعات. وبينما تراجعت القدرات الذهنية للجانب الأيسر من الدماغ ما عدا استمرار الجانب الأيمن من الدماغ والسلوك من الحس والإحساس العضلي في العمل كما كانت من طلب المساعدة سريعا.

تسجل الكتابة تلك الأحداث والحفاظ حول فترة الخ على شيء نفسه في كتابها نوبة تأمل.

أصبح أحد مؤلفاتها. وقد أغنى وجوده الشهيد الأمريكي. في كتابه الجديد مشروع لازاروس يقدم هومن أحياء أحدًا ملحمة في وقت عام ١٩٠٨ عندما قتل لازاروس أفريش، المهاجر اليهودي البالغ من العمر ١٩ عاما على يد جيور شيبسي رئيس شرطة شيكاغو. وقد كان لازاروس قد دخل بيت رئيس الشرطة بشكل شرعي لتسليم خطاب، ومع أن شيبسي قد ادعى أن لازاروس فوضوي وأنه كان قد دخل المنزل لأغراض إجرامية إلا أن حقيقة ذلك الأحداث غير معلومة حتى اليوم. ينتقل القارئ من تلك الواقعة إلى ما بعدها بظن من تلك الواقعة التي ما بعدها بظن من الزمان حيث يحكي قصة فلاذيمير بيرك الكاتب البولندي الأمريكي الذي يعيش في شيكاغو ويتلقى دعما ماديا للسفر إلى أوروبا الشرقية والكشف عن ما حدث هناك بالفعل. منحت الكاتب في تفسيره الجيدا مديحًا من قبل الكاتبة حدث بعد مقتل لازاروس وبين رحلة برونك وحكايات رفيقته في الرحلة وورا الصورة التي خصصت في تصوير حرب البوسنة. ومع أن الرواية قد تذكر القارئ بكتب أخرى ظهرت في الفترة الماضية حول نفس الحرب إلا أن هذا الكتاب بالمثل شديد الإمتاع وعميق جدا حتى مع موضوعه العام وللأحوي.

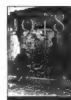
Audition: A memoir
اختبار، مذكرات
Barbara Walters
Knopf: 624pp, \$29.95, 2008



ربما تكون باربرا والتر في أشهر منبة في العالم. فإن إصدارها لسيرتها الذاتية حدث شديد الجاذبية سواء للقارئ الجاه الذي يريد معرفة تفاصيل حياتها الشهيرة بأهم زعماء العالم أو للقارئ من هواة الفضائيل والذي سيجد وجبة منبة في حكايات علاقتها الفرامية. ويصحب الكتاب من السؤال الذي قد يراود العديد من القراءين لباربرا والتر والذين يلاحظون بلا شك الإحراج والإصرار اللذين شكلا الدافع الأكبر وراء نجاحها المبهج. تكشف والتر في هذا الكتاب الكثير عن طفولتها التي قضتها في الترحال وراء والدها فنان برودواي بين ميامي ونيويورك ونيو يورك. عندما توفي الوالد ترك زوجته وابنتها العالقة ذهبا في رعاية باربرا التي كانت تحاول إنقاذها أيضا بمفردها. وقد ساهم قريبها من أهداها على أشغال باربرا أنها تستغل ناعما إذا كتب عن أعمالها فقد واحد سين.

مثلا أجهزة الجسبي إس التي تحدد الأماكن والطرق. أيضا مواقع الإنترنت تطورت لتصبح مصدرا ضخما للمعلومات، وتنتج لزارو الإنترنت المساهمة بها. الكاتب يقدم وصفة لتكيفية تطوير الإنترنت وكذلك تطوير الهيكل الاجتماعي لسلامة مع التكنولوجيا الحديثة مما يسمح لخدمات الإنترنت العمل بشكل خلاق وتعاوني لصالح البشرية.

1948
(١٩٤٨)
Benny Morris
Yale University Press, 2008,
\$44PP, \$32.50



ستون عاما مضت على بداية الصراع العربي الإسرائيلي، وبهذه المناسبة يأتي كتاب بيني موريس عن أولى حروب ذلك الصراع. هذا الكتاب يقدم نظرة جديدة متعمقة في حرب ١٩٤٨، موضوع أعادها السياسية، والواقع التي أحاطت بها. يتحدث موريس في الأسباب وراء الحرب، يسلط الضوء على التطورات السياسية والعسكرية التي سببت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، يحفز وراء دور الدول الكبرى بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في الصراع، ودرهم في إنهائه عام ١٩٤٩. يتأمل في عمليات صنع القرار في الجانبين العربي والإسرائيلي ولدى الدول الكبرى.

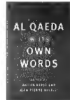
The Lazarus Project
مشروع لازاروس
Aleksandar Hemon
Riverhead: 304pp, \$24.95, 2008



كان الكاتب اليوغوسلافي اليكساندر هومن في الولايات المتحدة الأمريكية حين اندلعت الحرب في مدينته، سراييفو فعاش منذ ذلك الوقت في شيكاغو التي

ذات مرة أن يلتقي محاضرة على مجموعة من المسؤولين الحكوميين، وكان هذا الطلب فقط قبل دقائق من بدء المحاضرة، فما كان منه إلا أن أخذ افكاره في صورة رسوم على ظهر منديل. في هذا الكتاب، داهن روم، يوضح كيفية التفكير البصري. كيفية تحويل الأفكار إلى صور ورسومات، وكيف يمكن أن يؤثر ذلك على قوة التفكير. الكاتب يشرح طرق مختلفة لتحويل التفكير إلى صور وطرق لقراءة تلك الصور.

Al Qaeda in Its Own Words
(القاعدة تتحدث عن نفسها)
Gilles Kepel, Jean-Pierre Millel
Belknap Press, 2008, 384PP,
\$27.95



في هذا الكتاب، الباحثان الفرنسيان مليلى وكليل، يقدمان وصفا لتفصيلات القاعدة وأعضائها والقاعدة الفهم. الباحثان قاما بترجمة العديد من النصوص التي تعبر عن تنظيم القاعدة. بيانات على شبكة الإنترنت، خطب، وأحداث، ليقدموا بها صورة تفصيلية للقاعدة. ألقاها، وكتبها أعضاؤها. يرى الباحثان أن أسامة بن لادن وأمين الظواهري ومصعب شرطواي. قد تأثروا بشدة بأفكار الفكر عبد الله عزام الملقب برائد الجهاد، حيث يكررون العديد من كلماته ويستخدمون جملا من مؤلفاته.

The Future of the Internet
(مستقبل الإنترنت)
Gilles Kepel, Jean-Pierre Millel
Belknap Press, 2008, 384PP,
\$27.95



عالم الإنترنت الرقمي، يأخذ بالاعتبار كل يوم، وتتمتع بمساعدة زوارها. إلى أن أصبحت هناك منتجات تلبى على الأسواق تعتمد كلياً على الإنترنت. كإلى بود والأكس بوكس كما أن تطور الإنترنت أصبح له طبعاً في كل المجالات، فهناك



شركة المهندسين للتأمين

MOHANDES INSURANCE COMPANY



لحم عايز حه دايك أمين بيتي المهندس للتأمين

Call 19318

www.mohandes-ins.com

وثائق التأمين على الحياة
وثائق تأمين المسافرين
وثائق تأمين السيارات
وثائق تأمين الحوادث
وثائق تأمين الحريق والسطو
تأمين النقل البحري والجوي



Mobile Yellow Pages

"On The Go"



أطلق العنان لقوة البحث
المحلي على هاتفك المحمول - مجاناً

سعيًا إلى إمدادك بخدمات بحث محلية حيث وجدت، أطلقت يلو بيدجز
خدمة البحث المحلي على موقعها YellowPages.com.eg
من خلال أي هاتف محمول، لتجد ما تريد في أي وقت وفي أي مكان.

إذهب الى ...

YellowPages.com.eg



ديك الأعمال في مصر

YellowPages.com.eg

Print • Online • Mobile

أحدث إصدارات

دار الشروق



مدينة نصر، سيتي ستارز مول ت، ٢٥٤٤-٢٤٨-١٦٥٥٨٧٢٩
 الجيزة، فرست مول - ٣٥ شارع الجيزة ت، ٣٥٦٣٥٠٣-٣٥٦٨٩١٨٧
 الإدارة، ٨ شارع سيوفى - مدينة نصر ت، ٢٤٠٣٣٣٩٩

وسط البلد، ١ ميدان طلعت حرب ت، ٢٣٩٣٠٦٤٣-٢٣٩٣١٢٤٨
 مصر الجديدة، ١٥ شارع بغداد - الكهوية ت، ٢٤١٧١٩٥٥-٢٤١٧١٩٤٤
 الإسكندرية، سان ستيفانو مول ت، ٢٧٠٠٣/٤٦٩-١٠١٦٣٣٣٨٥

www.shorouk.com email: dar@shorouk.com